بسم الله الرحمن الرحيم

الأخلاق

الجزء الأول



شبر، عبدالله، ١٧٧٤ - ١٨٢٦م.

الأخلاق/ تأليف عبدالله شبر؛ تحقيق علي القصير. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩ق. = ٢٠٠٨م.

٢ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٢)

المصادر: ص. ٣٨١ - ٣٩٦؛ وكذلك في الحاشية.

١. الأخلاق الإسلامية ٢. الأخلاق - من الناحية القرآنية. ٣. أحاديث أخلاقية. ألف. القصير، علي، ١٩٦٧ - م، محقق. ب. عنوان.

BP ٢٤٧ / ٧ / ٣ الف ٢ش

مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

الأخلاق

تأليف

السيد عبدالله شبر

تحقيق

السيد علي القصير

الجزء الأول

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
شعبة التحقيق

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



العراق: كربلاء المقدسة-العتبة الحسينية المقدسة-هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة القسم

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة العلم وجعلنا من وسائل نشره وتوصيله إلى عباده، والصلاة والسلام على سيد الأنام المعلم الأول والنبع الصافي سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الميامين الطاهرين.

لكي نطلع القارئ الكريم على عملنا لابد لنا من ذكر موجز لمفهوم التحقيق، فالتحقيق في اللغة: يقال: حقق الشيء: أي جعله حقاً: أو صدقة وأثبته، فهو يدل على إحكام الشيء، فالتحقيق: هو التصحيح والتصويب والإحكام والعلم بالشيء، وإخضاع النص لهذه العمليات يعني الوصول بها إلى حقيقة ما كانت عليه في اللفظ والمضمون.

والتحقيق علم من العلوم العربية الإسلامية حيث وضح أصوله في رجالات البحث والتأليف والرواية والتلقي في ميادين الحديث النبوي والقرآن الكريم.

ولا نريد الخوض في بيان هذا العلم وأصوله وتاريخه ولكن لابد من المرور على ذلك بما ينتفع منه القارئ الكريم، فإن للتحقيق أصولاً ذكرها أهل الفن نذكر منها:

اختيار الموضوع ونصه - جمع النسخ - ترتيب النسخ - توثيق النص - نقل النص - مقابلة النص - تخريجات الاقتباسات - تفسير الغريب والمشكل وغير ذلك من الأصول في هذا العلم، وقد قسم أهل الفن أصول التحقيق إلى أصول التحقيق النظري وأصول التحقيق العملي وإلى متممات التحقيق وهذه المتممات تتفرع إلى عدة فروع أحدها هو التخريج والتوثيق، وثانيها البيان والتفسير وثالثها التعليق وغير ذلك مما لا يسع المقام لبيانه.

التخريج: هو تعيين موطن النص المقتبس، وتحقيق مرجعيته التاريخية، وتعيين نسبة ما اغفل من ذلك، أي بمعنى عزو النص إلى مصادره الأمهات من كتب الحديث والرجال وغيرها.

التوثيق: هو تثبيت نسبة النص إلى صاحبه بالأدلة المرجحة أو القاطعة.

البيان: شرح ما في النص من ألفاظ غريبة أو تركيب عسير البيان.

التفسير: هو بيان الدلالة الحقيقية المقصودة في النص نفسه فقط.

التعليق: هو كل ما يسجل في هوامش المتن من بيان وتفسير وشرح للغريب وتعريف بالأعلام وتكميل ما قصرت دلالته وتصحيح ما اختل مضمونه أو تركيبه وغير ذلك.

وبعد هذه المقدمة العلمية الموجزة في بيان بعض مصطلحات التحقيق التي طبقت عملياً في هذا الكتاب الكريم، نستطيع أن نبين إن الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة قد أولت رعاية خاصة لتحقيق الآثار الكبيرة للعلماء الأعلام والمؤلفين الكبار كسماحة السيد عبدالله شبر (قدس سره) فأوعزت إلى قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة لتبني هذا المشروع الثقافي الرائع ونحن بدورنا أوعزنا إلى شعبة التحقيق المتمثلة بالسيد علي القصير محققاً والأخ أحمد جاسم معاوناً فهبا مسرورين بهذا التكليف الذي لا يقل أجراً وثواباً عن غيره من التكاليف الشرعية ألا وهو نشر آثار فحول العلماء وكبارهم، وبعد التشاور مع مسؤول قسم الشؤون الثقافية والفكرية وقع الاختيار على كتاب الأخلاق للسيد عبدالله شبر (قدس سره) وبتعاون مع شعبة المكتبة الالكترونية في القسم تم انجاز هذا الكتاب الكريم مع تنضيده وتدقيقه وإخراجه بصورته الجديدة التي تزهو بهوامشها الجميلة. فنسأل الله تعالى التوفيق والسداد والاستمرار لجميع الإخوة الذين ساهموا في إكمال هذا الكتاب الميمون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشيخ علي الفتلاوي

مسؤول قسم الشؤون الفكرية والثقافية

كلمة لابد منها

الوجود حكمة من إبداع القادر، يتنزل فيه الفيض، ليسمو الجرم المخترع من الإبداع الأول بكمالات الجلال من خزانات السرادق الملكوتية.

وانتثر النور ليحيط ظلام النفوس بهياكل العظمة، وليزين الروح مظهر الجسد الفاني بلئالىء تباينت في نوالها قدرات الذر الأول، وتسابقت في النهوض بها بالذر الثاني.

فما النفس إلا سفينة، ربانها العقل، تبحر في الفناء، لترسو في الخلود.

وقد أرسل الله صور النعيم مع سفرائه، كما أرسل صور الجحيم، ومع كل رسول كلمة طيبة، فيها دفء الرب ورحمة الرسول، لتشرق الحقيقة في الباطن فيذعن لها الظاهر، حيث النهاية نعيم أبدي.

وكانت الرسالات نسيم كرامة يصدح في أفق الأكوان، أغصان هي أوراقها دموع عشق، وسطورها المعرفة، وحروفها لقاء، مع الذات، مع النور، مع الله.

لذا اجتهد الرسل ليترجموا تعاليم السماء، فغرق في حلاوة العبودية بعد المعرفة من غرق، وضاع في فلسفة الجهل من ضل.

وكأن ما بين الأرض والسماء معارج، رسول تلو رسول، ولم يأبه الخالق إلا أن يمضي قدما في كرمه، حتى أرسل الله من يختم به قافلة الرسل، حبيب، لأجله الكون ومن فيه ابتدأه، بعد أن اصطفاه.

رغم علمه بدنو النفوس، وعدم جلائها بعد أن أصابتها جنود الجهل، ولكن للثلة التي مدحها في فردوس كلماته، قال القدوس جل جلاله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء/١٠٧. فأطلق عنان الرسالة محمد ﷺ، فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١].

وكانت الخاتمة لكل رسالة.

لذا أبدع رجال في العناية منذ اليوم الأول في علم الأخلاق، وإذا ما أبحرنا في حضارات الأمم السالفة لوجدنا ألمع علمائهم قد اجتهدوا في ترسيخ قوائم هذا العلم في الحكم والسياسة والرعية، لاسيما من أراد الوصول إلى الحياض اللاهوتية.

ووضعوا له قوانين، وقرنوه بكل فضيلة، وعرفوه بالضرورة، وكتبوا فيه ألوانا من الفكر، فأنتجت العقول محاصيل المعرفة في علم الأخلاق.

كتبا فلسفية وعرفانية وروائية، وأخرى جمعت بين البعض منها، ومن جملتها كتابنا هذا للسيد عبد الله شبر قدس سره الذي جمع فيه الأسلوب الفلسفي والعرفاني والروائي على غرار من سبقه بهذا اللون من الإبداع، مثل: أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين، والشهيد الثاني في أسرار الصلاة، والفيض الكاشاني في المحجة البيضاء، والحقايق في محاسن الأخلاق، وأسرار العبادات، ومقامات القلب، وأحوال السالكين، والنراقي في جامع السعادات.

وقد تم اختيار هذا الكتاب لتحقيقه، لما فيه من تهذيب للنفس، ولما تتطلبه المرحلة من جمع رفات العقول، وبناء مجتمع إنساني قوامه الفضيلة، ليرتقي الإنسان بنوعه، وذلك بتنظيم قواه، وترتيب جواهره، حيث لا جبر ولا تفويض، فيكتمل هيكل المعرفة، وترسوا النفس في ميناء النور، حيث الخلاص والنعيم.

المحقق
السيد علي القصير

(١) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٨.

مقدمة التحقيق

لابد للقارئ أن يجد دليلا يرشده في كل كتاب، حول ماهية الكتاب، وأسلوبه، ومنهج من عمل عليه، لذا وضعنا هذه المقدمة، وهي تشتمل على أربعة فروع:

١ - تعريف التحقيق.

٢ - لماذا هذا الكتاب.

٣ - كتابنا وعلم الأخلاق.

٤ - منهج التحقيق في هذا الكتاب.

الأول: تعريف التحقيق

التحقيق، هو: التثبت والتوثيق.

حيث يتم التأكد من النصوص القرآنية، والروائية، وغيرها، وإرجاعها إلى مصادرها، وتعريف الاصطلاحات، و ترجمة الكلمات التي فيها غرابة يصعب على القارئ فهمها، مع تعريف بالأعلام وهويتهم، والبلدان، والإيضاح لمنهج المؤلف وتأثره بمن سبقه، ومن وافق فكرته، وعمن أخذ، مع بيان حال المؤلف وسيرته.

ويختلف التحقيق حسب ذوق المحقق العلمي وأسلوبه، لاسيما في مقابلة المخطوط، خاصة في الإشارة إلى عنوان النص في المخطوط، أو المطبوع، بشكل يغني الباحث بالدلالة حين الرجوع إليه مع اختلاف الطبعات.

وذلك يرتبط وثقافة المحقق، فليس المحقق إلا موسوعة كلما زادت موضوعاتها حسن التعليق، وأهم ما يناط بالمحقق هو: الصبر، والأمانة في النقل، وتثبيت النص، وعدم الميل للهوى، والتجرد، ليعطي الكتاب والكاتب حقهما، حين التحقيق فيهما.

وهذا التخصيص كله يرتبط بالمطبوع، وليس المخطوط من الكتب، وسيضاف الكثير من الكلام إذا كان العمل على مخطوط، فيختلف آنذاك المنهج، وسوف يكون على ما تقدم الكثير من النقد، والتدقيق، والفحص، والتمييز، والمقارنة، والكشف عن الملخص، والمختصر، والمحذوف، والمدسوس، والعلم بالرموز، والإشارات، والإختصارات، والأسماء، والفرق بينها في العصور التاريخية، وهذا العبء لا ينهض به المحقق المبتدئ، والحديث العهد بالتحقيق، إذ يحتاج إلى الكثير من الخبرة والإطلاع على أعمال المحققين، والأساليب العلمية في عملية التحقيق.

وفي الحالتين يحتم عليه العلم بالأصول التي يرجع إليها في التوثيق من لغة، ومعاجم، وحديث، وملل حسبما يقتضيه موضوع الكتاب، من مصادر وعلوم مساعدة حتى يستطيع في نهاية التحقيق أن يخرج الكتاب بحلة باهرة، وأن يكتب الخلاصة، والإستنتاج للكتاب، أو المخطوط، إذ أنها بمثابة تقييم علمي من المحقق يعتمد عليه من يصل إليه الكتاب.

الثاني: لماذا هذا الكتاب

إن علم الأخلاق له الشرف بين العلوم، لذا عقدت اللجنة المشرفة على التحقيق والنشر في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة رأيها في انتخاب كتاب أخلاقي، لما فيه للنفس من أثر.

ولما كان السيد عبد الله شبر إسم لامع في العلم والفضيلة، وكتبه كرامة تجد أسبابها في ترجمة حياته بعد هذه المقدمة تم اختيار كتابه الأخلاق، الذي ترتمس فيه النفوس حين الخلوة، وهو أنس العلماء، وجنينة الطالب، ليخرج بحلته الجديدة مع أول طبعة محققة تغني الباحث والطالب، ولما في هذا الكتاب من تهذيب للنفس وإحياء للفضيلة، وأحاديث الروح، وقع الاختيار عليه.

الثالث: كتابنا وعلم الأخلاق

قال الأزنيقي: هو علم يعرف منه أنواع الفضائل. وموضوع هذا العلم: الملكات النفسانية.

قال ابن صدر الدين: هو علم بالفضائل، وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها، وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى عنها. فموضوعه: الأخلاق، والملكات، والنفس الناطقة[1].

قال صدر المتألهين: علم الأخلاق، المعروف بعلم الطريقة[2].

قال السبزواري: علم الأخلاق يبحث عن كيفية المحافظة على الحد الوسط التي هي: الفضيلة، والاجتناب عن طرفي الإفراط والتفريط اللذين هما: الرذائل، لتصدر منه أفعال يصل بها إلى السعادة المرجوة[3].

قال الطباطبائي: علم الأخلاق، وهو: الفن الباحث عن الملكات الإنسانية المتعلقة بقواه النباتية والحيوانية والإنسانية وتمييز الفضائل منها من الرذائل[4].

---

(١) أبجد العلوم، السيد صديق بن حسن خان البخاري: ٢/ ٢٨، علم الأخلاق.

(٢) تفسير صدرا، الملا صدرا: ٥٠١/٣.

(٣) تفسير مواهب الرحمن، السبزواري: ٣١٠/٢ .

(٤) تفسير الميزان، الطباطبائي: ٣٧١/١ .

المذاهب الأخلاقية

قال السبزواري: يختلف العلماء والباحثون في علم الأخلاق النظري في تقسيم المذاهب الأخلاقية المتعددة بين مفصل لها بتعداد سائر الاتجاهات، وبين مجمل لها بذكر أصولها، والسبب في ذلك أن طائفة منهم ربطت المذاهب الأخلاقية بالمذاهب الفلسفية في المعرفة الإنسانية من الواقعية والمثالية، والعقلية، والحدسية، والتجريبية، والمادية، والتشكيكية وغير ذلك.

وهذا المسلك وإن أمكن تطبيقه على بعض المذاهب الأخلاقية، فإنه يكون امتدادا لتلك المسألة إلا أنه لا يمكن تطبيقه على البعض الآخر مثل الأخلاق المسيحية فإن لها خصائص ما يخالف تلك الاتجاهات.

وطائفة أخرى أرجعت الاختلاف بعينه إلى الاختلاف في الغاية، و إنها هي المنفعة، سواء كانت فردية أو اجتماعية وابتغاء اللذة والسرور ودفع الآلام والشرور.

وهذا المنهج كسابقه فان كثيرا من المذاهب يخرج عن هذا التقسيم.

وطائفة ثالثة ذهبت إلى أنّ المناط هو الوجدان والزهد والتقشف كما يراه الاتجاه الصوفي.

والحق أنّ شيئا مما ذكر لا يصلح لأن يكون المناط في تقسيم المذاهب الأخلاقية، بل إنّ جميعها تتفق على أنّ الكمال والسعادة هما الغاية القصوى والمقصد الأسنى للإنسان، وإنّما الاختلاف في ما يصدق عليه الكمال والسعادة فالاختلاف في المصداق فقط، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المذاهب الأخلاقية إلى ثلاثة:

الإتجاه العقلي

الاتجاه الذي يعتبر العقل هو الذي يحدد الغاية في حياتنا، وأنه الباعث الذي يحفزنا إلى ابتغاء الحياة السعيدة و العزوف عن اللذات وأنّه الداعي إلى الطاعة لأوامر الشرع أو العقل، وأصحاب هذا الاتجاه يعترفون بأصول مسلّمة لا يمكن العدول عنها كحسن العدل، وقبح الظلم وأمثال ذلك، فلابد للإنسان - الذي يتميز عن سائر الكائنات بطبيعته العاقلة - أن يتصرف وفق القوانين المجعولة من قبل العقل أو الشرع، وفي ذلك ابتغاء السعادة.

ويشمل هذا الاتجاه من المذاهب الأخلاقية المذهب الحدسي، والواقعي، والمثالي، وبعض المذاهب اليونانية القديمة أمثال الرواقيين والأفلاطونيين وغيرهم.

الإتجاه المادي

وهذا الاتجاه يرفض كل القيم الإنسانية المسبقة التي تحدد للإنسان سلوكه والتي لها التأثير في تشكيل حياته، بل يعتبر عامل المادة له الأثر الكبير في سلوك الإنسان، وزاد بعضهم أن الأفكار والمشاعر والرغبات والقيم الخلقية والجمالية هي وليدة النظام الاقتصادي وما يستلزمه من العلاقات بين الأفراد بعضهم مع بعض، وإن المنفعة سواء في شكلها الحسي أو العقلي هي وحدها الخير الأقصى والمرغوب لذاته، وإنها السعادة، والضرر والألم وحده هو الشر الأقصى، فالأفعال الإنسانية لا تكون خيرا إلا إذا حققت النفع مطلقا وإذا جلبت ضررا أو عاقت عن وصول النفع كانت شرا.

وبالجملة: إنّ في هذا الاتجاه على اختلاف مذاهبه يتوجه النظر على نتائج الأفعال وآثارها، بلا فرق بين أن تكون المنفعة فردية حسية عاجلة، كما في مذهب القورنائيين أو حسية وعقلية وروحية كما في مذهب الابيقوريين، وجميعهم أصحاب اللذة الفردية الأنانية. نعم، تحول بعض المذاهب إلى منفعة المجموع والقول بالصالح العام ولكنه لا تخرجها عن ابتغاء اللذة والمنفعة، ولذا دعوا جميعا بـ(الأنانيين) حتّى في تصورهم للصالح العام، وتشترك جميع هذه المذاهب في تقييد حرمة الفرد، والقول بالجبر الأخلاقي والفوضى في الأخلاق. ومن ذلك يعرف أنّه لا علاقة بين الفكر الفلسفي والمذهب الخلقي في هذا الاتجاه.

وفي هذا الاتجاه يتنكر الإنسان للمادة في جميع مظاهرها، وأنّ العزوف عن ملاذ الدنيا هو المناط في الأخلاق الفاضلة، ويرى أصحابه أنّ السعادة هي الابتعاد عما يشغل بال الإنسان عن التفكر، والكمال هو الوصول إلى مرحلة يصل بها إلى درك الحقائق، وفي هذا الاتجاه تعتبر المحبة أصلا لكل خير.

هذه هي الاتجاهات الأساسية للمذاهب الأخلاقية المختلفة المتعددة وهي جميعها قد أخفقت في حلّ المشكلات الخلقية للإنسان سواء الفردية أو الاجتماعية، ولم يصل الفرد بها إلى ما يصبو من السعادة والكمال بل لم تجلب للإنسان إلا الشقاوة، والوقوع في صراعات فكرية لا يجتنى منها فائدة تذكر[١].

(١) مواهب الرحمن في تفسير القران، السيد السبزواري: ٢/٣٠٤ - ٣٠٦ .

سيرة التآليف الأخلاقية

جاء في كتاب دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العملية ذكر مجاميع كتب الأخلاق موضوعيا مع الإشارة لخصائصها نذكرها ههنا كما وردت.

نقسم مصادر علم الأخلاق إلى أربعة مجاميع متميزة:

المجموعة الأولى: الكتب الأخلاقية الفلسفية

من أمثلة هذه المجموعة «السعادة والإسعاد» و«تهذيب الأخلاق» وغيرها.

والملاحظ على هذه المجموعة ما يلي:

١ - التأثر بالآثار اليونانية، مما أدى إلى اضمحلال الاستفادة من المسائل المعنوية والأخروية، ذات الأثر القيم في تربية النفس وتزكيتها، وقد أصبح الأساس الذي ترتكز عليه هذه الكتابات هو المنافع المادية والمعايير العقلية والقيم الاجتماعية وحسب.

٢ - أن الإطار الفكري للفيلسوف والحكيم يتناول الإنسان كمتفكر وعالم، ولهذا فإن تعامل الفيلسوف والحكيم مع الإنسان ينحصر بالكمال الفكري له فقط، وهذه الطريقة ليست إلا نظرة ناقصة للإنسان. صحيح إن للكمال العقلي أصالة متميزة، ولكن يجب أن لا تكون على حساب سائر الكمالات الإنسانية الأخرى، بحيث تهمل ولا يعتنى بها، ويبحث عن كمالات الإنسان من خلال زاوية ضيقة هي الكمال العقلي فقط. فهذا النوع من أسلوب اللامبالاة والتقصير في مراعاة سائر الجوانب الكمالية للإنسان هو بلا شك أسلوب ناقص في الدراسات الأخلاقية.

٣ - يعتبر تهذيب النفس وبناؤها من التمارين الشاقة التي تتطلب همة عالية وجهدا منقطع النظير وتربية طويلة الأمد، وأقل ما ينتظر من مصنفات الأخلاق في هذا السبيل هو أن تكون دليلا وبرنامجا يعين الإنسان على تخطي صعاب ومشاق

العمليـة التربويـة، وممـا يؤسـف لـه أن الكتـب الأخلاقيـة الفلـسفية تنقـصها هـذه الخصوصية، فهي غير كفوؤة في هذا الجانب، وغير قادرة على احتواء قلب وفكر الإنسان، وبالنتيجة لم تترك أي أثر إيجابي في بناء الإنسان وتقويم خلقه.

٤ - إن هذه المجموعة من التصانيف الأخلاقية تزخر باصطلاحات ومطالب علمية وفنية كثيرة، وقد صنفت بطراز خاص يصعب معه إدراك مضامينها بسهولة، بل لم يكن ذلك متيسرا لكل الفئات والطبقات الاجتماعية ذات الثقافات المتباينة، ولهذا لم تجد لها طريقا بين عامة الناس، بل انحصرت بفئة اجتماعية خاصة وانحرمت منها كثير من الفئات.

المجموعة الثانية: الكتب الأخلاقية العرفانية

من أمثلة هذه المجموعة (أوصاف الأشراف) و(رسالة السير والسلوك) و(مثنوي معنوي) و(تذكرة المتقين) وغيرها.

وهذه المجموعة من الآثار الأخلاقية تحتوي على جوانب عملية وعرفانية تكشف عن صورة الإنسان مع نفسه ومع العالم المحيط به ومع خالقه، وتعتمد على أفكار وأقوال السالكين، وتبين طبيعة وأخلاق وقواعد العظماء من العلماء المتعبدين الذين عرفوا بين الناس أهل سير وسلوك عرفاني خاص.

ولكن من الملاحظ على هذه المجموعة ما يلي:

١ - هذه الكتب تشتمل على طرق العرفاء العملية والأخلاقية لأجل السير والسلوك، وتخلو من المباحث العلمية والنظرية في مورد الأخلاق والفضائل والرذائل وطريقة كسب الفضائل وطرق معالجة الرذائل.

٢ - يستفاد من هذه الكتب والرسائل لأولئك الذين طوو بعض المراحل من منازل تزكية النفس والسير، وقطعوا شوطا فيهما، لأنها تشتمل على مباحث أخلاقية صعبة ورياضات طويلة شاقة لتهذيب النفس وتزكيتها، ولهذا فان هذه المجموعة من الكتب والرسائل أيضا لم تكن صالحة لاستفادة كل الطبقات سيما عامة الناس الذين هم أحوج أفراد المجتمع إلى دروس الأخلاق، لأنهم لم يكونوا قد أمضوا شيئا من مراحل ومنازل تزكية النفس والسير أو مقدماتهما.

المجموعة الثالثة: الكتب الأخلاقية الروائية

من أمثلة هذه المجموعة (أصول الكافي ج٢، كتاب الإيمان والكفر) و(مكارم الأخلاق) و(المواعظ) و(الخصال) و(بحار الأنوار، ج ٦٦ - ٧٠ ، كتاب الإيمان والكفر) و(تحف العقول) و(المحاسن) وغيرها.

والملاحظ على هذه المجموعة ما يلي:

١ - أنها تخلوا من البحث العلمي والنظري في باب الأخلاق والفضائل والرذائل، وجل ما تحويه هو إيراد الرواية وبعض بيانات أو توضيحات المؤلفين.

٢ - إنها بحاجة إلى تحليل وشرح وتوجيه، وذلك لأن بعض الروايات مثار للجدل والنقاش وبعضها الآخر متشابه، أو متناقض.

المجموعة الرابعة: الكتب التلفيقية

والمراد منها الكتب التي جمعت الأساليب المختلفة، الفلسفية والعرفانية والروائية، ولفقت بينها، وامتازت بخصوصيات معينة.

ومن أمثلة هذه المجموعة (رسائل إخوان الصفا) و(إحياء علوم الدين) و(المحجة البيضاء) و(جامع السعادات) و(كيمياي سعادت) و(معراج السعادة).

وأسلوب التلفيق في هذه المصنفات إما أن يكون بطريق روائي فلسفي، أو روائي عرفاني، أو روائي فلسفي عرفاني.

وقد شاعت أمثال هذه المصنفات في القرن الخامس الهجري وما بعده حيث أن التطور والتكامل الذي حصل في العلوم الإسلامية المختلفة امتد ليشمل علم الأخلاق أيضا، وكانت هذه الطريقة، أي: التلفيق من مبتكرات تلك المرحلة، وأما فترة ما قبل القرن الخامس الهجري فقد كانت تزخر بالأساليب الروائية الفلسفية، أو العرفانية.

ورغم أن كل مجموعة من مجاميع المصادر الأخلاقية يتمتع بامتيازات خاصة وله نهجه الخاص إلا أن المجموعة الرابعة من المصادر (الكتب التلفيقية) تعتبر الأنسب من بين مناهج مصنفي المجاميع الروائية والفلسفية والعرفانية وذلك بسبب التنوع والتفاوت في أسلوبها[1].

---

(١) دراسات في الأخلاق، الشيخ المظاهري: ١٣ - ١٧.

كتابنا و علم الأخلاق

إن كتابنا (الأخلاق) للسيد عبد الله شبر ﷺ لا شك بعد بيان التآليف وسيرتها، يصنف ضمن المجموعة الرابعة، وهي التي جمعت الأساليب المختلفة، الفلسفية والعرفانية والروائية، ولما كانت هذه المجموعة يتصدرها الغزالي والشهيد الثاني والفيض الكاشاني والنراقي ذهب السيد شبر إلى جمع دررهم، ومزج أفكارهم، سالكا نفس التبويب والتفصيل.

الرابع : منهج التحقيق في هذا الكتاب

١ - تخريج الآيات، والأحاديث، والنصوص، والاقتباسات، وغريب اللغة، والشعر، والأمثال، وما شاكلها، وإرجاعها إلى مصادرها، مع الإشارة إلى المختلف منها.

٢ - الاعتماد على مراجع معتمدة في علوم القرآن والحديث والرجال واللغة، والغريب، وقد ذكرناها مفصلا نهاية الكتاب.

٣ - مراعاة التسلسل الزمني عند ذكر المصادر للنصوص، حيث يتم ذكر الأقدم ثم من يليه.

٤ - الاعتماد على كتب المدرستين الخاصة والعامة.

٥ - إيراد مصادر العامة بعد مصادر الخاصة يستثنى من هذه القاعدة النصوص التي اعتمد عليها أصلا من كتب العامة، مثل الإحياء.

٦ - إذا تكرر مصدر لروايات متتالية، نعمل على تغييره في حال عدم تطابق النص، ويبقى ذاته في حال تفرده به، أو إذا كان معتمد كالكافي فيبقى دون ذكر من أخذ عنه.

٧ - مقابلة النص والبحث والتحليل الذي ورد في كتاب الأخلاق للسيد المؤلف رحمه الله مع من سبق السيد شبر في موضوعه، وسلك طريقتهم بدوره، مثل: الغزالي في إحياء علوم الدين، والشهيد الثاني في رسائله، والفيض الكاشاني في المحجة البيضاء وأسرار العبادات والحقايق في محاسن الأخلاق، والنراقي في جامع السعادات، وقد أشرنا نهاية كل باب من أبواب الكتاب وأحيانا نهاية كل فصل إذا كان الباب مطولا موارد التطابق الكلي أو الضمني مع ما تقدم ذكرها من المصادر الأخلاقية.

٨ - في حال ذكر المؤلف (قال: أبو حامد) أو (قال: الشهيد الثاني) وجب الرجوع إلى من نسب إليه النص في التخريج، وكذلك هي الحال عند ذكر نص عن مصدر، مثل قول المؤلف (وفي مصباح الشريعة) فيتم تخريج النص من الكتاب المذكور لاعتماد السيد المؤلف عليه.

٩ - يتكرر أحيانا ترجمة الغريب من اللغة ببيان مختلف، وهذا نادرا، حسب سياق الجملة وما تقتضيه.

١٠ - إذا ورد الحديث ومضمونه في الكافي كمصدر أساسي يعتمد عليه، والنص مطابق في مصدر آخر من مؤلفات المتأخرين نأخذه ممن تطابق معه.

١١ - إذا ورد النص عن أحد المعصومين عليهم السلام، وفي المصدر ليس عنه بل عن معصوم آخر تتم الإشارة إلى ذلك بالحاشية.

١٢ - بيان التفصيل في الحاشية للعنوان، بذكر الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة والباب والفصل ورقم الحديث، وجميع الدلالات التي تيسر للباحث سرعة الوصول إلى المطلب ضمن أية طبعة للكتاب الذي اعتمدناها في الأخذ منه.

١٣ - إذا ورد في النص: وقال عليه السلام. نشير بالحاشية إلى المعصوم عليه السلام الذي صدر عنه النص.

١٤ - إذا ورد حديث ونصه يتطابق مع أحد مصادر العامة وفي مصادر الخاصة مضمونه نورده من العامة.

١٥ - بيان بعض التنبيهات في موارد محدودة خاصة حينما ينقل الحديث من مصادر العامة، كي لا يتم الخلط بين عقائد المدرستين.

١٦ - في حال ورد النص في متن الكتاب عن أبي حامد مثلا، وأورده غيره ممن تأخر عنه نذكر من اعتمد عليه المؤلف أولا في طليعة المصادر ثم نتلوه بالبقية التي أوردته مع مراعاة القدم بالنقل.

١٧ - لا يتم تعديل ضمن متن الكتاب لأمانة النقل حتى وإن ورد الخطأ في نص قرآني، وتتم الإشارة والتعليق بالحاشية.

١٨ - عدم تكرار ترجمة العلم، أو الغريب من اللغة في حال تكرر وروده.

١٩ - نذكر في بعض الموارد بعد ذكر المصدر نص الحديث، وهذه محدودة حسب أهمية البحث واعتماد المؤلف على النص للتحليل منه، وأحيانا لأهمية الحديث خلال البحث.

٢٠ - إذا كان في بداية الصفحة (قال عليه السلام) نقول (الإمام الصادق عليه السلام) مثلا، وإذا كان وسط الصفحة وليس في بدايتها، وقد ذكر في بدايتها قبله معصوم واسترسل المؤلف بالكلام قائلا: (وقال عليه السلام) عاطفا بقوله للمعصوم عليه السلام نكتب: (أي: الإمام الصادق عليه السلام) مثلاً.

٢١ - إذا ورد في حديث اختلاف في النص مع المصدر، وكانت موارد الاختلاف من واحد إلى ثلاثة نبينها مع التهميش في مواضع الاختلاف، وإذا زادت عن ثلاثة نذكر المصدر مسبوقا بكلمة (أنظر) وهذه بمثابة المعنى مع اختلاف يسير، وإن كان الاختلاف أقل من ثلاث موارد في النص نضع (أنظر) أيضا، إذا كان الأفضل بدل ذكر التفاصيل لكيلا يتيه القارئ، ولعل كلمة (أنظر) تدل على اختلاف يسير جدا مثل تكرار قول: (عز وجل) بدل (تعالى) أكثر من مرة، يستثنى منها موارد نادرة يكون فيها النص مضمونا قد ذكر في المصدر المسبوق بـ (أنظر).

٢٢ - اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب (الأخلاق) للسيد عبد الله شبر على النسخة المطبوعة، وهي: (الطبعة الثانية لسنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م) طبعة بيروت، منشورات الأعلمي للمطبوعات، تحت الرقم (١٧/٢/١٩) من كتب مكتبة العتبة الحسينية المقدسة في كربلاء المقدسة.

ترجمة المؤلف

السيد عبد الله شبر

إسمه وشهرته

السيد الجليل عبد الله بن محمد رضا بن محمد بن الحسن بن أحمد بن ناصر الدين بن شمس الدين محمد بن نجم الدين بن الحسن الشبر الأفطسي، الحسيني، الكاظمي[1].

المشتهر في عصره بالمجلسي الثاني[2] [3].

أسرته ونسبه

آل شبر أسرة علوية يتصل نسبها بالإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهي من أسر العراق العلمية المشهورة، ذكرها الداودي -

(١) مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، آقا بزرك الطهراني: ٢٣٨.

(٢) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ٢/ ٣٥٢. هدية الأحباب، القمي: ٢٢٢.

(٣) ذكره باسم: السيد عبد الله بن السيد محمد رضا الشبر الحسيني الكاظمي كل من المراجع التالية:

الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ٢ / ٣٥٢. هدية الأحباب، القمي: ٢٢٢. سفينة البحار، الشيخ القمي: ٦/ ٧٨. معارف الرجال، حرز الدين: ١/ ٩. أعيان الشيعة، محسن الأمين: ١٠٣/١٢. معجم مؤرخي الشيعة، صائب عبد الحميد: ١/ ٥٢٨. معجم المفسرين، عادل نويهض: ١/ ٣٢٥.

النسابة الشهير المتوفي سنة ٨٢٨ هـ - في كتابه: «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب»، وذكرها تفصيلا البحاثة المعاصر العلامة الشيخ جعفر آل محبوبة في كتابه: «الأسر العلوية»، فقال:

«آل شبر أسرة عراقية قديمة، وهي من أقدم الطوائف العلوية القديمة في العراق، وأعرقها في العروبة، وأقدمها في الهجرة، كان مقرها الأصلي الحلة الفيحاء، ولم تزل بقيتهم بها حتى اليوم، وبها عرفت.

ومنها تفرعت كما ذكرهم في العمدة وبحر الأنساب، وهم ولد الحسن المعروف بـ (شبر) بن محمد بن حمزة بن أحمد بن علي برطلة.

كانوا قديما يعرفون ببني برطلة نسبة إلى علي المعروف ببرطلة ابن الحسين، ويعرف بـ (القمي) ابن علي بن عمر - الذي شهد فخا - ابن الحسن الأفطس.

وكل شبري حسيني، يرجع إلى الحسن هذا ويعود إليه».

وأشهر الأسر الحسينية الشبرية، هي أسرة السيد المترجم السيد عبد الله شبر المؤلف، وهي من الأسر العلمية الأدبية شريفة الجد، كريمة الحسب، كثيرة الانتشار في النجف والحلة والكاظمية والبصرة، وبعض المدن العراقية الأخرى.

وتوجد عند العلامة المفضال السيد عباس شبر - نزيل البصرة اليوم وقاضيها الشرعي، مشجرة كاملة لهذه الأسرة خططها الأستاذ عبد الرزاق العائش الأديب البصري، وقد ذكر العلامة البحاثة الشيخ محمد السماوي المتوفي أول سنة ١٣٧٠ هـ ﵀ هذه الأسرة عندما عدد الأسر العلمية في منظومته «وشي النجف»، المطبوع في مطبعة دار النشر والتأليف سنة ١٣٦٠ هـ، فقال:

وأسرة لشبر الشريف	وجامع الشتات بالتصنيف
من كل فرد فاضل قد جمعا	إلى علومه التقى "

"(١)

---

(١) تمام النص هو ترجمة المؤلف بقلم السيد جواد شبر في مقدمة كتاب حق اليقين في معرفة أصول الدين.

قال العامري:

آل شبر أسرة علوية عريقة، مساكنها موزعة بين بغداد وبابل والنجف الأشرف والقادسية وذي قار ولهم وجود في بعض المحافظات، وبحسب وثائقهم النسبية التي اطلعت عليها والمشجرات المصدقة والمحققة انهم من السادة الموسوية الحسينية الأجلاء، واللقب جاء من اسم جدهم (السيد شبر بن محمد بن صالح بن أحمد بن شريف بن محمد بن الحسين بن سليمان بن مبارك بن محمد بن ناصر بن محمد أبو العرب بن يحيى بن أبي الحرث محمد بن أبي عبد الله شمس الدين بن أبي الحارث محمد بن أبي الحسن علي بن أبي طاهر عبد الله بن أبي الحسن محمد بن أبي الطبيب الطاهر بن الحسين القطعي بن موسى أبو سبحة بن إبراهيم المرتض[1] الأصغر بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام)، وعميدهم اليوم هو: (السيد اياد بن السيد جواد بن السيد كاظم بن السيد حسن بن السيد حسون بن السيد رضا بن السيد علي أبو هوسة بن السيد عمران بن السيد موسى بن السيد شبر).

وفروعهم:

أولا: السادة آل السيد رضا الموسوي، وعميدهم: (السيد محمد رضا بن السيد عبيد بن السيد أحمد بن السيد رضا بن السيد موسى بن السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد حسن بن السيد زين بن السيد علي بن السيد حسن والذي ينتهي نسبه إلى الحسين القطعي بن موسى أبو سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام).

ثانيا: السادة آل حبيب وعميدهم (السيد هادي بن السيد خضر بن السيد عباس بن السيد شبر الجد الجامع للسادة آل شبر)[2].

---

(١) هو: إبراهيم المرتضى، ولعل الخطأ من الناسخ إذ يكرر ذكره نهاية الكلام باسم: إبراهيم المرتضى.

(٢) موسوعة أنساب العشائر العراقية السادة العلويون، ثامر عبد الحسن العامري: ١/ ١٨٤.

قيل في جدهم الأكبر إبراهيم المرتضى:

كان الأمير إبراهيم المرتضى سيدا جليلا، وأميرا نبيلا، وعالما فاضلا، روى الحديث عن آبائه عليهم السلام، ذهب إلى اليمن واستولى عليها في أيام أبي السرايا ، وقيل : إنه كان يدعو لإمامة أخيه الرضا عليه السلام، فبلغ هذا المأمون فشفع له عنده فقبل المأمون شفاعته له ، وأعطاه الأمان ، ولم يتعرض به ، توفي في بغداد ودفن في مقابر قريش مع أبيه عليه السلام في قبر منفصل معروف[1].

ولد إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام ، وهو لأم ولد، ويلقب بـ «المرتضى» وهو الأصغر، ظهر باليمن أيام أبي السرايا، وكانت أمه نوبية اسمها تحية (في بعض النسخ نجية)، عدة كثيرة ذكرانا وبناتا، فمن جملة ولده : أحمد وقع إلى مرند، وله بها بقية.

ومنهم : أبو العباس المعقد ابن أبي الحسن موسى يلقب أبا سبحة ابن إبراهيم ابن موسى الكاظم عليه السلام[2].

قال الشيخ تاج الدين النقيب:

أعقب الكاظم من ثلاثة عشر ولدا رجلا، منهم أربعة مكثرون، وهم : علي الرضا عليه السلام، وابراهيم المرتضى، ومحمد العابد، وجعفر.

وأربعة متوسطون، وهم: زيد النار، وعبد الله، وعبيد الله، وحمزة.

وخمسة مقلون، وهم: العباس، وهارون، وإسحاق، والحسن، والحسين[3].

في بيان نسل الإمام الهمام حجة الله على الأنام موسى الكاظم عليه السلام، ولد عليه السلام ستين ولدا، سبعة وثلاثين أنثى، وثلاثا وعشرين ذكرا.

درج من الذكور خمسة لم يعقبوا اتفاقا، وهم : عبد الرحمن، وعقيل، والقاسم، ويحيى، وداود.

---

(١) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، الشيخ عباس القمي: ٢ / ٢٩٢.

(٢) المجدي في أنساب الطالبيين، العمري: ٣١٦.

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ٢٤٠ – ٢٤١.

ولثلاثة منهم إناث، وهم: سليمان، والفضل، وأحمد. فليس لأحد من هؤلاء الثلاثة ولد ذكر من غير خلاف في ذلك.

واختلف في أعقاب خمسة منهم، وهم: الحسين، وإبراهيم الأكبر، وهارون، وزيد، والحسن. ومنهم عشرة أعقبوا بغير خلاف، وهم: علي الرضا، وإبراهيم الإمام المرتضى إمام الزيدية، ويعرف بإبراهيم الأصغر، والعباس، وإسماعيل، ومحمد، وإسحاق، وعبد الله، وعبيد الله، وحمزة، وجعفر، وهذا هو القول الذي ارتضاه الشيخ أبو نصر البخاري، وجزم به وعمد عليه كتابه[1].

ولمزيد الإطلاع حول جد السادة آل شبر الأكبر، أنظرالمراجع التالية:

الإرشاد[2]، المناقب[3]، إعلام الورى[4]، عوالم العلوم[5]، الدمعة الساكبة[6]، منتهى الآمال[7].

ولادته

ولد في النجف حدود سنة ١١٨٨هـ [8].

وقيل : ولد في النجف أيام إقامة والده فيها سنة ١١٩٢ هـ[9].

---

(١) مناهل الضرب في أنساب العرب، الحسيني: ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد: ٢/ ٢٤٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب، إبن شهر آشوب: ٤/ ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي: ١/ ٣١٢، الفصل ٦.

(٥) عوالم العلوم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، الشيخ عبد الله البحراني: ٢١/ ٣١٨ - ٣٢٠.

(٦) الدمعة الساكبة في أحوال النبي و العترة الطاهرة، محمد باقر بن عبد الكريم البهبهاني: ٧/ ١٤٥ - ١٤٧.

(٧) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل عليهم السلام، الشيخ عباس القمي: ٢/ ٢٩١ - ٢٩٣.

(٨) معارف الرجال، حرز الدين: ١/ ٩. معجم مؤرخي الشيعة، صائب عبد الحميد: ١/ ٥٢٨. معجم المفسرين، عادل نويهض: ١/ ٣٢٥. معجم رجال الفكر، الأميني: ٢/ ٧١٠.

(٩) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ١٢/ ١٠٣.

نبذة من سيرته

تربيته

قال السيد جواد شبر: تربى على يد أبيه العلامة الكبير السيد محمد رضا، فنشأ على التقوى والصلاح، وحب العلم والفضيلة منذ صغره، فقد عرف عنه أنه دعاه والده وهو بعد في ريعان شبابه، وقال له: لا أحل لك أن تتناول مما أنفقه عليك ما لم تجتهد في الدرس والتدريس، وتنفق أوقاتك في سبيل ذلك حتى اليوم الواحد، فكانت هذه الكلمة لا تفارق سيدنا المترجم له حتى أنه شوهد وهو بين أترابه في مدرسته يبيع محبرته، ولما سئل عن ذلك، قال: إني شغلت هذا اليوم بعارض صحي لم يمكنني معه من مواصلة دروسي فلم أجد ما يسوغ لي أن أتناول من بيت أبي شيئا، وهذه الحادثة إن دلت على شيء فإنها تدل على التربية الدينية العالية التي نشأ عليها من ناحية الأخلاق الإسلامية، وتغذيته بحب العلم، وهذا لاشك مما هيأه إلى أن يكون من عظماء علماء المسلمين ، وطبعه بطابع التقوى والصلاح، وجعله في الرتبة العالية ممن يشار إليه بالبنان في كل ذلك[١].

أخلاقه

قال السيد محمد معصوم: كان آية في الأخلاق، كان باسما طلق المحيا، يحنو على الصغير، ويعطف على الكبير، وكان ركنا حصينا للضعفاء، وصولا لهم، بارا بهم، ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وكان يعود المرضى، ويصلي على جنائز المؤمنين، إلى غير ذلك من خلاله الفاضلة، وصفاته الحميدة، التي رفعت منزلته، وأحلته مكانا عليا بين محبيه ومناوئيه[٢].

---

(١) مقدمة كتاب حق اليقين للسيد عبد الله شبر، بقلم العلامة السيد جواد شبر: ٦.

(٢) ترجمة المؤلف بقلم أحد تلامذته السيد محمد معصوم، في مقدمة كتاب: طب الأئمة، من مؤلفات المترجم له السيد عبد الله شبر: ١١.

من معاصريه

جاء في ترجمة الشيخ جواد العاملي الكاظمي: عالم فاضل جليل، كان من المعاصرين للسيد العلامة السيد عبد الله شبر، صاحب جامع الأحكام، وهو أبو أسرة في بلد الكاظمين[1].

وفي ترجمة الشيخ سليمان بن معتوق العاملي: كان وصيه رحمه الله السيد العلامة السيد عبد الله شبر صاحب جامع الأحكام[2].

أوصافه

كان ربعة من الرجال في القامة، وكان بدينا سمينا، ووجهه كأنه فلقة قمر، بهي المنظر، وشعر كريمته (لحيته) كأنه سواد السبج[3]، إذا نظر الناظر إلى وجهه، وسمع عذوبة لفظه، لم تسمح نفسه بمفارقته، وتسلى عن كل شيء بمخاطبته[4].

ذكائه

قال السيد جواد شبر: إن الفكرة التي يأخذها الباحثون عنه هي الحديث فقط، وكأنها أبرز صفاته التي اشتهر بها، ويروي لنا تلميذه السيد الجليل العلامة السيد محمد معصوم في رسالة كتبها عن حياته: إن جلساؤه كثيرا ما كانوا يمتحنونه بقراءة متن الرواية، ويقطعون السند، وهو تغمده الله برحمته يسترسل بسلسلة السند حتى يوصله بالإمام من أهل البيت صلوات الله عليهم.

وقد تكرر ذلك منه ومنهم حتى تجاوز حد الإحصاء. وهذه الأحدوثة تفهمنا أنه كان ذا عارضة قوية وحافظة شديدة واطلاعا واسعا[5].

---

(١) تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر: ١٢٣/ الرقم ٧١.

(٢) تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر: ٢٢٨/ الرقم ١٩٥.

(٣) السبجة بالضم: كساء أسود. يقال تسبج الرجل، إذا لبسه. والسبج هو الخرز الأسود، فارسي معرب.

الصحاح، الجوهري: ١/ ٣٢١، مادة «سبج».

(٤) طب الأئمة، السيد شبر: ١١، المقدمة بقلم السيد محمد معصوم.

(٥) حق اليقين، السيد عبد الله شبر: ١٢، المقدمة بقلم السيد جواد شبر.

منزلته العلمية

وقال[1]: أما السيد المترجم له أعلى الله مقامه من مشاهير العلماء الذين لهم الصيت الذائع في الفنون الإسلامية كلها، فهو إلى جنب فقاهته التي هي الأصل في ثقافته معروف بتبحره في التفسير والحديث والكلام وغيرها، وله في كل ذلك مؤلفات شائعة هي في الطليعة من مؤلفات مشاهير العلماء، وكفى أنه يعد في الحديث من أشهر مشايخ الإجازة في عصره، وأكثر سلسلة الإجازات عند المتأخرين ترجع إليه، فكان في وقته مرجعا كبيرا للطائفة الإمامية من ناحية التقليد، والتدريس، والإستفادة العلمية، وإجازة الحديث.

ولا تقف على نتاجه العلمي وتقرأ عدد مؤلفاته التي تنيف على السبعين، وهو لم يتجاوز من عمره ٥٤ سنة حتى يتمثل لك في سعة التأليف، وبراعته، العلامة الحلي ﵀، أو العلامة المجلسي، ولاتجد نظيرا لهما غير سيدنا المترجم له.

وأمثال هؤلاء الأعلام لا يسمح بهم الزمن إلا في فترات متباعدة، وسنين متطاولة، فيجمع منهم قوة الحافظة الخارقة إلى البراعة في سرعة التأليف النادرة إلى الحرص العظيم على وفرة الإنتاج العلمي، إلى الصبر والجلد على البحث والتدوين، إلى الذكاء المفرط، إلى دقة الملاحظة السريعة، إلى النشاط العقلي العجيب، إلى كل ما من شأنه من الصفات أن يخلق من صاحبها نابغة من نوابغ العلم وبطلا من أبطاله.

ويتمثل لك هذا النبوغ العلمي العجيب كاملا عندما تطلع على موسوعته الكبيرة في الحديث، كتابه: (جامع المعارف والأحكام) الذي لا يزال مخطوطا، فإنه حوى جميع أخبار أهل البيت ﵈ بما يغني عن جميع كتب الأخبار على غرار

(١) السيد جواد شبر.

موسوعة العلامة المجلسي ودائرة معارفه الموسومة بـ(بحار الأنوار) فإن السيد كان يحذو حذوه حتى لقبه أهل عصره بـ(المجلسي الثاني) غير أن المشهور عن المجلسي قدس سره أن له لجانا خاصة تسير حسبما يوجهها، وتساعده على الإستكتاب والتنقيب، والسيد كان أمة بنفسه[١] [٢].

عمله

عرفت انهماك السيد في التأليف والتصنيف، وعرفت أنه قد كرس جميع أوقاته في النهار لهذه المهمة، وأنه كان قد وقف نفسه للقيام بحاجات الناس وشؤونهم، أما الليل فقد فرغ منه قسما كبيرا للعبادات والمناجاة، وغير ذلك مما يقوم به العبد الصالح اتجاه بارئه ومصوره وبالجملة فقد جبل السيد من عمل، فهو لا يرى إلا حالاّ مسألة، أو مشغولا بدفع مشغلة، أو سائرا في قضاء حاجة، فسبحان الذي صنعه فأتقن صنعه، وصوره فأحسن تصويره، فقد جعله مثالا للمكارم، وجامعا لشتى الفضائل[٣].

طريقته في التأليف

كان يجلس في مجلسه العام بيمناه القلم، وبيسراه القرطاس، يؤلف تارة، ويتحدث إلى زائريه أخرى، ثم تأتي خلال ذلك الدعاوي فيحلها أحسن حل، فلا كثرة الزائرين، ولا ضجيج المشتكين بشاغلين له عن التأليف والتصنيف، وهكذا النفوس الكبيرة إذا كانت قد تذوقت حلاوة العلم، فإنها لا محالة تذلل في سبيله كل صعب، وهي لا محالة تجتاح من طريقه كل عقبة كؤود[٤].

---

(١) يقول السيد جواد شبر: توجد من هذه الموسوعة في مكتبة سيدي الوالد تسعة مجلدات بالقطع الكبير بخط المؤلف.

(٢) حق اليقين، السيد عبد الله شبر: ١٢، المقدمة بقلم السيد جواد شبر.

(٣) طب الأئمة، السيد عبد الله شبر: ١١، المقدمة بقلم السيد محمد معصوم.

(٤) نفس المصدر: ٦.

أولاده

السيد حسين.

السيد حسن.

السيد محمد.

السيد جعفر.

السيد موسى.

السيد جواد[1].

قالوا فيه

١ - العلامة المحقق عبد النبي الكاظمي، قال:

عبد الله بن محمد رضا الحسيني الشبري. قرأت عليهما، واستفدت منهما، وهما ثقتان عينان، مجتهدان، فاضلان، فقيهان، ورعان، حازا الخصال الحميدة، والسيد عبد الله - سلمه الله - حاز جميع العلوم الشرعية، وصنف في أكثر العلوم الشرعية، من التفسير، والفقه، والحديث، واللغة، والأخلاق، والأصولين، وغيرها، فأكثر وأجاد، وأوضح طريق السداد، وألهم صوب الصواب، جزاه الله خير الثواب، وسلك مسلك أولي الرشاد وأفاد، وانتشرت أكثر كتبه في الأقطار، وملأت الأمصار، ولم يوجد قط أحد مثله في سرعة التصنيف، وجودة التأليف[2].

٢ - السيد محمد معصوم أحد تلامذة السيد شبر، قال:

الإمام شبر من الشخصيات الخصبة التي سيخلدها التاريخ، وشخصية الإمام شبر من الشخصيات الفذة التي سيمجدها الخلف، كما كان يمجدها السلف، ولقد ضم إلى ثروته العلمية حافظة نادرة، واطلاعا واسعا، وضبطا شديدا[3].

---

(١) معجم رجال الفكر و الأدب، الأميني: ٢/ ٧١٠.

(٢) تكملة الرجال، عبد النبي الكاظمي: ٢/ ٩٢، حرف العين.

(٣) أذكياء الفقهاء والمحدثين، الحكيمي: ٢٢٢.

٣ - المحقق الكبير الشيخ عباس القمي، قال:

السيد عبد الله بن السيد محمد رضا الشبر الحسيني الكاظمي الفاضل النبيل، والمحدث الجليل، والفقيه المتبحر، الخبير العالم، الرباني المشتهر في عصره بالمجلسي الثاني، صاحب شرح المفاتيح[١].

٤ - السيد جواد شبر، قال:

وحسبك أن تقرأ الكتاب الذي بين يديك فترى أنك أمام فيلسوف من فلاسفة الإسلام، يقف بك على أسرار التشريع الإسلامي، وحكم الشريعة المحمدية، فيجلو الأحاديث المشكلة، ويزفها ناصعة معجبة، تستلذها العقول، وتترشقها الأرواح[٢].

وأطنب بذكره وفرة من العلماء، منهم السيد الخوانساري في روضات الجنات، والشيخ علي كاشف الغطاء في الحصون المنيعة، والمرحوم السيد حسن الصدر في كتابه تكملة أمل الآمل، ولسيدنا الكبير ذكر في كتب أخرى كثيرة[٣].

مشايخه

١ - قرأ على والده (السيد محمد رضا شبر)، المتوفي سنة ١٢٠٨ هـ أول أمره.

٢ - السيد محسن الأعرجي صاحب المحصول، المتوفي سنة ١٢٢٧ هـ.

٣ - الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي، المتوفي سنة ١٢٤١ هـ.

٤ - الشيخ أسد الله الكاظمي، المتوفي ١٢٣٤ هـ.

٥ - السيد علي صاحب الرياض، المتوفي سنة ١٢٣١ هـ.

٦ - الميرزا أبو القاسم القمي صاحب القوانين، المتوفي سنة ١٢٣١ هـ.

٧ - الميرزا محمد مهدي الشهرستاني، المتوفي سنة ١٢١٦ هـ.

٨ - أجازه أن يروي عنه الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفي سنة ١٢٢٧ هـ[٤].

---

(١) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ٢/ ٣٥٢.

(٢) مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، السيد شبر، المقدمة بقلم السيد جواد شبر.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) معارف الرجال، حرز الدين: ٢/١٠.

تلامذته

تتلمذ عليه جمع كبير من العلماء والأفاضل، منهم:

١ - السيد علي العاملي، وله تقريض لكتاب جامع الأحكام لأستاذه السيد شبر[١].

٢ - الشيخ عبد النبي الكاظمي، وأجازه.

٣ - الشيخ إسماعيل إبن أستاذه الشيخ أسدالله.

٤ - الشيخ محمد جعفر الدجيلي.

٥ - الشيخ أحمد البلاغي.

٦ - الشيخ محمد رضا بن الشيخ زين العابدين (زين الدين - بقلم السيد جواد شبر).

وفي التكملة: الشيخ رضا بن الشيخ زين العابدين بن الشيخ بهاء الدين الشهيدي العاملي، ينتهي نسبه إلى الشهيد الأول ﯺ[٢].

٧ - الشيخ مهدي بن الشيخ أسد الله.

٨ - الشيخ إسماعيل الخالصي[٣].

٩ - السيد محمد علي بن السيد كاظم بن صاحب المحصول الأعرجي الكاظمي.

١٠ - الشيخ حسين محفوظ العاملي[٤].

١١ - الملا محمد الخوئي[٥].

١٢ - السيد هاشم بن السيد راضي.

١٣ - الملا محمد علي التبريزي، وأجازه أيضا.

---

(١) تراجم الرجال، السيد أحمد الحسيني: ١/ ٣٦٥.

(٢) تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر: ٢٠٧/ الرقم ١٧٨.

(٣) في الأعيان: الشيخ محمد إسماعيل الخالصي.

(٤) في الأعيان: الشيخ حسن بن محفوظ العاملي.

(٥) في الأعيان: المولى محمود الخوئي.

١٤ - الشيخ حسن التبريزي[(١)].

١٥ - ولده السيد حسن صاحب تتمة شرح النهج[(٢)] [(٣)].

١٦ - السيد علي إبن السيد محمد الأمين[(٤)].

١٧ - البحاثة الفاضل السيد محمد معصوم[(٥)].

تصانيفه ومؤلفاته

حكي عنه أنه قال : إن كثرة مؤلفاتي من توجه الإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام ، فإني رأيته في المنام فأعطاني قلما، وقال : أكتب ، فمن ذلك الوقت وفقت لذلك ، فكل ما برز مني فمن بركة هذا القلم[(٦)].

ولقد اجتمع مع بعض العلماء، وكان السيد قد فرغ من قراءة الفاتحة للشيخ المفيد، وشيخه ابن قولويه، فقال له ذلك العالم : يا سيدنا إني أريد أن أسالك عن مسألتين: عن أمر المعيشة ، وسرعة التصنيف؟ فأجابه السيد: بأن أمر المعيشة موكول إلى الله عز وجل، وأما سرعة التصنيف، فإني قد رأيت الإمام سيد الشهداء أبا عبد الله الحسين عليه السلام في عالم الرؤيا، فقال لي: أكتب، وصنف فإنه لا يجف قلمك حتى تموت[(٧)].

---

(١) في رسالة ترجمة المؤلف للسيد محمد معصوم: الملا حسين التبريزي.

(٢) في الأعيان: ومنهم: السيد حسين ولد المترجم.

(٣) معارف الرجال، حرز الدين: ٢/ ١١. طب الأئمة، السيد شبر: ١٢ - ١٣، ترجمة المؤلف بقلم تلميذه السيد محمد معصوم في مقدمة الكتاب.

(٤) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ١٢/ ١٠٣.

(٥) مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، آقا بزرك الطهراني: ٢٣٨. حق اليقين، السيد شبر: ١٤ - ١٥، مقدمة الكتاب بقلم السيد جواد شبر، تلامذته والرواة عنه.

(٦) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ٢/ ٣٥٢. هدية الأحباب، القمي: ٢٢٢. سفينة البحار، الشيخ عباس القمي: ٦/ ٧٩.

(٧) أذكياء الفقهاء والمحدثين، الحكيمي: ٢٢١.

وقد كتب في آخر بعض مصنفاته : شرعت فيها عند العشاء، وتمت عند نصف الليل[1].

وكان (ﺗﺪﺱ ﺳﺮﻩ) من عادته في جملة من مؤلفاته، يكرر الكتاب الواحد، بتلخيصه واختصاره[2].

وفيما يلي أسماء مصنفاته التي عثرنا عليها ممن ترجموا له :

١ - نهج العارفين (كتاب فارسي في الأخلاق) يحتوي على ١٥٠٠ بيتا[3].

٢ - رسالة فارسية في عمل اليوم والليلة، ألف بيت.

٣ - الدر المنثور في المواعظ المأثورة عن الله تعالى والنبي والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) والحكماء، ٢٠ ألفا.

٤ - رسالة في حجية الخبر الواحد من الأخبار.

٥ - أعمال السنة: كتاب على نمط زاد المعاد، للعلامة المجلسي، في سبعة آلاف بيت.

٦ - ذريعة النجاة في تعقيب الصلاة، في ٧٥٠٠ بيتا.

٧ - رسالة في حجية العقل وفي الحسن والقبح العقليين، في أربعة آلاف.

٨ - رسالة في تكليف الكفار بالفروع.

٩ - شرح الحقائق في الأحكام (لم يكمل).

١٠ - الدر المنظوم في مشكلات العلوم، (لم يكمل).

١١ - علم اليقين في طريقة القدماء والمحدثين، في ثلاثين ألفا.

١٢ - الجوهرة المضيئة في الواجبات الأصلية والفرعية.

١٣ - زينة المؤمنين وأخلاق المتقين، في مكارم الأخلاق.

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ١٢/ ١٠٣.

(٢) معارف الرجال، حرز الدين: ١/ ١١.

(٣) يصطلح القدماء على البيت ما اشتمل على خمسين حرفا، وهو ما يساوي سطرا.

١٤ - الرسائل الخمس الاستدلالية في العبادات.

١٥ - سفينة النجاة في ١١٠٠ بيت .

١٦ - الشهب الثاقبة.

١٧ - مصباح الظلام في شرح مفاتيح شرائع الإسلام، كتاب ضخم ، يحتوي على عدة مجلدات:

(الأول) مجلد في شرح ديباجته ، في ٢٢ ألفاً.

(الثاني) في الطهارة، والصلاة ، في ٦٠ ألفاً.

(الثالث) في الزكاة، والخمس، والصوم، في ٢٠ ألفاً.

(الرابع) في الحج، ١٠ آلاف.

(الخامس) في النذر، أو أخويه، والحدود، والجنائز، في ٣٠ ألفاً.

(السادس) في النكاح، في ٣٥ ألفاً.

(السابع) في المعاملات، في ٣٧ ألفاً.

(الثامن) في القضاء، والشهادات إلى الآخر، في ١٥ ألفاً.

قال الشيخ عبد النبي الكاظمي: مصابيح الظلام في شرح مفاتيح شرائع الإسلام.

وذكر التفصيل أعلاه. وذكره باسم: مصابيح الظلام، حرز الدين في معارف الرجال.

١٨ - المصباح الساطع في شرح المفاتيح، ولكنه أكثر اختصاراً من الشرح السابق، يحتوي على ستة مجلدات، في ١٠٠ ألف بيت.

١٩ - كتاب جامع الأحكام في الأخبار، (قال الشيخ عبد النبي الكاظمي: جامع المعارف والأحكام في الأخبار)، جمع فيه أحاديث الأصوليين، والفقه من الكتب الأربعة، وهو يشتمل على عشرين مجلداً:

(الأول) في التوحيد، في ٢٥ ألفاً.

(الثاني) في المبدأ والمعاد، في ٣٠ ألفاً.

(الثالث) الأصول الأصلية، في ١٢ ألفاً. وفي التكملة للكاظمي: الأصول الأصيلة.

(الرابع) قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، في ٣٠ ألفاً.

(الخامس) أحوال خاتم الأنبياء ﷺ، في ٤٠ ألفاً.

(السادس) القرآن والدعاء، في ٤٠ ألفاً.

(السابع) الطب المروي.

(الثامن) المواعظ والرسائل والخطب.

(التاسع) فيما يتعلق بالنجوم.

(العاشر) الطهارة، في ٢٤ ألفاً.

(الحادي عشر) في الصلاة، في ٧٠ ألفاً.

(الثاني عشر) الزكاة والخمس والصوم، في عشرين ألفاً.

(الثالث عشر) الحج، في خمسين ألفاً.

(الرابع عشر) المزار، في ٢٠ ألفاً.

(الخامس عشر) الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

(السادس عشر) المطاعم والمشارب، إلى الغصب، في ١٥ ألفا.

(السابع عشر) الغصب والمواريث، إلى الديات، في ٢٧ ألفا.

(الثامن عشر) النكاح، في ٣٠ ألفاً.

(التاسع عشر) المعاملات، في ٢٤ ألفاً.

(العشرون) الخاتمة الرجالية، في عشرة آلاف.

قال الشيخ عبد النبي الكاظمي: يشتمل على أربعة عشر مجلدا، وعدها مع اختلاف في عدد أبيات بعض المجلدات، وأسماء البعض الآخر.

٢٠ - ملخص جامع الأحكام، وهو تلخيص الكتاب السابق، يبلغ ٦٠ ألفاً.

٢١ - ثم اختصره اختصارا آخر، يبلغ ٤٠ ألفاً.

٢٢ - جلاء العيون، معرب عن كتاب فارسي للمجلسي، في مجلدين، يبلغ ٢٢ ألفاً.

٢٣ - منتخب الجلاء، مختصر الكتاب السابق، في ١٢ ألفا.

٢٤ - مثير الأحزان في تعزية سادات الزمان، في خمسة آلاف.

٢٥ - تحفة الزائرين، في ١٢ ألفاً.

٢٦ - تحية الزائر.

٢٧ - نخبة الزائر، في ٤ آلاف.

٢٨ - زاد الزائرين، كتاب فارسي. ويتحد العنوان مع الرقم ٦ بفارق عدد الأبيات حيث الأول ٥٥٠٠ بيتا.

٢٩ - ذريعة النجاة، تبلغ ٧٥٠٠ بيتا.

٣٠ - أنيس الذاكرين، في أربعة آلاف.

٣١ - روضة العابدين، في مجلدين.

(الأول) فيما يتعلق بعمل اليوم والليلة وأدعية الأسبوع وسائر ما يحتاج إليه.

(الثاني) في أعمال السنة، يبلغ ١٤ ألفاً.

٣٢ - قصص الأنبياء ، يقرب من ستة آلاف.

٣٣ - كتاب المزار، يجمع بين شرحي العربي والفارسي، يقرب من سبعة آلاف. أنظر: الرقم ٥ كتاب أعمال السنة.

٣٤ - تسلية الفؤاد في الموت والمعاد، في سبعة آلاف.

٣٥ - تسلية الحزين في فقد الأقارب والبنين ، في أربعة آلاف.

٣٦ - تسلية الفؤاد في فقد الأولاد، في ألفين. قال السيد جواد شبر: تسلية الفؤاد في فقد الأحبة والأولاد.

٣٧ – منهج السالكين في علم الأخلاق، في ألف بيت.

٣٨ – صفاء القلوب، في الأخلاق، أيضا في ٢٥٠٠ بيت.

٣٩ – كشف الحجة في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، ١٥٠٠. قال الشيخ عبد النبي، والسيد جواد شبر: كشف المحجة في شرح خطبة الزهراء.

٤٠ – كشف الحجاب، للدعاء المستجاب في شرح دعاء السمات، ٢٠٠٠.

٤١ – اللامعة في شرح الجامعة، في أربعة آلاف. قال السيد جواد شبر: الأنوار اللامعة في شرح الجامعة.

٤٢ – الأخلاق.

٤٣ – رسالة أخلاقية ، طبعت في مطابع بمبي.

٤٤ – المواعظ المنثورة ، تبلغ ١١ ألفاً.

٤٥ – عجائب الأخبار ونوادر الآثار ، في ١٢ ألفاً.

٤٦ – أنوار الساعة في العلوم الأربعة: معارف، وأخلاق، وعجائب المخلوقات، وفقه، في ثمانية آلاف.

٤٧ – تحفة المقلد، رسالة فتوى من أول الفقه إلى آخره ، تبلغ ٣٥ ألفاً.

٤٨ – زبدة الفقه، رسالة إستدلالية في الفقه، في أربعة آلاف. قال السيد جواد شبر: زبدة الدليل: رسالة إستدلالية في الفقه.

٤٩ – خلاصة التكليف في الأصول والعبادات، في ٥٠٠٠.

٥٠ – مطلع النيرين في لغة القرآن وحديث أحد الثقلين، ٣٠ ألفاً.

٥١ – منية المحصلين في حقية طريقة المجتهدين، في ١٢ ألفا. قال السيد جواد شبر: منية المحصلين وأحقية طريقة المجتهدين.

٥٢ – طب الأئمة عليهم السلام، في أحد عشر ألفا.

٥٣ – إرشاد المستبصر، رسالة في الإستخارة، في ألف بيت.

٥٤ – البرهان المبين في فتح أبواب علوم الأئمة المعصومين، في ٣٠ ألفاً.

٥٥ - الحق اليقين في أصول الدين، في مجلدين، يبلغ ١٥ ألفاً.

٥٦ - البلاغ المبين في أصول الدين، في ثلاثة آلاف.

٥٧ - بغية الطالبين في صحة طريقة المجتهدين، ستة آلاف.

٥٨ - رسالة أخرى على نمط بغية الطالبين، قال السيد محمد معصوم: وأظن أن اسمها: المنهج القويم في طريقة القدماء والمحدثين.

٥٩ - الجوهرة المضيئة في الطهارة والصلاة.

٦٠ - رسالة في الحج، ٢٥٠٠ بيت.

٦١ - مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، مجلدان في ٢٢ ألفاً.

٦٢ - صفوة التفاسير: كتاب جليل في تفسير القرآن، في ٦٠ ألفاً.

٦٣ - الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين. في مجلدين، في ٣٠ ألفاً.

٦٤ - التفسير الوجيز: مجلد واحد، في ١٨ ألفاً.

٦٥ - المهذب في الأخلاق، في ١٢ ألفاً.

٦٦ - طريق النجاة ، ١٣٠٠.

٦٧ - كتاب في شرح نهج البلاغة، في ٤٠ ألفاً.

٦٨ - رسالة فارسية، في الفقه.

٦٩ - رسالة أخرى فارسية ، في الطهارة والصلاة.

٧٠ - أحسن التقويم (قال الأميني: أحسن التقاويم). رسالة تتعلق بالنجوم على حسب ماورد في الشرع الأقدس.

٧١ - رسالة فيما يجب على الإنسان.

٧٢ - رسالة في فتح باب العلم والرد على من يزعم إنسداده.

٧٣ - رسالة في عمل اليوم والليلة، تشتمل على أربعين حديثا، على ترتيب الحروف.

٧٤ - أحوال خاتم الأنبياء ﷺ.

٧٥ - جامع المقال في معرفة الرواة والرجال ، كتاب كبير يقع في عدة مجلدات.

٧٦ - ملخص المقال : ملخص لكتابه السابق ، وهو : كتاب كبير أيضا .

٧٧ - الكليات الرجالية ، وله : الفوائد الرجالية ، يظن أنه هو هذا بعينه.

٧٨ - فقه الإمامية ، وهي : رسالة عملية.

٧٩ - تحفة الزائر. ربما يتحد مع الرقم ٢٥، أو ٢٧، في موضوعه.

٨٠ - الدرر المنثورة والمواعظ المأثورة عن الله تعالى والنبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام والحكماء.

٨١ - الأنوار الساطعة في العلوم الأربعة. ولعله متحد مع العنوان رقم ٤٦ أنوار الساعة في العلوم الأربعة.

٨٢ - زاد العارفين في الأخلاق، فارسي. في الغالب إتحاده مع الرقم واحد: نهج العارفين في الأخلاق.

وهناك حواش وأجوبة مسائل كثيرة يطول المقام بذكرها[(١)].

وفاته

توفي سنة ١٢٤٢ هـ، وله أربع وخمسون سنة، ودفن بقرب والده في البقعة الكاظمية، على مشرفيها آلاف التحف السبحانية[(٢)].

---

(١) اعتمدنا في جمع مصنفات السيد المترجم له، السيد عبد الله شبر، على المراجع التالية: تكملة الرجال، الشيخ عبد النبي الكاظمي: ٢ / ٩٢ - ٩٧. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ٢/ ٣٥٢. هدية الأحباب، القمي: ٢٢٢. مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، آقا بزرك الطهراني: ٢٣٨ - ٢٣٩. معجم رجال الفكر والأدب في النجف، د.الأميني: ٢ / ٧١٠. معجم مؤرخي الشيعة، صائب عبد الحميد: ١/ ٥٢٨ - ٥٢٩. معجم المفسرين، عادل نويهض: ١ / ٣٢٦. ترجمة السيد عبد الله شبر بقلم تلميذه السيد محمد معصوم، والتي طبعت في مقدمة كتاب طب الأئمة: ٧ - ١١. ترجمة السيد عبد الله شبر بقلم السيد جواد شبر، والتي طبعت في مقدمة كتاب حق اليقين في معرفة أصول الدين: ٩ - ١٢.

(٢) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ٢ / ٣٥٢. هدية الأحباب، القمي: ٢٢٢. سفينة البحار، الشيخ القمي: ٦ / ٧٩.

قال حرز الدين: توفي في الكرخ، في رجب سنة ١٢٤٢هـ ودفن مع والده في رواق الإمامين الجوادين عليهما السلام[1].

قال الموسوي في ترجمة والد المؤلف السيد محمد رضا بن محمد آل شبرالحسيني: توفي بالكاظمية حدود سنة ١٢٠٨ هـ ، ودفن في رواق الإمامين الجوادين عليهما السلام، كان من فضلاء عصره ، ودفن معه ولده العالم الجامع السيد عبد الله شبر المولود بالنجف حدود سنة ١١٨٨هـ، و المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ ، الذي ذاع صيته حتى عرفت أسرته واشتهرت به[2].

---

(١) معارف الرجال، حرز الدين: ١ / ١١.

(٢) تاريخ المشاهد المشرفة، السيد حسين الموسوي: ٣٤٥، محمدرضا بن محمد آل شبر الحسيني/ الرقم ٣٥٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان[1] وفطره على صبغة الإيمان[2] وعلّمه المعارف والبيان[3] وأنعم عليه بالتفضل والإحسان[4] وأرشده إلى اقتناء الفضائل والفواضل وحذره وأنذره عن ارتكاب الرذائل[5] وفرض تحسين الأخلاق إلى

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ سورة التين/ ٤.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ سورة الروم/ ٣٠.

وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً﴾ سورة البقرة/ ١٣٨.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيانَ﴾ سورة الرحمن/ ٣ ـ ٤.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ ۝ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَنِعْمَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ سورة الحجرات/٧ ـ ٨.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبادِ﴾ سورة آل عمران/٣٠.

اجتهاد العبد فيها[١] وتشهيره واستحثه[٢] على تهذيبها[٣] من الرذائل[٤] بتخويفه وتحذيره وسهَّل عليه تحسينها بتوفيقه وتيسير ما إمتن عليه بتسهيل الصعب منها وعسيرها والصلاة على النبي الكريم المنعوت في الفرقان الحكيم بأنك ﴿**لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٥] وآله القربى الذين حث الله على حبِّهم[٦] وأهل الذكر الذين أمر الله بمسألتهم[٧] وأولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم[٨].

---

(١) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عزّوجل خَصَّ رُسُلَهُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، فَامْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحْمَدُوا اللَّهَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ، وَإِنْ لا تَكُنْ فِيكُمْ فَاسْأَلُوا اللَّهَ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِيهَا، قَالَ فَذَكَرَهَا عَشَرَةً: الْيَقِينَ وَالْقَنَاعَةَ وَالصَّبْرَ وَالشُّكْرَ وَالْحِلْمَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءَ وَالْغَيْرَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْمُرُوءَةَ. قَالَ: وَرَوَى بَعْضُهُمْ بَعْدَ هَذِهِ الْخِصَالِ الْعَشَرَةِ، وَزَادَ فِيهَا: الصِّدْقَ وَأَدَاءَ الأَمَانَةِ.

الكافي، الكليني: ٢/ ٥٧، كتاب الإيمان والكفر، باب المكارم/ ح٢.

(٢) أعجله وعجله تعجيلا: إذا استحثه.

الصحاح، الجوهري: ٥/١٧٦٠، مادة "عجل".

(٣) المهذب: المخلص من العيوب.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/٤٠، مادة "هذب".

(٤) رذال كل شيء: رديئه.

الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٧٠٨، مادة "رذل".

(٥) سورة القلم/ ٤.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ سورة الشورى/٢٣.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ سورة النحل/ ٤٣.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ سورة النساء/ ٥٩.

أما بعد فيقول العبد المذنب العاصي الغريق في بحار الآثام والمعاصي أفقر الخلق إلى ربه الغني عبد الله بن محمد رضا الحسيني[1] رزقهما الله خير الدارين وأذاقهما حلاوة النشأتين وحباهما بما تقر به العين بمحمد وآله المصطفين لا يخفى على أولي البصائر النقَّادة وذوي الأفهام الوقادة فضيلة علم الأخلاق[2] وشرافته وجلالة قدره ورفعة شأنه ونباهته وأنه قوام الدين ونظام العالمين وطلبه فرض على جميع المسلمين وبه يحصل التأسي[3] بسيد المرسلين وعترته الطاهرين فإن الأخلاق الحسنة هي المنجيات والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة المهلكات المبعدة من جوار رب العالمين والمنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين[4] وأمراض القلوب

---

(١) أنظر: مقدمة التحقيق، ترجمة المؤلف.

(٢) علم الأخلاق: "مجموعة من المبادئ المعيارية التي ينبغي أن يجري السلوك البشري على مقتضاها، والياء في المعيارية نسبة إلى المعيار الذي يقاس به غيره، أي: أن مبادئ الأخلاق ترسم طريق السلوك الحميد وتحدد أهدافه وبواعثه. وموضوع الأخلاق: سلوك الإنسان وأفعاله الصادرة عنه بإرادة مباشرة أو بالواسطة، ومرادنا بالواسطة هنا، أن علم الأخلاق يدين المخطئ إذا قصر وأهمل الاحتياط والتحفظ. طبعا مع قدرته عليه حيث لا تقصير مع العجز.
فلسفة الأخلاق في الإسلام، محمد جواد مغنية: ١٢.

(٣) أسوة وإسوة، أي: قدوة.
لسان العرب، ابن منظور: ٣٥/١٤، مادة "أسا".
وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ سورة الأحزاب/ ٢١.

(٤) قال علي بن موسى الرضا عليه السلام، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سيئ الخلق في النار لا محالة. وقال عليه السلام: حسن الخلق زمام من رحمة الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الملك، والملك يجره إلى الخير، والخير يجره إلى الجنة، و سوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الشيطان، والشيطان يجره إلى الشر، والشر يجره إلى النار.
جامع الأخبار، الشعيري: ١٠٧، الفصل ٦٤ في الأخلاق.

والنفوس المضرة بالأديان أعظم ضرراً من أمراض الأجساد والأبدان إذ تلك مغوية لحياة الجسد وهذه تفوِّت حياة الأبد ووجوب ذلك الطب كفائي[1] وتعلم هذا الطب واجب عيني[2][3]، وهذه أوراق قليلة حائزة لفوائد جليلة قد اشتملت على زبدة هذا العلم الشريف وجمعت خلاصة هذا الطب المنيف[4] من خصوص

(١) الواجب الكفائي: الواجب الذي لو قام به البعض بحد الكفاية (أي: بالعدد الكافي) سقط عن الآخرين، كغسل الميت.

معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د.أحمد فتح الله: ٤٣٩.

(٢) الواجب العيني: ما يكلف به أعيان المكلفين، ولا يسقط بفعل بعضهم له عن الباقين، أي: هو الواجب على كل فرد مكلف، كالصلاة.

معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د. أحمد فتح الله: ٤٣٨.

(٣) قال الغزالي: أما بعد: فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين. والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن، والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد، وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد؟ ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية، فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت، فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد.

إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤٥/٣، كتاب رياضة النفس.

(٤) أناف الشيء على غيره: ارتفع وأشرف. ويقال لكل مشرف على غيره: إنه لمنيف.

لسان العرب، ابن منظور: ٣٤٢/٩، مادة "نوف".

أمراض القلوب وتفصيل العلاجات وبيان الخصال المنجيات والرذائل المهلكات وقد رصعت[1] بجواهر الآيات القرآنية ودرر الأحاديث المعصومية والبراهين اليقينية والدلائل العقلية والشواهد النقلية وهي وإن صدرت ممن هو من الذين ﴿**يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ**﴾[2] ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم[3] ولا يأتمرون وينهون عن المعاصي والآثام ولا ينتهون والمواعظ والنصائح إن صدرت عن مجرد اللسان لم تتجاوز الأسماع وزلت كما يزل الماء عن الصفا[4] وإن صدرت عمَّن اتصف بها

---

(١) الترصيع: التركيب. يقال: تاج مرصع بالجواهر، وسيف مرصع، أي: محلى بالرصائع.
الصحاح، الجوهري: ١٢١٩/٣، مادة "رصع".

(٢) سورة الشعراء/ ٢٢٦.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ سورة البقرة/٤٤.

(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا.
الكافي، الكليني: ٤٤/١، كتاب فضل العلم، باب استعمال العلم/ ح٣.
وعن محمد بن أبي عائشة قال: إذا أراد المتكلم بكلامه غير الله نزل عن قلوب جلسائه كما نزل الماء عن الصفا.
تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢٩٩/٥٣، حرف العين، في أسماء آباء المحمدين، محمد بن أبي عائشة.
عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمَّا أُهْبِطَ إِلَى الأَرْضِ أُهْبِطَ عَلَى الصَّفَا، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الصَّفَا، لأَنَّ الْمُصْطَفَى هَبَطَ عَلَيْهِ فَقُطِعَ لِلْجَبَلِ اسْمٌ مِنِ اسْمِ آدَمَ، يَقُولُ اللَّهُ عزّوجل: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ﴾ سورة آل عمران/ ٣٣. وَأُهْبِطَتْ حَوَّاءُ عَلَى الْمَرْوَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيتِ الْمَرْوَةُ مَرْوَةً لأَنَّ الْمَرْأَةَ هَبَطَتْ عَلَيْهَا فَقُطِعَ لِلْجَبَلِ اسْمٌ مِنِ اسْمِ الْمَرْأَةِ، وَهُمَا جَبَلانِ عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ.
الكافي، الكليني: ١٩١/٤ ـ ١٩٢، كتاب الحج، باب في حج آدم عليه السلام/ ح٢.

أثرت في القلوب كالنقش في الحجر إلا أن العذر في الأول زيادة البصيرة في التقصير والقصور والمقت للنفس والذل والانكسار والاطلاع على بواطن العيوب وقبائح الأمور والعذر في الثاني أنها لم تصدر على لسان المذنب الجاني بل كان مصدرها من معادن[1] الوحي والتنزيل وأرباب العلوم والحقائق والتأويل الذي هبط في بيوتهم جبرئيل وعلماء الدين المبين وقوام شريعة سيد المرسلين ونواب الأئمة الطاهرين وقد رتبتها على مقدمة وأبواب وفصول والتوفيق من الله مسؤول والتأييد منه مطلوب ومأمول و«العذر عند كرام الناس مقبول»[2] وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) المعدن: مكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه نحو معدن الذهب والفضة والأشياء. لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٢٧٩، مادة "عدن".

(٢) روح المعاني، الآلوسي: ٨٢/١٣، تفسير سورة يوسف.

المقدمة

الفصل الأول:

في مدح حسن الخلق وذم سيئه

في الكافي عن الباقر عليه السلام قال: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: «ما يتقدم[3] المؤمن على الله عزّوجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يصنع[4] الناس بخلقه»[5].

---

(١) الكافي، الكليني: ٢/٩٩، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق/ ح١.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/٩٩، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق/ ح٢.

(٣) في المصدر: "ما يقدم".

(٤) في المصدر: "يسع".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/١٠٠، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق/ ح٤.

وعنه عليه السلام[1] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق[3]، يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[4].

وقال عليه السلام[5]: «إن الخلق الحسن ليميث[6] الخطيئة كما تميث الشمس الجليد»[7].

وقال عليه السلام[8]: «إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح»[9].

وقال عليه السلام[10]: «إن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم»[11].

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/١٠٠، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق/ ح٥.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/١٠٠، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق/ ح٦.

(٤) أعلام الدين، الديلمي: ١٢٠، باب صفة المؤمن. وفيه عن الصادق عليه السلام: «البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار».

(٥) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٦) في المصدر: "يميث".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/١٠٠، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق/ ح٧.

(٨) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٩) الكافي، الكليني: ٢/١٠١، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق/ ح١٢.

(١٠) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(١١) الكافي، الكليني: ٢ / ١٠٣، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق/ ح١٨. وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٢/١٤٩، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، باب ١٠٤ استحباب حسن الخلق مع الناس/ ح٤.

وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق، فتلا قوله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ**﴾[1]، ثم قال ﷺ: «وهو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»[2].

وقال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[3].

وجاء رجل إليه ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدين؟ فالتفت إليه فقال: «أما تفقه! هو أن لاتغضب».

وقيل: يا رسول الله ما الشوم؟ فقال: «سوء الخلق».

وسئل ﷺ: أي الأعمال أفضل فقال: «حسن الخلق».

وقال ﷺ: «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[4].

وقال ﷺ: «أبى الله عزّوجل لصاحب الخلق السيء بالتوبة». قيل: وكيف ذلك[5] يا رسول الله؟، قال: «إذا[6] تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه»[7].

---

(١) سورة الأعراف/ ١٩٩.

(٢) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/٨٩، باب العتاب.

(٣) تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/٨٥ ، تفسير سورة القلم.

(٤) أنظر: مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/٨٩ ــ ٩٠، باب العتاب.

(٥) في الكافي: "ذاك".

(٦) في الكافي: "لأنه إذا".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/٣٢١، كتاب الإيمان والكفر، باب سوء الخلق/ ح٢.

وقال الصادق عليه السلام: «إن سوء الخلق ليفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»[١].

وقال عليه السلام[٢]: «من ساء خلقه عذّب نفسه»[٣].

وقال بعض العارفين[٤]: سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات[٥].

وقال الله تعالى: ﴿**ولَكُمْ**[٦] **فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[٧].

قال بعض العلماء[٨]: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، لم تمس قط يده يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة

---

(١) الكافي، الكليني: ٣٢١/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب سوء الخلق/ ح٣.

(٢): أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٣) الكافي، الكليني: ٣٢١/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب سوء الخلق/ ح٤.

(٤) هو: يحيى بن معاذ الواعظ، أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ: أحد رجال الطريقة، ذكره أبو القاسم القشيري في "الرسالة"، وعده من جملة المشايخ، وقال في حقه: "نسيج وحده في وقته". له لسان في الرجاء خصوصا، وكلاما في المعرفة، خرج إلى بلخ، وأقام بها مدة، ورجع إلى نيسابور ومات بها"، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائتين بنيسابور.

وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٣/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦/ الرقم ٧٩٤.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ٥١١/٣، "حرف الحاء". وذكر صدر الحديث إلى "كثرة الحسنات" ورام بن أبي فراس في كتابه مجموعة ورام: ١/ ٩٠، باب العتاب.

(٦) في القرآن الكريم نص الآية: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً﴾.

(٧) سورة الأحزاب/ ٢١.

(٨) من هنا إلى بداية الفصل الثاني مجموعة من أوصاف الرسول صلى الله عليه وآله تتخللها أحاديث رويت عن أهل البيت عليهم السلام، وأقوال لعلماء، ووصف حكماء لذات النبي المقدسة صلى الله عليه وآله، انتخبنا لها مجموعة من المصادر التي وردت فيها هذه النصوص مع اختلاف يسير في نهاية الفصل الأول دون الإشارة ضمن الفصل إلى مراجع الجمل بسبب تكرار نفس المصدر مرات كثيرة لذا ذكرناها مجموعة في آخر الفصل.

نكاحها أو لا تكون ذات رحم محرم منه، وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل ولم يجد من يعطيه فجاءه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم مصالح أهله ويقطع اللحم معهن.

وكان أشد الناس حياءً، لا يثبت بصره في وجه أحد، يجيب دعوة الحر والعبد، ويقبل الهدية ولو كانت جرعة لبن ويكافئ عليها، ولا يأكل الصدقة، ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي بين أعدائه وحده بلا حارس. أشد الناس تواضعاً، وأسكنهم في غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بشراً، لا يهوله شيء من أمور الدنيا ولم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً.

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد، ولا يتورع من مطعم حلال، ويلبس ما وجد، ويركب ما أمكنه مرة فرساً ومرة بعيراً ومرة بغلة شهباء ومرة حماراً ومرة يمشي راجلاً، يعود المرضى في أقصى المدينة، يحب الطيب ويكره الروائح الرديئة، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، ويصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، ولا يجفو أحداً، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً، ويضحك من غير قهقهة، وترفع الأصوات عليه فيصبر، وما لعن امرأة ولا خادماً، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، ويبدأ من لقيه بالسلام، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر، ولا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله.

وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنه حيث ما انتهى به المجلس جلس فيه، وأكثر ما يجلس مستقبل القبلة.

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاءً، وكان أرأف الناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس، أفصح الناس منطقاً وأحلاهم، وأوجز الناس كلاماً، يجمع كل ما أراد مع الإيجاز، يتكلم بجوامع الكلم، طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، ولا يقول المنكر ولا يقول في الغضب والرضا إلا الحق.

وكان أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي، ولا يأكل الحار، ويأكل مما يليه، ويأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة، ويأكل خبز الشعير غير منخول، وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث، وما ذم طعاماً قط ولكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه، وكان يلعق[1] الصحفة فيقول: آخر الطعام أكثر بركة. ويلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر، وكانت ثيابه كلها مشمراً فوق الكعبين.

وكان ﷺ أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع القدرة، وكان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن، يعرف في وجهه غضبه ورضاه.

---

(١) لعقت الشيء بالكسر، ألعقه لعقا، أي: لحسته.
الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٥٥٠، مادة "لعق".

وكان ﷺ أجود الناس وأسخاهم كفاً، وأوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة[1]، وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه وما سئل عن شيء على الإسلام قط إلا أعطاه.

وقال علي عليه السلام: «لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً».

وقال أيضاً[2] عليه السلام: «كنا إذا حمي البأس ولقي العدو القوم اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه».

وكان ﷺ أشد الناس تواضعاً في علو منصبه، يستردف[3]، ويعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويخصف[4] النعل ويرقع الثوب، وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك، وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم.

وأتي ﷺ برجل فأرعد من هيبته، فقال: «هوِّن عليك فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»[5].

---

(١) العريكة: الطبيعة، يقال: فلان لين العريكة: إذا كان سلسا مطواعا منقادا قليل الخلاف والنفور.
مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٣/ ١٦٨، مادة "عرك".

(٢) أي: «الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام».

(٣) الترادف: التتابع. وأردفه أمر: لغة في ردف، مثل تبعه وأتبعه.
الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٣٦٣، مادة "ردف".

(٤) الخصفة: القطعة مما يخصف به النعل، والمخصف: مثقبه.
كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ١٨٨، مادة "خصف".
خصف النعل: خرزها.
مختار الصحاح، الرازي: ١٠٠، مادة "خصف".

(٥) القديد: اللحم المملوح المجفف في الشمس.
النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/٢٢.

وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم، فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه، حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً، فبنوا له دكاناً من طين، فكان يجلس عليه.

وكان لا يدعوه أحد إلا قال: «لبيك». وكان إذا جلس مع الناس إن تحدثوا في معنى الآخرة أخذ معهم، وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم[1]. صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

الفصل الثاني:

في معنى الخلق وكيفية تهذيبه

الخُلق - بالضم - عبارة عن الصورة الباطنة، كما أن الخَلق - بالفتح - عبارة عن الصورة الظاهرة[2]. يقال: «فلان حسن الخلق والخلق»، أي: الظاهر والباطن، ولكل منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة:

---

(١) أنظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ١/ ١٤٥ ـ ١٤٧، باب ذكر سيدنا رسول الله ﷺ، فصل في آدابه ومزاحه. مكارم الأخلاق، الطبرسي: ١٥ ـ ١٧، الفصل الثاني في نبذ من أحواله وأخلاقه من كتاب شرف النبي ﷺ وغيره، في تواضعه وحيائه ﷺ. بحار الأنوار، المجلسي: ١٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٩، كتاب تاريخ النبي ﷺ، باب ٩ مكارم أخلاقه وسيره وسننه ﷺ/ ح٣٤. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢/ ٣٢٠ ـ ٣٤٣، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار.

(٢) كشاف القناع، البهوتي: ١/ ٧٧، كتاب الطهارة، باب السواك. وفيه: الخلق، الأول بفتح الخاء: الصورة الظاهرة، والثاني بضمها: الصورة الباطنة.

فالخُلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عن تلك الهيئة أفعالاً جميلة محمودة عقلاً وممدوحة شرعاً سميت تلك الهيئة «خلقاً حسناً»، وإن كان الصادر منها أفعالاً قبيحة سميت «خلقاً سيئاً».

وإنما اشترط فيها الرسوخ[1] لأن من يصدر عنه بذل المال مثلاً على الندرة لحاجة عارضة لا يقال «خلقه السخاء» ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ.

وإنما شرطنا السهولة لأن من يكلف بذل المال لا يقال «خلقه السخاء».

وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء، ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع آخر، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء، ولا عبارة عن القدرة لأن نسبة القدرة إلى الضدين واحدة، ولا عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد، بل هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة.

وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك لا بد في الباطن من أربعة لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت

---

(١) رسخ: رسخ الشيء يرسخ رسوخا: ثبت في موضعه، وأرسخه هو.

والراسخ في العلم: الذي دخل فيه دخولا ثابتا. وكل ثابت راسخ، ومنه: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ سورة آل عمران/ ٧. وأرسخته إرساخا كالحبر رسخ في الصحيفة. والعلم يرسخ في قلب الإنسان. والراسخون في العلم في كتاب الله: المدارسون، ابن الأعرابي: هم الحفاظ المذاكرون، قال مسروق: قدمت المدينة فإذا زيد بن ثابت من الراسخين في العلم. خالد بن جنبة: الراسخ في العلم البعيد العلم.

لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ١٨، مادة "رسخ".

الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق، وهي: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث:

أما قوة العلم: فحسنها وصلاحها من أن تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا تحصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة التي هي رأس الأخلاق الحسنة ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[1].

وأما قوة الغضب والشهوة: فحسنهما في أن يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما تقتضيه الحكمة والدين.

وأما قوة العدل: فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع، فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير، وقوته القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لإشارته، والغضب والشهوة تنفذ فيهما الإشارة.

ومثال الغضب مثال كلب الصيد، فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان النفس، والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد، فإنها تارة تكون مروضاً مؤدباً وتارة تكون جموحاً، فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً، ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة، كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون البعض.

وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة، وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة، فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة

(١) سورة البقرة/ ٢٦٩.

سمي ذلك تهوراً، وإن مالت إلى الضعف والنقصان سمي ذلك جبناً وخوراً[١]، وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة سمي شرهاً[٢]، وإن مالت الى النقصان سمي خموداً[٣].

والمحمود هو الوسط، وهو العدل والفضيلة، والطرفان رذيلتان مذمومتان، والعدل إذا فات فليس له طرفان بزيادة ونقصان، بل له ضد واحد وهو الجور.

وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خباً وجربزة[٤]، ويسمى تفريطها بلهاً[٥]، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة[٦].

فإذاً أمهات الأخلاق الحسنة والجميلة وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل.

---

(١) خار الحر والرجل يخور خؤورة: ضعف وانكسر.
الصحاح، الجوهري: ٢/٦٥١، مادة "خور".

(٢) الشره: غلبة الحرص.
مختار الصحاح، الرازي: ٢٠٤، مادة "شره".

(٣) خمد القوم إذا لم تسمع لهم حسا، وقوم خمود. وخمدت النار خمودا: سكن لهبها، وإذا طفئت، قيل: همدت.
كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٢٣٥، مادة "خمد".

(٤) جربز الرجل: ذهب، أو: انقبض. والجربز: الخب من الرجال، وهو: دخيل.
لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ٣١٨، مادة "جربز".

(٥) البله: الغفلة عن الشر.
كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٥٥، مادة "بله".

(٦) أنظر: شرح الأسماء الحسنى، السبزواري: ١/ ٦٨.

ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربعة إلا رسول الله ﷺ، ولهذا أثنى الله عليه قائلاً: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[١].

والناس بعده يتفاوتون في القرب والبعد، فينبغي أن يقتدى به، فإنه ﷺ قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٢].

وقد أشار الله تعالى إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ﴿**إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ**﴾[٣].

فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال، وقد وصف الله تعالى به قوماً فقال: ﴿**أَشِدّاء عَلَى الْكُفّارِ رُحَماء بَيْنَهُمْ**﴾[٤]، إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً، وليس الكمال بالشدة في كل حال ولا في الرحمة بكل حال[٥].

(١) سورة القلم/ ٤.

(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/٨٦، تفسير سورة القلم. تفسير القرطبي، أبي عبد الله القرطبي: ٣٤٥/٧. وفيهما: "إنما بعثت ... الحديث.

سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي: ١/ ٥٠٥، الباب الثالث في ذكر ما وقفت عليه من أسمائه ﷺ.

(٣) سورة الحجرات/١٥.

(٤) سورة الفتح/ ٢٩.

(٥) أنظر: المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، الكاشاني: ٥/ ٩٤ ـ ٩٨، بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٤٩ ـ ٥٠، بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق.

قد زعم قوم من القاصرين البطالين أنه لا يمكن تغيير الأخلاق وتهذيبها لأمرين:

أحدهما: إن الخلق صورة الباطن كما أن الخلق صورة الظاهر، وكما لا يمكن تغيير صورة الظاهر فكذا لا يمكن تغيير صورة الباطن.

وثانيهما: إن حسن الخلق إنما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وغيرها، وهذا أمر ممتنع والاشتغال به تضييع عمر بلا فائدة، فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة، وهو محال.

ويقال لهؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون حديثاً: لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات الشرعية، ولما حث الشارع على تحسين الأخلاق وإنكار حصول هذا المعنى في حق الإنسان مع الاعتراف بوقوعه في البهائم ومشاهدة ذلك بالوجدان أمر غريب، فإنا نجد انتقال الصيد من التوحش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل من الصيد إلى التأدب، والفرس من الجماح إلى السلامة والانقياد. وكل ذلك تغيير للأخلاق.

وتحقيق الجواب: إن الموجودات منها ما لا مدخل للإنسان في تغييره وتبديله كما لا مدخل له في أصله، كالسماء والكواكب وأعضاء البدن ونحوهما مما وقع الفراغ من وجوده وكماله، ومنها ما وجد وجوداً ناقصاً ونيط به قوة قبول الكمال باختيار الإنسان وسعيه، كالنواة تكون نخلاً وتفاحاً، والأخلاق من قبيل القسم الثاني.

والجواب عن الثاني أن الإنسان غير مكلف بقلع قوة الغضب والشهوة بالكلية، كيف ولو قمعت[1] شهوة الأكل والوقاع لهلك الإنسان وانقطع النسل ولو قمع الغضب لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ويهلك، بل المطلوب ردهما إلى الاعتدال والانقياد إلى العقل والشرع[2]، كما تقدمت الإشارة إليه ويأتي تفصيله.

والأنبياء الذين هم سادات المجاهدين لم يخلوا من الغضب والشهوة، وقد مدح الله قوماً بقوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[3] ولم يقل والفاقدين الغيظ، وذلك أمر ممكن، وكفى بالوجدان غنىً عن البيان.

والطريق إلى تحصيل الأخلاق الحسنة حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب، كأن يتعاطى البخيل البذل والمتكبر التواضع حتى يصير ذلك خلقاً وطبعاً، حتى ينتهي إلى التلذذ بذلك الفعل، كما قال ﷺ: «جعلت قرة عيني في الصلاة»[4].

وكلما طال العمر وكثرت تلك الأعمال والعبادات حصل الرسوخ[5] والكمال في النفس، وهذا هو السر في طلب الأنبياء طول العمر.

---

(١) قمع: القمع مصدر قمع الرجل يقمعه قمعا، وأقمعه فانقمع: قهره وذلله فذل. والقمع: الذل. لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٢٩٤، مادة "قمع".

(٢) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٩٩، بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٥١/٣، بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة.

(٣) سورة آل عمران/ ١٣٤.

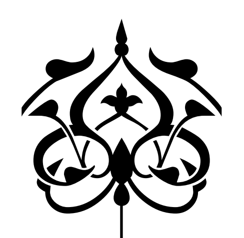
(٤) رسائل الكركي، المحقق الكركي: ٣/ ٢٢٥. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي: ٦١/٧، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، وفيه: "وجعل قرة عيني في الصلاة".

(٥) رسخ الشيء رسوخا، إذا ثبت في موضعه.
كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ١٩٦، مادة "رسخ".

وربما كان حسن الخلق بجود إلهي وكمال فطري، بأن يولد كامل العقل حسن الخلق، قد كفي سلطان الشهوة والغضب[1]. قال الصادق عليه السلام: «إن الخلق منحة يمنحها الله خلقه، فمنه سجية ومنه نية». فقلت: فأيهما أفضل؟ فقال: «إن صاحب السجية هو مجبول لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبراً، فهو أفضلهما»[2].

(١) أنظر: المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، الفيض الكاشاني: ٥/ ٩٥ ـ ١٠٣، بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣/ ٤٩ ـ ٥٤، بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة.

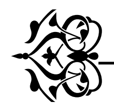
(٢) أنظر: وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٥١/١٢، كتاب الحج، باب ١٠٤ استحباب حسن الخلق مع الناس/ ح١٤.



الركن الأول

في أسرار العبادات

وفيه أبواب





الباب الأول

الطهارة



في الطهارة

وفيه فصول

الفصل الأول: في النية

قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[1]. وقال الصادق عليه السلام: «نية المؤمن خير من عمله»[2].

إعلم أن النية أصل العبادة، وبها تمتاز عن العادة، وتطلق النية على معان أربعة:

الأول: ما عليه أكثر العامة العمياء من أنها اللفظ الذي يتلفظ به حين الشروع في الفعل، كأن يقول من أراد الوضوء: «أتوضأ لرفع الحدث قربة إلى الله تعالى» ونحوه وإن لم يكن في قلبه معنى هذه الألفاظ، وهذا لغو باطل بإجماع العلماء.

---

(١) تهذيب الأحكام، الطوسي: ٨٣/١، كتاب الطهارة، باب ٤ صفة الوضوء والفرض منه والسنة والفضيلة/ ح٦٧.

(٢) الإستبصار، الطوسي: ٢/ ٦٢، كتاب الزكاة، باب ٣٢ ما أباحوه لشيعتهم من الخمس في حال الغيبة/ح١٢.

الثاني: إنها الإخطار بالبال، بأن تخطر هذه المعاني بباله ويتعقل معانيها، وهذا قريب من سابقه أيضاً لأن ثمرة النية هي الإخلاص والخلاص من الرياء، ولعل الداعي للإنسان على العمل هو الرياء ونحوه ولا ينفعه تصور هذه المعاني وإخطارها بباله وإجراؤها على قلبه.

الثالث: القصد المقارن للفعل، بأن يكون قاصداً لإيقاع الفعل حين الشروع فيه ولا يقع عن سهو وغفلة، وهذا المعنى لا يتصور خلو الفاعل العاقل غير الذاهل عنه، ولهذا قال بعض المحققين: لو كلفنا الله بإيقاع الأفعال بلا نيّة لكان تكليفاً بما لا يطاق[1].

والرابع: الداعي والباعث على الفعل، وهذا هو الحق والمأمور به، فإن كان الداعي للإنسان على عبادته وأفعاله صحيحاً مأموراً به كانت نيته صحيحة وعمله مقبولاً وإن لم يخطر تلك الألفاظ والمعاني بخاطره، وإن كان الداعي والباعث له أمراً فاسداً ـ من رياء ونحوه ـ كان عمله باطلاً وإن أخطر القربة بخاطره وتصور معاني تلك الألفاظ بقلبه.

وهذه النية غير داخلة تحت الاختيار، لما عرفت من أنها انبعاث النفس وتوجهها إلى ملائم ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلاً أو آجلاً، وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده، وذلك مما لا يتمكن من اعتقاده في كل حين بل لا بد له من رياضة واجتهاد، وإذا اعتقد فإنما يتوجه القلب إذا كان فارغاً غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه، وذلك لا يمكن في كل وقت.

---

(١) أنظر: الحبل المتين، البهائي: ٢٢٠. الحدائق الناضرة، البحراني: ١١/ ٤٦٩.

والـدواعي والـصوارف لهـا أسـباب كـثيرة بهـا تجتمـع، ويختلـف ذلـك بالأشخاص والأحوال والأعمال، فإذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضاً صحيحاً في الولد لم يمكنه أن يتزوج على نية الولد، بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد.

نعم طريق اكتساب هذه النية مثلاً أن يقوى أولاً إيمانه بالشرع، ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات[1] عن الولد من ثقل المؤونة وطول التعب وغيره، وإذا فعل ذلك فربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب، فتحركه تلك الرغبة وتحرك أعضاءه لمباشرة العقد، وإذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناوياً، وإذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان[2].

ولهذا امتنع جمع من العارفين من الطاعات، حيث لم تحضرهم النية، وكانوا يعتذرون بعدم حضور النية، فإن النية روح الأعمال، والعمل بغير نية صادقة رياء أو تكلف، وهو سبب المقت لا القرب[3].

---

(١) نفر ينفر نفورا ونفارا: إذا فر وذهب.

لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ٢٢٤، مادة "نفر".

(٢) الهذيان: كلام غير معقول. مثل كلام المبرسم والمعتوه.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٨١، مادة "هذي".

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ستة أشياء لم يتبينها أحد قبلي، ولم يبينها أحد بعدي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو النية».

معدن الجواهر، الكراجكي: ٥٤، باب ذكر ما جاء في ستة.

←

عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: «والنية أفضل من العمل ألا وأن النية هي العمل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ سورة الإسراء /٨٤، يعني: على نيته».
وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١ / ٥١، أبواب مقدمة العبادات، باب استحباب نية الخير والعزم عليه/ ح٩٧.
عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «لا عمل إلا بنية».
وقال العلامة محمد باقر المجلسي في بيان هذا الحديث: "تبيين لا عمل إلا بنية، أي: لا عمل صحيحة كما فهمه الأكثر إلا بنية، وخص بالعبادات، لأنه لو كان المراد مطلق تصور الفعل وتصور فائدته والتصديق بترتب الغاية عليه وانبعاث العزم من النفس إليه فهذا لازم لكل فعل اختياري، ومعلوم أنه ليس غرض الشارع بيان هذا المعنى بل لابد أن يكون المراد بها نية خاصة خالصة بها يصير العمل كاملا أو صحيحا، والصحة أقرب إلى نفي الحقيقة الذي هو الحقيقة في هذا التركيب، فلا بد من تخصيصها بالعبادات لعدم القول باشتراط نية القربة وأمثالها في غيرها، ولذا استدلوا به وبأمثاله على وجوب النية وتفصيله في كتب الفروع.
وقال المحقق الطوسي قدس سره في بعض رسائله: النية، هي: القصد إلى الفعل وهي واسطة بين العلم والعمل إذ ما لم يعلم الشئ لم يمكن قصده وما لم يقصده لم يصدر عنه، ثم لما كان غرض السالك العامل الوصول إلى مقصد معين كامل على الإطلاق وهو الله تعالى لابد من اشتماله على قصد التقرب به.
وقال بعض المحققين: يعني لا عمل يحسب من عبادة الله تعالى ويعد من طاعته بحيث يصح أن يترتب عليه الأجر في الآخرة إلا ما يراد به التقرب إلى الله تعالى والدار الآخرة، أعني: يقصد به وجه الله سبحانه أو التوصل إلى ثوابه أو الخلاص من عقابه. وبالجملة امتثال أمر الله تعالى فيما ندب عباده إليه ووعدهم الأجر عليه، وإنما يأجرهم على حسب أقدارهم ومنازلهم ونياتهم، فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطف فعاله فأحبه واشتاق إليه وأخلص عبادته له لكونه أهلا للعبادة ولمحبته له أحبه الله وأخلصه واجتباه وقربه إلى نفسه وأدناه قربا معنويا ودنوا روحانيا كما قال في حق بعض من هذه صفته: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ سورة ص/ ٢٥.
بحار الأنوار، المجلسي: ٦٧/ ١٨٥ ـ ١٨٦، كتاب الإيمان والكفر، أبواب مكارم الأخلاق، باب ٥٣ النية وشرائطها ومراتبها/ ح١.

وعن الصادق عليه السلام: «أنه أتاه مولىً له فسلم عليه وجلس، فلما انصرف انصرف معه الرجل، فلما انتهى إلى باب داره دخل وترك الرجل فقال له ابنه إسماعيل: يا أبه ألا كنت قد عرضت عليه الدخول؟ فقال: لم يكن من شأني إدخاله. قال: فهو لم يكن يدخل؟ قال: يا بني إني أكره أن يكتبني الله عراضاً»(1).

الفصل الثاني: في الإخلاص

وهو تجريد النية من الشوائب والمفاسد. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾(2) وقال تعالى: ﴿**أَلا للّه الدِّينُ الْخالِصُ**﴾(3) وقال: ﴿**إِلاّ الَّذِينَ تابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ**﴾(4).

وفي الكافي عن الرضا عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحرك(5) صدره بما أُعطي غيره»(6).

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(7) قال: «ليس يعني أكثرهم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والخشية». ثم قال:

---

(1) المحاسن، البرقي: 2/ 417، كتاب المآكل من المحاسن، باب 22 العرض على أخيك/ ح180.
وفيه: "أتاه مولى له فسلم عليه ومعه ابنه إسماعيل فسلم عليه وجلس فلما انصرف أبو عبدالله عليه السلام انصرف معه الرجل فلما انتهى أبو عبد الله عليه السلام إلى باب داره ... الحديث".

(2) سورة البينة/ 5.

(3) سورة الزمر/ 3.

(4) سورة النساء/ 146.

(5) في الكافي: "يحزن".

(6) الكافي، الكليني: 2/16، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص/ ح3.

(7) سورة هود/ 7.

«الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عزّوجل، والنية أفضل من العمل، ألا وإن النية هي العمل»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شاكِلَتِه**﴾[1] يعني على نيته[2].

وعن المهدي[3] عن الباقر عليه السلام قال: «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً» ــ أو قال: «ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً ــ إلا زهده الله في الدنيا، وبصره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»[4].

واعلم أن الإخلاص له مراتب متفاوتة:

أولها: مرتبة الشاكرين، وهم الذين يعبدون الله تعالى شكراً على نعمائه غير المتناهية، كما قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾[5]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام في النهج: «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن

---

(١) سورة الإسراء/ ٨٤.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/١٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص/ ح٤. وفيه النص: «عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عزّوجل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ سورة هود/ ٧. قالَ: لَيْسَ يَعْنِي أَكْثَرَ عَمَلاً وَلَكِنْ أَصْوَبَكُمْ عَمَلاً، وَإِنَّمَا الإِصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ وَالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ وَالْحَسَنَةُ، ثُمَّ قالَ: الإِبْقَاءُ عَلى الْعَمَلِ حَتَّى يَخْلُصَ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ الْخَالِصُ الَّذِي لا تُرِيدُ أَنْ يَحْمَدَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ عزّوجل، وَالنِّيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ، أَلا وَإِنَّ النِّيَّةَ هِيَ الْعَمَلُ، ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ عزّوجل: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شاكِلَتِهِ﴾ سورة الإسراء/ ٨٤. يَعْنِي عَلى نِيَّتِهِ».

(٣) في المستدرك: "عن السدي".

(٤) مستدرك الوسائل، المحدث النوري: ٥/٢٩٥، كتاب الصلاة، أبواب الذكر، باب ٥ استحباب كثرة الذكر بالليل والنهار/ ح١٧.

(٥) سورة النحل/ ١٨.

قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[1].

ثانيها: عبادة المقربين، وهم الذين يعبدون الله تقرباً إليه، والمراد بالقرب إما بحسب المنزلة والرتبة والكمال، حيث إن واجب الوجود كامل من جميع الجهات والممكن ناقص من جميع الجهات[2]، فإذا سعى العبد في إزالة النقائص والرذائل عنه قرب قرباً معنوياً، كما ورد في الحديث: «تخلقوا بأخلاق الله»[3]. وأما القرب من حيث المحبة والمصاحبة كما إذا كان شخص بالمشرق وآخر بالمغرب وبينهما كمال المحبة والارتباط ولا يغفل أحدهما عن ذكر صاحبه ونشر مدائحه وكمالاته يقال: بينهما كمال القرب. وإذا كانا متقاربين في المكان وبينهما ضد ذلك يقال: بينهما كمال البعد. ويراد بالقرب والبعد المعنويان.

ثالثها: عبادة المستحين، وهم قوم يبعثهم على الأعمال والطاعات الحياء من الله تعالى، حيث علموا بأنه مطلع على ضمائرهم وعالم بما في خواطرهم ومحيط بدقائق أمورهم، فاستحوا من أن يبارزوه بالمعاصي وبادروا إلى الطاعات والعبادات، كما ورد «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4]. وفي وصية لقمان لولده: يا بني إذا أردت أن تعصي ربك فاعمد إلى مكان لا يراك الله فيه[5].

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٥١٠، حكم أمير المؤمنين عليه السلام / ح٢٣٧.

(٢) الله تعالى واجب الوجود لذاته، بمعنى: انه لا يفتقر في وجوده إلى غيره ولا يجوز عليه العدم، بدليل أنه لو كان ممكن الوجود لافتقر إلى صانع كافتقار هذا العالم، وذلك محال على المنعم المعبود.
الرسائل العشر، الشيخ الطوسي: ٩٣، مسائل كلامية، مسائل التوحيد.

(٣) جامع السعادات، النراقي: ٣ / ١١٦. شرح الأسماء الحسنى، السبزواري: ٤١/٢.

(٤) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٨، الباب الثاني.

(٥) جامع الأخبار، الشعيري: ١٣٠ ـ ١٣١، الفصل ٨٩ في الموعظة، وفيه النص: «عن علي بن ←

رابعها: عبادة المتلذذين، وهم الذين يلتذون بعبادة ربهم بأعظم مما يلتذ به أهل الدنيا من نعيم الدنيا. ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: «يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا فإنكم تتنعمون بها في الآخرة»[١]. وعنه عليه السلام قال[٢]: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر»[٣]. وقال صلى الله عليه وآله: «جعلت قرة عيني في الصلاة»[٤].

وخامسها: عبادة المحبين، وهم الذين وصلوا بطاعتهم وعبادتهم إلى أعلى درجات الكمال من حب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾[٥]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك»[٦]. وقال سيد الشهداء في دعاء عرفة: «أنت الذي أزلت الأغيار[٧] عن

الحسين عليه السلام: أنه جاء رجل، وقال: أنا رجل عاص ولا أصبر عن المعصية فعظني بموعظة، قال عليه السلام: افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت: فأول ذلك لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني أخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث اطلب موضعا لا يراك الله وأذنب ما شئت، والرابع إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت، والخامس إذا أدخلك ملك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت».

(١) الكافي، الكليني: ٢/٨٣، كتاب الإيمان والكفر، باب العبادة/ ح٢.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/٨٣، كتاب الإيمان والكفر، باب العبادة/ ح٣.

(٤) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢/٣٧٣، مجلس في ذكر الحث على النكاح وفضله.

(٥) سورة المائدة/ ٥٤.

(٦) مصباح المتهجد، الطوسي: ٨٤٧، دعاء الخضر عليه السلام.

(٧) غير، بمعنى: سوى. والجمع: أغيار. الصحاح، الجوهري: ٢/ ٧٧٦، مادة "غير".

قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك»[1]. وقال[2] عليه السلام: «يا من أذاق أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين»[3]. وقال ولده السجاد عليه السلام في المناجاة الإنجيلية: «وعزتك لقد أحببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها وأنست نفسي ببشارتها»[4]. وقال[5] في المناجاة الأخرى: «إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم»[6]. وفي الحديث القدسي: «يا بن عمران كذب من زعم أنه يحبني فإذ جنه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبه»[7].

وسادسها: عبادة العارفين، وهم الذين بعثهم على العبادة كمال معبودهم وأنه أهل للعبادة فعبدوه، كما قال سيد العارفين وأمير المؤمنين عليه السلام: «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[8].

وسابعها: عبادة الله لنيل ثوابه أو الخلاص من عقابه، وهذه العبادة قد اختلف فيها: فذهب جماعة من أصحابنا إلى بطلانها، وهو المحكي عن السيد ابن

---

(١) إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣٤٩، فصل فيما نذكره من أدعية يوم عرفة.

(٢) أي: "الإمام الحسين عليه السلام".

(٣) إقبال الأعمال، ابن طاووس: ٣٤٩، فصل فيما نذكره من أدعية يوم عرفة.

(٤) الصحيفة السجادية، الإمام السجاد عليه السلام: ٤٦١، في المناجاة المعروفة بالإنجيلية الطويلة.

(٥) أي: "الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام".

(٦) الصحيفة السجادية، الإمام السجاد عليه السلام: ٤١٧، في مناجاة العارفين ليوم الثلاثاء/ الدعاء رقم١٩٣.

(٧) الأمالي، الصدوق: ٣٥٦، المجلس ٥٧/ ح١.

(٨) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٣٥٣/٣، تفسير سورة الأنبياء.

طـاووس(١) والفاضـل المقـداد(٢) وابـن جمهـور الإحـسائي(٣) والـشهيد الأول(٤) في

(١) السيد ابن طاووس: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد الحسني، السيد رضـي الـدين أبو القاسم الحلي، أحد أجلاء علماء الإمامية، ومن مشاهير أعلام أسرته (آل طاووس)، بل أشهرهم. ولد في مدينة الحلة سنة تسع وثمانين وخمسمائة. وعني به جده لأمه الفقيه ورام بن أبي فراس (المتوفى ٦٠٥هـ)، ووالده السيد موسى، تولى نقابة الطالبيين سنة ٦٦١ هـ، فاستمر إلى أن توفي سنة أربع وستين وستمائة. ألف كتبا كثيرة في فنون مختلفة منها: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، مقدمة في علم الكلام سماها شفاء العقول من داء الفضول، اللهوف على قتلى الطفوف، وغير ذلك.

معجم طبقات المتكلمين، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام: ٢/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩/ الرقم٢٧٢.

(٢) الفاضل المقداد: الفاضل السيوري: ويقال له أيضا: الفاضل المقداد: هو الشيخ الأجل أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلي الأسدي الغروي، كان عالما فاضلا فقيها محققا مدققا.

له كتب منها: شرح نهج المسترشدين في أصول الدين، نضد القواعد رتب فيه قواعد الشهيد رحمه الله وشرح فصول الخواجه نصير الدين، واللوامع في الكلام إلى غير ذلك.

والسيوري: بضم السين مع الياء المخففة التحتانية نسبة إلى سيور، وهي قرية من قرى الحلة.

يروي عن الشيخ الشهيد محمد بن مكي العاملي قدس سره، ويروي عنه محمد بن شجاع القطان الحلي، توفي سنة ٧٢٦ هـ.

الكنى والألقاب، القمي: ٣/١٠، الفاضل السيوري.

(٣) ابن أبي جمهور الأحسائي: محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي، الشيعي، الإمامي، متكلم توفي بعد سنة ٨٧٨ هـ.

من آثاره: المجلى في المنازل العرفانية، معين المعين، كتاب الأقطاب، كشف البراهين في شرح زاد المسافرين في أصول الدين، ونثر اللآلي.

معجم المؤلفين، كحالة: ١٠/ ٢٩٩.

(٤) الشهيد الأول: ولد الشهيد محمد بن مكي سنة ٧٣٤هـ، وهاجر إلى العراق للدراسة سنة ٧٥٠ هـ. ←

ظاهر الدروس والقواعد، لأن هذا القصد منافٍ للإخلاص الذي هو إرادة وجه الله سبحانه وحده، وأن من قصد ذلك فإنما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه، والأصلح الصحة للآيات القرآنية والأحاديث المعصومية كقوله تعالى: **﴿لِمثْلِ هذا فَلْيَعْمَلْ الْعامِلُونَ﴾**[1] وقوله تعالى: **﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾**[2] وقوله: **﴿وَيَدْعُونَنا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾**[3] وقوله: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا**[4] **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[5] أي راجين الفلاح وهو الفوز بالثواب[6]، وقوله تعالى: **﴿رِجالٌ لاّ تُلْهِيهِمْ تجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا﴾**[7].

من مؤلفاته: القواعد والفوائد، الدروس الشرعية في فقه الإمامية، غاية المراد في شرح الإرشاد، وغير ذلك. توفي في سنة ٧٨٦هـ.

أنظر: الشهيد الأول محمد بن مكي، حسن الأمين: ٨١ و١٠٤.

(١) سورة الصافات/ ٦١.

(٢) سورة الأعراف/ ٥٦.

(٣) سورة الأنبياء/ ٩٠.

(٤) في النص القرآني: ﴿وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾.

(٥) سورة الحج/ ٧٧. ونصها: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٦) قال الطوسي في التبيان: أي: افعلوا الخير لكي تفوزوا بثواب الجنة وتتخلصوا من عذاب النار. وقيل معناه: افعلوه على رجاء الصلاح منكم بالدوام على أفعال الخير واجتناب المعاصي والفوز بالثواب.

التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي: ٧/ ٣٤٣، تفسير سورة الحج.

(٧) سورة النور/ ٣٧ ـ ٣٨.

وما ورد في الأخبار المتظافرة بطرق عديدة من أن من بلغه ثواب على عمل فعمله ابتغاء ذلك الثواب أوتيه وإن لم يكن الأمر كما بلغه[1]. وقال الصادق عليه السلام: «العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّوجل خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله[2] طلباً للثواب فتلك عبادة الأجراء وقوم عبدوا الله عزّوجل حباً له فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة»[3]. والأفضلية تستلزم وجود الفضيلة.

ونحو ذلك الأخبار الواردة في الأعمال المأمور بها لقضاء الحوائج وتحصيل الولد أو المال والتزويج أو الشفاء أو طلب الخيرة أو نحو ذلك، ولو كان مثل هذه النيات مفسداً للعبادات لكان الترغيب والترهيب والوعد عبثاً بل مخلاً بالمقصود.

وكيف يمكن للعبد الضعيف الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أن يستغني عن جلب النفع من مولاه لنفسه أو دفع الضرر عنها، والعبادة المقصود بها الثواب أو الخلاص من العقاب إنما وقعت بأمره تعالى، فطالبها طالب لرضاه وأمره.

وتكليف سائر الناس بتلك المراتب العلية والدرجات السنية لعله تكليف بالمحال، فإن أكثر الناس لا يسعهم تلك القصود، وتلك المراتب مختصة بهم عليهم السلام ومن

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٨٧، كتاب الإيمان والكفر، باب من بلغه ثواب من الله على عمل/ح٢.

(٢) في المصدر: "الله تبارك وتعالى".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٨٤، كتاب الإيمان والكفر، باب العبادة/ ح٥.

يقرب من مرتبتهم كسلمان[١] وأبي ذر[٢] والمقداد[٣]، ومن ادعى تلك المراتب فإنما يصدق في دعواه إذا علم من نفسه أنه لو أيقن أن الله تعالى يدخله بطاعته وعبادته النار وبمعصيته الجنة يختار الطاعة ويترك المعصية، وأين عامة الخلق من هذه الدرجة؟!.

نعم ربما يتجه ذلك بناءً على زعم من زعم أن النية هي الإخطار بالبال وإن لم يكن له داع وباعث على القرب، وقد عرفت خلافه، فإن الداعي والباعث على القرب إذا لم يكن حاصلاً قبل فلا يمكن الإتيان به بتصوير بالجنان أو نطق باللسان.

وإن كنت في ريب من ذلك فانظر الى نفسك حين يغلب عليها حب التدريس لإظهار الفضيلة والصيت وحب العبادة لاستمالة القلوب ومع ذلك أخطرت ببالك حين إيقاعهما أنك تدرس هذا الدرس وتعبد هذه العبادة قربة الى الله تعالى كنت بمعزل عن الإخلاص، وكان إخطارك ذلك من ﴿**الْخَنَّاسِ**﴾[٤][٥]، ﴿**الَّذِي يُوَسْوِسُ**

---

(١) سلمان: مولى رسول الله ﷺ، أبو عبد الله أول الأركان الأربعة، أجل من أن يوضح حاله.

الرجال، ابن داود: ١٧٦/ الرقم ٧٠٧، سلمان الفارسي.

(٢) أبي ذر: جندب بن جنادة الغفاري، أبوذر رضي الله عنه، وقيل: جندب بن السكن، وقيل: اسمه برير بن جنادة، مهاجري، مات في زمن عثمان بالربذة. رجال الطوسي، الطوسي: ٣٢، باب الجيم/ الرقم ١١.

(٣) المقداد: بن الأسود، واسم أبيه عمرو البهراني، وكان الأسود بن عبد يغوث قد تبناه فنسب إليه، يكنى أبا معبد من أصحاب علي عليه السلام، ثاني الأركان الأربعة عظيم القدر شريف المنزلة جليل من خواص علي عليه السلام.

رجال العلامة، الحسن بن يوسف الحلي: ١٦٩ ـ ١٧٠، الباب الحادي عشر في الآحاد/ الرقم ١.

(٤) سورة الناس/ ٤.

(٥) الخناس: الشيطان لعنه الله تعالى، لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى، وفي التفسير له رأس كرأس الحية يجثم على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس، أي: تراجع، وتأخر، وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب يوسوس فيه.

تفسير غريب القرآن، الطريحي: ٣٠٣، النوع السادس، ما أوله الخاء، "خنس".

فِي صُدُورِ النّاسِ﴾[1]، ولم ينفعك ذلك الإخطار، ولم يخلصك عن استحقاق النار، وكان ذلك كإخطار الشبعان اشتهى هذا الطعام قاصداً حصول الاشتهاء.

واعلم أن الطريق الى الإخلاص كسر حظوظ النفس، وقطع الطمع عن الدنيا، والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب، وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغروراً لأنه لا يدري وجه الآفة فيها، كما حكي عن بعضهم أنه قال: قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الأول لأني تأخرت يوماً لعذر، وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني، فعرفت أن نظر الناس إلي في الصف الأول كان يسرني، وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا أشعر[2].

وهذا باب دقيق غامض قلما تسلم الأعمال عن مثل ذلك، وقل من يتنبه له.

والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات، **﴿وَبَدَا لَهُم مِنَ اللّه ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾**[3]، **﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا﴾**[4]، **﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**[5]، **﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه فَرَآهُ حَسَنًا﴾**[6].[7]

---

(١) سورة الناس/٥.

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١٣١/٨، كتاب النية والصدق والإخلاص، بيان حقيقة الخلوص.

(٣) سورة الزمر/ ٤٧.

(٤) سورة الجاثية/ ٣٣.

(٥) سورة الكهف/ ١٠٤.

(٦) سورة فاطر/ ٨.

(٧) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٨/ ١٣٠ ـ ١٣١، كتاب النية والصدق والإخلاص، بيان حقيقة الخلوص.

الفصل الثالث: في مجمل القول في الطهارة والنظافة

قال الله سبحانه: ﴿**رِجالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾[1].

وقال النبي ﷺ: «الطهور نصف الإيمان»[2]. وقال[3]: «مفتاح الصلاة الطهور»[4]. وقال[5]: «بني الدين على النظافة»[6]. وقال[7]: «بئس العبد القاذورة»[8].

قال بعض العارفين: ليتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن الإيمان إنما يتم بعمارة القلوب والسرائر[9]، وأن المراد بقوله ﷺ: «الطهور نصف الإيمان»[10] أن عمارة الظاهر بالتطهير والتنظيف بإفاضة الماء نصف الإيمان، والنصف الآخر عمارة الباطن بالأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة.

---

(١) سورة التوبة/ ١٠٨.

(٢) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور: ١/ ١١٥، الفصل السابع/ ح٣٣.

(٣) أي: "النبي ﷺ".

(٤) تفسير الإمام، الإمام العسكري عليه السلام: ٥٢١، قصة رؤية إبراهيم عليه السلام ملكوت السموات/ح٣١٨.

(٥) أي: "النبي ﷺ".

(٦) جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٢٤٨، الطهارة.

(٧) أي: "النبي ﷺ".

(٨) الجعفريات، الكوفي: ١٥٧، باب السنة في حلق الشعر يوم السابع للمولود وغيره.

(٩) قال النراقي في جامع السعادات: إن تطهير الظاهر، والجوارح، والقلب، والسر، من النجاسات والمعاصي ورذائل الأخلاق وما سوى الله نصف الإيمان، ونصفه الآخر عمارتها بالنظافة والطاعات ومعالي الأخلاق، والاستغراق في شهود جمال الحق وجلاله.
جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٢٤٩، الطهارة.

(١٠) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور: ١/ ١١٥، الفصل السابع/ ح٣٣.

والطهارة لها أربع مراتب:

الأولى: تطهير الظاهر من الأحداث والأخباث والفضلات.

والثانية: تطهير الجوارح من الجرائم والآثام والتبعات.

والثالثة: تطهير القلب من مساوئ الأخلاق ورذائلها.

والرابعة: تطهير السر مما سوى الله جل وعلا، وهي طهارة الأنبياء والصديقين. والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها.

وهذه مقامات الإيمان، ولكل مقام طبقة، ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يتجاوز الطبقة السافلة، فلا يصل إلى طهارة السر مما سوى الله تعالى وعمارته بمعرفة الله وانكشاف جلاله وعظمته سبحانه ما لم يفرغ عن طهارة القلب من الخلق المذموم وعمارته بالمحمود، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المناهي وعمارتها بالطاعات والعبادات[1].

الفصل الرابع: في أسرار إزالة النجاسة والتخلي لقضاء الحاجة

قال الشهيد الثاني[2]: ليتذكر بذلك تطهير القلب من نجاسة الأخلاق

---

(١) أنظر: جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٢٤٩، الطهارة.

(٢) الشهيد الثاني: الشيخ الأجل زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين بن صالح تلميذ العلامة العاملي الجبعي الشهيد الثاني، أمره في الثقة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحر وجلالة القدر وعظم الشأن وجمع الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر، ومحاسنه وأوصافه الحميدة أكثر من أن تحصى وتحصر، مصنفاته كثيرة مشهورة.

أمل الآمل، الحر العاملي: ١/ ٨٥، باب الزاي.

ومساوئها، فإنك إذا أمرت بتطهير ظاهر الجلد وهو القشر وتطهير الثياب وهي أبعد عن ذاتك فلا تغفل عن تطهير لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك.

فاجتهد في تطهيره بالتوبة والندم على ما فرط، وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل، وطهر بها باطنك فإنه موقع نظر المعبود.

وتذكر لتخليك لقضاء الحاجة نقصك وحاجتك، وما تشتمل عليه من الأقذار وما في باطنك، وأنت تزين ظاهرك للناس والله تعالى مطلع على خبث باطنك وخسة حالك، فاشتغل بإخراج نجاسات الباطن والأخلاق الداخلة في الأعماق المفسدة، لكن لا على الإطلاق لتستريح نفسك عند إخراجها ويسكن قلبك من دنسها ويخف لبك من ثقلها، وتصلح للوقوف على بساط الخدمة والتأهل للمناجاة.

قال الصادق عليه السلام ـ أي في مصباح الشريعة ـ: «سمي المستراح مستراحاً لاستراحة النفوس[1] من أثقال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها»[2].

والمؤمن يعتبر عندها أن الخالص من حطام الدنيا كذلك تصير عاقبته، فيستريح بالعدول عنها ويتركها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها، ويستنكف عن أخذها وجمعها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر، ويتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال.

ويعلم أن التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين، فإن الراحة في هوان الدنيا والفراغ من التمتع بها، وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة

---

(١) في المصدر "الأنفس".

(٢) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٢٦، الباب ٥٩ في التبزر، والظاهر من سياق أحاديث الباب إن العنوان في التبرز وليس التبزر، وقد أوردنا النص أمانة للنقل.

فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها، ويفر من الذنوب، ويفتح باب التواضع والندم والحياء، ويجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه، طلباً لحسن المآب[١] وطيب الزلف[٢]، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان الله في دار القرار ويذوق طعم رضاه، فإن المعول ذلك وما عداه لا شيء[٣].

الفصل الخامس: في السواك

قال ﷺ: «صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك»[٤].

وقال الصادق عليه السلام: «إذا قمت بالليل فاستك، فإن الملك يأتيك فيضع فاه على فيك وليس من حرف تتلوه[٥] إلا صعد به إلى السماء، فليكن قولك[٦] طيب الريح»[٧].

---

(١) المآب: المرجع.

غريب الحديث، ابن سلام: ٢/ ٦٩.

(٢) الزلف والزلفة والزلفى: القربة والدرجة والمنزلة.

لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ١٣٨، مادة "زلف".

(٣) رسائل الشهيد الثاني، الشهيد الثاني: ١١٦ ـ ١١٧، أسرار الصلاة.

(٤) أعلام الدين، الديلمي: ٢٧٣، فصل من كلام سيدنا رسول الله ﷺ. وفيه النص: «صلاة على اثر السواك خير من خمس وسبعين صلاة بغير سواك».

(٥) في المصدر: "تتلوه وتنطق به".

(٦) في المصدر: "فوك".

(٧) الكافي، الكليني: ٣/ ٢٣، كتاب الطهارة، باب السواك/ ح٧.

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله: «السواك مطهرة[1] للفم، مرضاة للرب»[2].

وجعلها من سننه المؤكدة، وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل. وكما تزيل ما تلوث من أسنانك من مطعمك ومأكلك بالسواك كذلك فأزل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالأسحار، وطهر باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات وركوب المناهي كلها خالصاً لله تعالى، فإن النبي صلى الله عليه وآله أراد باستعماله مثلاً لأهل اليقظة، وهو أن المسواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب مبارك.

والأسنان خلق خلقه الله تعالى في الحلق آلة وأداة للمضغ وسبباً لاشتهاء الطعام وإصلاح المعدة، وهي جوهرة صافية تتلوث بما يمضغ من الطعام وتتغير بها رائحة الفم، ويتولد منها الفساد في الدماغ، فإذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ومسحه على الجوهرة الصافية أزال عنها الفساد والتغيير وعادت إلى أصلها، كذلك خلق الله القلب طاهراً صافياً، وجعل غذاءه الفكر والذكر والهيبة والتعظيم، وإذا شيب القلب الصافي فعدلته بالغفلة والكدر صقل بمصقلة التوبة ونظف بماء الإنابة، ليعود الى حالته الأولى، وجوهرته الأصلية الصافية. قال الله عزّوجل: ﴿**إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[3].

وإن النبي صلى الله عليه وآله أمرنا باستواك ظاهر الأسنان وأراد بهذا المعنى المثل، ومن أناخ تفكره على باب العبرة في استخراج مثل هذه الأمثال في الأصل والفرع فتح الله له عيون الحكمة، والمزيد من فضل الله و﴿**اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[4].

(١) في المصباح: "مطهر".

(٢) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٢٣، الباب الثامن والخمسون في السواك.

(٣) سورة البقرة/ ٢٢٢.

(٤) سورة التوبة/ ١٢٠.

الفصل السادس: في الوضوء

قال النبي ﷺ: «من توضأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده، وكان الوضوء إلى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب، ومن لم يسم لم يطهر جسده[1] إلا ما أصابه الماء»[2].

وكأن السر في ذلك أن التسمية تنبه القلب وتطهره عن الغفلة عن ذكر الله، وإذا طهر القلب الذي هو الرئيس طهرت جميع الأعضاء.

قال الشهيد الثاني[3] رحمه الله: أما الطهارة فليستحضر في قلبه أن تكليفه فيها بغسل الأطراف الظاهرة وتنظيفها لاطلاع الناس عليها، ولكون تلك الأعضاء مباشرة للأمور الدنيوية المنهمكة في الكدورات الدنية، فلأن يطهر مع ذلك قلبه الذي هو موضع نظر الحق تعالى، فإنه لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم[4]، ولأنه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح والمستخدم لها في الأمور للبعدة عن جنابه تعالى وتقدس أولى وأحرى، بل هذا تنبيه واضح على ذلك وبيان شاف لما هنالك.

وليعلم من يطهر تلك الأعضاء عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والإقبال عليه والالتفات عن الدنيا، فلذلك أمر بالتطهير من الدنيا عند الاشتغال والإقبال على الأخرى، فأمر في الوضوء بغسل الوجه لأن التوجه والإقبال بوجه القلب على الله به، وفيه أكثر الحواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا، فأمر بغسله ليتوجه به وهو خال من تلك الأدناس، ويترقى بذلك الى تطهير ما هو الركن الأعظم في القياس.

(١) في المصدر: "لم يطهر من جسده".

(٢) جامع الأخبار، الشعيري: ٦٣، الفصل ٢٩ في الوضوء.

(٣) مرت ترجمته.

(٤) أنظر: جامع الأخبار، الشعيري: ١٠٠، الفصل ٥٦ في الإخلاص.

ثم أمر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر أحوال الدنيا الدنية والمشتهيات الطبيعية.

ثم أمر بمسح الرأس لأن فيه القوة المفكرة التي يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعية، وتنبعث الحواس حينئذ إلى الإقبال على الأمور الدنيوية المانع من الإقبال على الآخرة السنية.

ثم بمسح الرجلين لأن بهما يتوصل إلى مطالبه، ويتوصل إلى تحصيل مآربه على نحو ما ذكر في باقي الأعضاء، وحينئذ فيسوغ له الدخول في العبادة والإقبال عليها فائزاً بالسعادة ـ انتهى[1].

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: «إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك الى رحمة الله، فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته، ودليلاً إلى بساط خدمته، وكما أن رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهر يطهرها الماء لا غيره»، قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا**﴾[2] وقال عزّوجل: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾[3]، فكما أحيا به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك بفضله ورحمته حياة القلوب بالطاعات.

وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء وفي كل شيء، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها، وآت بآدابها فرائضه وسننه، فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة، إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب.

---

(١) رسائل الشهيد الثاني، زين الدين بن علي الشهيد الثاني: ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) سورة الفرقان/ ٤٨.

(٣) سورة الأنبياء/٣٠.

ثم عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء، يؤدي كل شيء حقه ولا يتغير عن معناه معتبراً لقول رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الخاص كمثل الماء»[١].

ولتكن صفوتك مع الله في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسماه طهوراً[٢]، وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء[٣].

وفي علل[٤] الفضل بن شاذان[٥] عن الرضا عليه السلام: «إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته إياه، مطيعاً له في ما أمره، نقياً من الأدناس والنجاسة، مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار»[٦].

---

(١) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٢٨ ـ ١٢٩، الباب الستون في الطهارة.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الفرقان/ الآية ٤٨. ونصها: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنا مِنَ السَّماء ماء طَهُوراً﴾.

(٣) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٢٨ ـ ١٢٩، الباب الستون في الطهارة.

(٤) إن كتاب العلل الذي ينقل منه الشهيد الثاني، وعنه ينقل الفيض الكاشاني، ومنه يروي أحاديثه السيد شبر، وهو للعلامة الفضل بن شاذان النيشابوري المتوفى سنة ٢٦٠ هـ، لا تتوفر له طبعة يتم الرجوع إليها لذا يتم مقابلة الحديث عمن نقله من نسخته، ومن نقل عنهم، منهم: محمد بن علي الصدوق في من لا يحضره الفقيه، وزين الدين بن علي الشهيد الثاني في رسائله، والفيض الكاشاني في المحجة البيضاء، وغيرهم.

(٥) الفضل بن شاذان النيسابوري: أبو محمد متكلم فقيه جليل القدر، كان أبوه من أصحاب يونس، وروى عن أبي جعفر الثاني، وقيل عن الرضا عليه السلام أيضا، وكان أحد أصحابنا الفقهاء العظام المتكلمين، حاله أعظم من أن يشار إليها. رجال ابن داود، ابن داود: ٢٧٢/ الرقم١١٧٩.

(٦) أنظر: علل الشرائع، الصدوق: ٢٥٧/١، باب ١٨٢ علل الشرائع وأصول الإسلام/ ح٩. وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١/ ٣٦٧، كتاب الطهارة، أبواب الوضوء، باب ١ وجوبه للصلاة ونحوها/ ح٩.

وإنما وجب على الوجه واليدين والرأس والرجلين، لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار فإنما ينكشف من جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء، وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل[١] وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد[٢].

الفصل السابع: في أسرار الغسل والتيمم

قال الشهيد الثاني[٣]: أمر في الغسل بغسل جميع البشرة، لأن أدنى حالات الإنسان وأشدها تعلقاً وتملكاً بالملكات الشهوية حالة الجماع وموجبات الغسل، ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إن تحت كل شعر جنابة»[٤].

فحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العلية منغمساً[٥] في اللذات الدنية كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعية، ليتأهل لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة[٦]، ويبعد عن القوى الحيوانية واللذات الدنيوية.

---

(١) التبتل: الانقطاع عن النساء وترك النكاح.
النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١/٩٥.

(٢) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١/ ٣٠٨، كتاب أسرار الطهارة.

(٣) مرت ترجمته.

(٤) فقه الرضا عليه السلام، الإمام الرضا عليه السلام: ٨١، باب ٣ الغسل من الجنابة وغيرها. وفيه النص: «أن تحت كل شعرة جنابة».

(٥) غمس: الغمس: إرساب الشيء في الشيء السيال، أو الندى، أو في ماء، أو صبغ، غمسه يغمسه غمسا، أي: مقله فيه، وقد انغمس فيه واغمس.
لسان العرب، ابن منظور: ٦/١٥٦، مادة "غمس".

(٦) طود منيف: جبل عال.
مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٦٨، مادة "طود".

ولما كان للقلب من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير تلك الأعضاء الظاهرة عند اللبيب[1] العاقل.

وأمر بالتيمم بمسح تلك الأعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء الطهور وضعاً لتلك الأعضاء الرئيسية وهضماً لها بتلقيها بأثر التربة الخسيسة.

وهكذا يخطر بباله أن القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرذيلة وتحليته بالأوصاف الجميلة فليقمه في مقام الهضم والإزراء ويسقه بسياط الذل والإغضاء[2]، عسى أن يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم، وهو منكسر متواضع، فيهبه نفحة من نفحات نوره اللامع، فإنه عند القلوب المنكسرة[3] كما ورد في الأثر، فترق من هذه الإشارات ونحوها إلى ما يوجب لك الإقبال وتلافي سالف الإهمال ـ انتهى[4].

وقال الرضا عليه السلام في تتمة الرواية السابقة: «وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لأن الجنابة من نفس الإنسان، وهو شيء يخرج من جميع جسده، والخلاء ليس هو من نفس الإنسان، إنما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب»[5].

---

(١) لبيب: عاقل ذو لب.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٧٣٠، مادة "لبب".

(٢) الاغضاء: التغافل عن الشيء.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣١٧، مادة "غضي".

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم».

منية المريد، الشهيد الثاني: ١٢٣، فصل ٦ في فضل العلم من الآثار وتحقيقات بعض العلماء.

(٤) أنظر: رسائل الشهيد الثاني، زين الدين بن علي الشهيد الثاني: ١١٣. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١/٣٠٦ ـ ٣٠٧، كتاب أسرار الصلاة.

(٥) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١/ ٢٥٨، باب ١٨٢ علل الشرايع وأصول الإسلام/ح٩.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام[1]: «وعلة التخفيف في البول والغائط أنه أكثر وأدوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقته ومجيئه بغير إرادة منه ولا شهوة، والجنابة لا تكون إلا بالاستلذاذ منهم لأنفسهم[2]»[3].

الفصل الثامن: في الاستحمام

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نعم البيت الحمام، يذكر فيه[4] النار ويذهب بالدرن»[5].

قيل: فيه إشارة إلى أنه ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظاته، فإنها مصيره ومستقره، فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة، فإن نظر إلى ظلمة تذكر ظلمة اللحد، وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور[6]، وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة[7]، وإن سمع

وفيه النص: أن الجنابة من نفس الإنسان ... الحديث. والنص كما في المتن في رسائل الشهيد الثاني، زين الدين بن علي: ١١٥.

(١) أي: "الإمام الرضا عليه السلام".

(٢) في الفقيه والوسائل: "والإكراه لأنفسهم".

(٣) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٦٧ ـ ٧٧، كتاب الطهارة، باب العلة التي من اجلها وجب الغسل من الجنابة ولم يجب من البول والغائط/ ح٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢/ ١٧٨، كتاب الطهارة، أبواب الجنابة، باب ٢ وجوب الغسل من الجنابة وعدم وجوبه من البول والغائط/ ح١.

(٤) ليس في المصدر: "فيه".

(٥) الكافي، الكليني: ٦/٤٩٦، كتاب الزي والتجمل، باب الحمام/ ح١.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ سورة النمل/ ٨٧.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۞ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۞ وَطَلْحٍ

كلمة رد أو قبول تذكر ما ينكشف له في آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول... إلى غيرك ذلك[1].

والحمام أشبه شيء بجهنم النار من تحت والظلام من فوق، فينبغي أن يتذكر حر النار بحرارته، ويقدر نفسه محبوساً في البيت الحار ساعة ويقيسه إلى جهنم ويستعيذ بالله منها[2].

قال الصادق عليه السلام: «فإذا دخلت البيت الثالث فقل: نعوذ بالله من النار ونسأله الجنة، ترددها إلى وقت خروجك من البيت الحار»[3].

الفصل التاسع: في سماع الأذان

قال أبو حامد[4]: إذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم

مَّنضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۞ وَمَاء مَّسْكُوبٍ ۞ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ۞ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ سورة الواقعة/ ٢٧ ـ ٣٤.

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١/ ٣١٨، كتاب أسرار الطهارة. إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٣٣، كتاب أسرار الطهارة.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) روضة الواعظين، الفتال: ٢/ ٣٠٧، مجلس في ذكر الآداب وأشياء شتى.

(٤) أبو حامد: زين الدين أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة، وكانت وفاته بطوس صبيحة يوم الاثنين رابع عشر جمادي الآخرة سنة خمس وخمسمائة، وعمره خمس وخمسون سنة. خرج إلى الحجاز في سنة ثمان وثمانين فحج ورجع إلى دمشق واستوطنها عشر سنين، بمنارة الجامع، وصنف فيها كتبا، يقال: إن الإحياء منها، ثم صار إلى القدس والإسكندرية، ثم عاد إلى وطنه بطوس، مقبلا على التصنيف، والعبادة، وملازمة التلاوة، ونشر العلم، وعدم مخالطة الناس.
طبقات الشافعية، الأسنوي: ٢/١١١ ـ ١١٣/ الرقم ٨٦٠.

القيامة، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فاعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوءً بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار[1] فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء، ولذلك قال ﷺ: «أرحنا يا بلال[2]» أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كانت قرة عينه فيها[3] ـ انتهى[4].

وقال الشهيد الثاني[5] رحمه الله: واعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله، واعتبر بذلك، أن الله جل جلاله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ووطن قلبك بتعظيمه وتكبيره عند سماع التكبير، واستحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذباً في تكبيرك، وانف عن خاطرك كل معبود سواء بسماع التهليل[6]، وأحضر النبي ﷺ وتأدب بين يديه، واشهد له بالرسالة مخلصاً،

---

(١) يقال: ابتدر القوم أمرا وتبادروه، أي: بادر بعضهم بعضا إليه أيهم يسبق إليه فيغلب عليه.

تاج العروس، الزبيدي: ٣/٣٣.

(٢) قال الخطيب البغدادي: قال الخزاعي: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها.

تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٠/٤٤٤.

وأنه ﷺ كان يقول: أرحنا يا بلال.

الحبل المتين، البهائي: ١٥٤.

(٣) أنظر: رسائل الكركي، المحقق الكركي: ٣/ ٢٢٥. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي: ٧/ ٦١، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء. وفيه: "وجعل قرة عيني في الصلاة".

(٤) إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٥٨، كتاب أسرار الصلاة.

(٥) مرت ترجمته.

(٦) قال الليث: التهليل قول: لا إله إلا الله.

لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ٧٠٥، مادة "هلل".

وصل عليه وآله، وحرك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى الصلاة، وما يوجب الفلاح، وما هو خير الأعمال وأفضلها، وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه، واختمه بذكره كما افتتحت به، واجعل مبدأك منه وعودك إليه وقوامك به، واعتمادك على حوله وقوته، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

الفصل العاشر: في الوقت

قال الشهيد الثاني رحمه الله[2]: استحضر عند دخوله أنه ميقات جعله الله لك، لتقوم فيه بخدمته، وتتأهل للسؤال في حضرته والفوز بطاعته، وليظهر على قلبك السرور وعلى وجهك البهجة عند دخوله، لكونه سبباً لقربك ووسيلة إلى فوزك، واستعد له بالطهارة والنظافة ولبس الثياب الصالحة للمناجاة، كما تتأهب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا، وتلقاه بالوقار والسكينة والخوف والرجاء، واستحضر عظمة الله وجلاله، ونقصان قدرك وكماله.

وقد روي أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كل شيء[3].

---

(١) رسائل الشهيد الثاني، زين الدين بن علي: ١٢١، أسرار الصلاة.

(٢) زين الدين بن علي بن أحمد العاملي. مرت ترجمته.

(٣) عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ١٥٢، ما يكون قبل الدعاء كالطهارة وشم الطيب واستقبال القبلة والصدقة. عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور: ١/ ٣٢٤، الباب الأول في الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلك الأول/ ح٦١.

وكان علي عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ[1] ويتزلزل[2]، فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: «جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها[3]»[4].

وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا حضر الوضوء اصفر لونه[5].[6]

الفصل الحادي عشر: في لباس المصلي

قال أبو حامد[7]: وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع نظر الخلق، فما رأيك في عورات باطنك وفضائح سرك التي لا يطلع عليها إلا ربك، فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب

---

(١) قيل: قد تململ، وهو تقلبه على فراشه، قال: وتململه وهو جالس أن يتوكأ مرة على هذا الشق، ومرة على ذاك، ومرة يجثو على ركبتيه.

لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ٦٣١، مادة "ملل".

(٢) ابن الأعرابي: رجف البلد إذا تزلزل، وقد رجفت الأرض وأرجفت إذا تزلزلت.

لسان العرب، ابن منظور: ١١٣/٩، مادة "رجف".

واهتز، أي: تزلزل.

مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٤٢٦، مادة "هزز".

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنا الأَمانَةَ عَلى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإِنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ سورة الأحزاب/ ٧٢.

(٤) أنظر: تفسير نور الثقلين، الحويزي: ٤/ ٣١٣، تفسير سورة الأحزاب/ ح٢٦٥.

(٥) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ١/ ٣٢٤، الباب الأول في الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلك الأول/ ح٦٣.

(٦) أنظر: رسائل الشهيد الثاني، زين الدين بن علي: ١١٩ ـ ١٢٠.

(٧) محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي. مرت ترجمته.

نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يسترها عن عين الله ساتر وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها، فتذل به نفسك وتسكن تحت الخجلة قلبك.

وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء الآبق[١] الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً[٢] رأسه من الحياء والخوف[٣].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى، وأنعمه الإيمان، قال الله عزّوجل: ﴿**وَلِباسُ التَّقْوَىَ ذلِكَ خَيْرٌ**﴾[٤]، وإما اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم، وهي كرامة أكرم الله بها عباده ذرية آدم عليه السلام ما لم يكرم بها غيرهم، وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم.

وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله تعالى بل يقربك من شكره وذكره وطاعته، ولا يحملك على العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء، فإنها من آفات الدين وموروثة القسوة في القلب، وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته.

---

(١) الإباق: هرب العبد من سيده.

لسان العرب، ابن منظور: ١٠ / ٣، مادة "أبق".

(٢) نكس أنكسته نكسا: قلبته.

كتاب العين، الفراهيدي: ٣١٣/٥، مادة "نكس".

(٣) إحياء علوم الدين، الغزالي: ١ / ١٥٨، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة.

(٤) سورة الأعراف/ ٢٦.

وألبس باطنك بالصدق كما ألبست ظاهرك بثوبك، وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة، واعتبر بفضل الله عزّوجل، حيث خلق أسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة، وفتح أبواب التوبة والإنابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء.

ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه، واشتغل بعيب نفسك، واصفح عما لا يعنيك حاله وأمره.

واحذر أن تفني عمرك بعمل غيرك، ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل وأوفر أسباب العقوبة في الآجل، وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل من الآفات، خائض في بحر رحمة الله، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان، وما دام ناسياً لذنوبه جاهلاً بعيوبه راجعاً إلى حوله وقوته لا يفلح أبداً»[1].

الفصل الثاني عشر: في مكان المصلي

قال الشهيد الثاني ﵀[2]: استحضر فيه أنك كائن بين يدي ملك الملوك، تريد مناجاته والتضرع إليه والتماس رضاه ونظره إليك بعين الرحمة، فانظر مكاناً يصلح لذلك كالمساجد الشريفة[3] والمشاهد المطهرة[4] مع الإمكان، فإنه تعالى

---

(١) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق ؈: ٣٠، الباب الثالث عشر في اللباس. رسائل الشهيد الثاني، زين الدين بن علي: ١١٧ ـ ١١٨. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١/٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) مثل المسجد النبوي الشريف.

(٤) وهي مراقد أهل البيت ؊ وأبنائهم البررة صلوات الله عليهم أجمعين.

جعل تلك المواضع محلاً لإجابته ومظنة لقبوله ورحمته، ومعدناً[1] لمرضاته ومغفرته، على مثال حضرة الملوك الذين يجعلونها وسيلة لذلك، فادخلها ملازماً للسكينة والوقار، ومراقباً للخشوع والانكسار، سائلاً أن يجعلك من خلص عباده، وأن يلحقك بالماضين منهم.

وراقب الله كأنك على الصراط جائز، وكن متردداً بين الخوف والرجاء وبين القبول والطرد، فيخشع حينئذ قلبك ويخضع لبك، وتتأهل لأن يفيض عليك الرحمة وتنالك يد العاطفة، وترعاك عين العناية[2].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت ملكاً عظيماً لا يطأ بساطه إلا المطهرون، ولا يؤذن بمجالسته إلا الصديقون، وهب القدوم إلى بساط خدمته هيبة الملك، فإنك على خطر عظيم إن غفلت.

واعلم أنه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك، لأن عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً جزيلاً وإن طالبك باستحقاقه الصدق والإخلاص عدلاً بك حجبك ورد طاعتك وإن كثرت، وهو ﴿**فَعّالٌ لِما يُرِيدُ**﴾[3].

واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه، فإنك قد توجهت للعبادة له والمؤانسة به، واعرض أسرارك عليه، ولتعلم أنه لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين وعلانيتهم، وكن كأفقر عباده بين يديه.

---

(١) المعدن: مكان كل شيء يكون فيه أصله ومبدؤه نحو معدن الذهب والفضة والأشياء. لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٢٧٩، مادة "عدن".

(٢) أنظر: رسائل الشهيد، الشهيد الثاني: ١١٨، أسرار الصلاة.

(٣) سورة البروج/ ١٦.

وأخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك، فإنه لا يقبل إلا الأطهر والأخلص، فانظر من أي ديوان يخرج اسمك، فإن ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته، وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجاباته وقد صلحت لخدمته، فادخل فلك الإذن والأمان، وإلا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الأمل وقضى الأجل، فإذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفة والرحمة، والعطف، ووفقك لما يحب ويرضى، فإنه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين إليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته. قال الله تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾[1].[2]

الفصل الثالث عشر: في الاستقبال

قال أبو حامد[3]: وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله، أفترى أن صرف القلب من سائر الأمور إلى أمر الله ليس مطلوباً منك؟! هيهات فلا مطلوب سواه.

وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب، فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها إلى جهاتها استبغت القلب وانقلبت به عن وجه الله، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك.

---

(١) سورة النمل/ ٦٢.

(٢) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٣٠ ـ ١٣١، الباب الواحد والستون في دخول المسجد.

(٣) مرت ترجمته.

واعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلا بالتفرغ عما سوى الله، وقد قال النبي ﷺ: «إذا قام العبد إلى صلاته وكان هواه وقلبه إلى الله[1] انصرف كيوم ولدته أمه»[2] ـ انتهى[3].

وروي عنه ﷺ أنه قال: «أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار»[4].

قيل: هذا نهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلاة، فإن الملتفت يميناً وشمالاً ملتفت عن الله تعالى وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقله للأمور العلوية وعدم فهمه للعلوم.

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «إذا استقبلت القبلة فأيئس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى، وعاين بسرك عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه ﴿**يوم تَبْلُو**[5] **كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلى اللّه مَوْلاهُمُ الْحَقِّ**﴾[6]، وقف على قدم الخوف والرجاء[7].

---

(١) في المستدرك: "إلى الله تعالى".

(٢) مستدرك الوسائل، النوري: ٣/ ٥٩، كتاب الصلاة، باب ١٦ تأكد استحباب المداومة على النوافل والإقبال بالقلب على الصلاة/ ح١١.

(٣) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٥٨، كتاب أسرار الصلاة.

(٤) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور: ١/ ٣٢٢، الباب الأول في الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلك الأول/ ح٥٨.

(٥) النص في القرآن الكريم: ﴿هُنالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلى اللّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مّا كانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

(٦) سورة يونس/٣٠.

(٧) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٨٧، باب ٣٩ في افتتاح الصلاة.

الفصل الرابع عشر: في القيام

قال أبو حامد[1]: وأما الاعتدال قائماً فهو مثول بالقلب والشخص بين يدي الله تعالى، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً متطأطئاً منكساً، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر، وليكن على ذكرك هنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند التعرض للسؤال.

واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله تعالى وهو مطلع عليك، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله، بل قدر في دوام قيامك في صلواتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة[2] من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك ويسكن جميع أجزائك، خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع.

وإذا أحسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من اجترائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه، وهو أحق أن يخشى؟![3].

---

(١) مرت ترجمته.

(٢) كلأه يكلؤه وكلاء وكلاءة، بالكسر: حرسه وحفظه.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ١٤٦، مادة "كلأ".

(٣) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٥٨ ــ ١٥٩، كتاب أسرار الصلاة ومهماتها، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، ←

ولذلك لما قيل للنبي ﷺ: كيف الحياء من الله؟ فقال: «تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من أهلك»[1].

الفصل الخامس عشر: في التوجه

قال الشهيد الثاني رحمه الله[2]: إذا توجهت بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه، وصغر نفسك وخسة عبادتك في جنب عظمته، وانحطاط همتك عن القيام بوظائف خدمته واستتمام حقائق عبادته.

وتفكر عند قولك: **«اللهم أنت الملك الحق المبين»**[3] في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع العوالم، ثم ارجع على نفسك بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولك: «عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[4].

الشهيد الثاني: ١١٣ ـ ١١٥، أسرار أركان الصلاة وآدابها، الفصل الثاني في المقارنات. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٣٣، الفصل الثامن القيام في الصلاة. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣، كتاب أسرار الصلاة، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١١٢، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنوية للاعتدال. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥، فصل القيام.

(١) نفس المصادر السابقة.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) مفتاح الفلاح، البهائي: ٤٩، الباب الأول فيما يعمل مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

(٤) مهج الدعوات، ابن طاووس: ١٠٤.

وأحضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة، ومثل نفسك بين يديه، وأنه قريب منك مجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويسمع نداءه، وأن بيده خير الدنيا والآخرة لا بيد غيره عند قولك: «لبيك وسعديك والخير في يديك»[1]، ونزهه من الأعمال السيئة وأفعال الشر.

وأبدله بها محض الإرشاد والهداية عند قولك: «والشر ليس إليك والمهدي من هديت»[2]، واعترف له بالعبودية وأن قوام وجودك وبدأه ومعاده منه بقولك: «عبدك وابن عبديك منك وبك ولك[3] وإليك»[4]، أي منك وجوده وبك قوامه ولك ملكه وإليك معاده، ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَئُ**[5] **الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلى**﴾[6].

فأحضر في ذهنك هذه الحقائق، وترق منها إلى ما يفتح عليك من الأسرار والدقائق، وتلق الفيض[7] من العالم الأعلى[8].

---

(١) الكافي، الكليني: ٣/٣١٠، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة والحد في التكبير/ ح٧.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ليس في الفلاح: "و لك".

(٤) فلاح السائل، ابن طاووس: ١٣٢، صفة نوافل الزوال.

(٥) في النص القرآني: "يبدؤا".

(٦) سورة الروم/ ٢٧.

(٧) الفيض: الكثير.
كتاب العين، الفراهيدي: ٧/ ٦٥، مادة "فيض".

(٨) أنظر: أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١٠٨ ــ ١٠٩، في أسرار الاستقبال إلى القبلة. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١١٢ ـ ١١٣، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنوية للتوجه بالتكبيرات. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤، كتاب أسرار الصلاة.

الفصل السادس عشر: في النية

قال أبو حامد: وأما النية فاعزم على إجابة الله في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والكف عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاءً لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه، متقلداً للمنة بإذنه إياك في المناجاة، مع سوء أدبك وكثرة عصيانك.

وعظم في نفسك قدر مناجاته، وانظر إلى من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي، وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك[1] من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف[2].

الفصل السابع عشر: في التكبير

ومعناه «الله أكبر من كل شيء»[3]، أو «من أن يوصف»[4] أو أن يدرك بالحواس[5]، أو أن يقاس بالناس[6].[7]

---

(١) ارتعدت فرائصه واصطكت فرائص الملائكة: هي جمع فريصة، وهي: اللحمة بين جنب الدابة وكتفها. مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣٨٥، مادة "فرص".

(٢) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٥٩، كتاب أسرار الصلاة ومهماتها، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١١٧ ـ ١١٨، أسرار أركان الصلاة وآدابها، الفصل الثاني في المقارنات، في وظائف النية و أسرارها. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١١٣ ـ ١١٤، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة و أفعالها، الآداب المعنوية للنية. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٣٤، الفصل العاشر النية في الصلاة. جامع السعادات، النراقي: ٣ / ٣٤٧، فصل النية.

(٣) الكافي، الكليني: ١ / ١١٨، كتاب التوحيد، باب معاني الأسماء واشتقاقها/ ح٩.

(٤) نفس المصدر.

(٥) أنظر: من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ٣٠٦، كتاب الصلاة، باب وصف الصلاة/ ح٧.

(٦) أنظر: الأمالي، الطوسي: ٢٢٠، المجلس الثامن/ ح٣٢.

(٧) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١/ ٣٨٥، كتاب أسرار الصلاة.

قال أبو حامد[1]: فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك، وإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد أنك كاذب وإن كان الكلام صدقاً، كما شهد على المنافقين في قولهم: «إنك رسول الله»[2].

فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله وأنت أطوع له منك لله فقد اتخذته إلهك وكبرته، فيوشك أن يكون قولك: «الله اكبر» كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار، وحسن الظن بكرم الله وعفوه[3].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: إذا كبرت فاستصغر ما بين السموات العلى والثرى دون كبريائه، فإن الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب أتخدعني! وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري، ولأحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي[4].

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك فإن كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها، وقلبك مسروراً بمناجاته ملتذاً بمخاطباته فاعلم انه قد صدقك في تكبيرك، وإلا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة أنه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه[5].

---

(١) الغزالي: مرت ترجمته.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾ سورة المنافقون/ ١.

(٣) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/١٥٩، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن و شرط من أعمال الصلاة.

(٤) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٨٧ ـ ٨٨، الباب التاسع والثلاثون في افتتاح الصلاة.

(٥) أنظر: أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١٢١، أسرار أركان الصلاة و آدابها، الفصل الثاني في ←

الفصل الثامن عشر: في دعاء التوجه

قال أبو حامد: وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً»[1] وليس المراد بالوجه الوجه الظاهري، فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة، والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه، وإنما وجه القلب هو الذي يتوجه به إلى فاطر السماوات والأرض، فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهممه في البيت والسوق ومتبع للشهوات أم مقبل على ﴿**فاطِرِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[2].

وإياك وأن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاف، ولن ينصرف الوجه إلى الله إلا بانصرافه عمن سواه، فاجتهد في الحال في صرفه إليه، وإن عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صدقاً.

وإذا قلت: «حنيفاً مسلماً»[3] فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي «سلم المسلمون من لسانه ويده»[4]، فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً، فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال، وتندم على ما سبق من الأحوال.

المقارنات، في أسرار تكبيرة الإحرام. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١١٥، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة و أفعالها، الآداب المعنوية للتكبير. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٣٥، الفصل العاشر النية في الصلاة.

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٦/ ٢٥، كتاب الصلاة، باب ٨ استحباب تفريق التكبيرات السبع/ح٣.

(٢) سورة الأنعام/ ١٤.

(٣) سورة آل عمران/ ٦٧.

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٣٣، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته/ح١٢.

وإذا قلت: ﴿وَما أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]، فأخطر ببالك الشرك الخفي[2][3] فإن قوله تعالى: ﴿فَمَن كانَ يَرْجُو لِقاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[4] نزل في من يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس[5]. وكن منفياً من هذا الشرك، واستشعر الخجلة في قلبك أن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك، فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه.

وإذا قلت: ﴿مَحْيايَ وَمَماتِي لِلّهِ﴾[6] فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده، وأنه إن صدر من رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياء ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائماً للحال[7].

---

(١) سورة الأنعام/ ٧٩.

(٢) الرئاء، هو: الشرك الخفي.

منية المريد، الشهيد الثاني: ٣١٧، الباب الثالث في المناظرة وشروطها وآدابها وآفاتها، الفصل الثاني آفات المناظرة.

(٣) أنظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٩/ ٣٣٣، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب/ح١.

(٤) سورة الكهف/ ١١٠.

(٥) قال المحدث النوري: «عَنْ حُمَيْدِ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ جابِرٍ قالَ: سَمِعْتُهُ، أَيْ: جَعْفَراً عليه السلام يَقُولُ: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ سورة الكهف/ ١١٠. ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ عَمِلَ شَيْئاً مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ يَطْلُبُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، وَيَطْلُبُ بِهِ حَمْدَ النَّاسِ، يَشْتَهِي أَنْ يُسَمِّعَ النَّاسَ، قالَ: فَقالَ: هَذَا الَّذِي أَشْرَكَ بِعِبادَةِ رَبِّهِ».

مستدرك الوسائل، المحدث النوري: ١/ ١٠٦، أبواب مقدمة العبادات، باب ١١ تحريم قصد الرياء والسمعة في العبادة/ ح١١.

(٦) سورة الأنعام/ ١٦٢.

(٧) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٥٩، كتاب أسرار الصلاة ومهماتها، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن و شرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١٢٢ ـ ←

الفصل التاسع عشر: في الاستعاذة

قال[1]: إذا قلت: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فاعلم أنه عدوك، ومترصد لصرف قلبك عن الله حسداً لك على مناجاتك مع الله وسجودك له، مع أنه لعن لسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها[2].

وأن استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك، وأن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله فقال: «أعوذ منك بذلك الحصن الحصين» وهو ثابت على مكانه أن ذلك لا ينفعه، بل لا يعيذه إلا تبديل المكان، فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمان فلا يغنيه مجرد القول، فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عزّوجل عن شر الشيطان، وحصنه لا إله إلا الله، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ: «لا إله إلا الله حصني»[3]، والمتحصن به من لا معبود له سوى الله، فأما ﴿**مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾[4] فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله.

١٢٤، أسرار أركان الصلاة وآدابها، الفصل الثاني في المقارنات، في أسرار دعاء التوجه ومعناه. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١١٥، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنوية لدعاء الاستفتاح. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٣٥ ـ ٢٣٦، الفصل الحادي عشر دعاء الاستفتاح للصلاة. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩، فصل دعاء الاستفتاح.

(١) يعني: "أبو حامد الغزالي".

(٢) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٥٩، كتاب أسرار الصلاة، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة. رسائل الشهيد الثاني، الشهيد الثاني: ١٢٧، أسرار الصلاة.

(٣) بشارة المصطفى، عماد الدين الطبري: ٢٦٩.

(٤) سورة الفرقان/ ٤٣.

واعلم أن من مكائده أن يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات لتمتنع عن فهم ما تقرأ، فاعلم أن كل ما يشغلك عن معاني القرآن فهو وسواس[١]، فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني، والناس في القراءة ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيستمع ويفهم منه كأنه يسمعه من غيره وهو درجة ﴿**أَصْحابُ الْيَمِينِ**﴾[٢]، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه. ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب، والمقربون ألسنتهم ترجمان يتبع القلب ـ انتهى[٣].

وعليك بالخضوع والخشوع وحضور القلب في صلاتك.

الفصل العشرون: في بيان الخضوع والخشوع وحضور القلب

قال الله تعالى: ﴿**والَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ**﴾[٤] وقال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ ساهُونَ**﴾[٥]. ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين لا لأنهم سهوا عنها وتركوها[٦].

---

(١) أنظر: تفسير الثعالبي، أبي زيد الثعالبي: ٤/ ١٤٢، تفسير سورة المؤمنون.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الواقعة/ الآية ٢٧، ونصها: ﴿وأَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ﴾.

(٣) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٥٩، كتاب أسرار الصلاة ومهماتها، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١٢٤ ــ ١٢٦، أسرار أركان الصلاة وآدابها، الفصل الثاني في المقارنات، في أسرار القراءة ووظائفها. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١١٦ ـ ١١٧، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنوية لدعاء الاستفتاح.

(٤) سورة المؤمنون/ ٢. ونصها: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾.

(٥) سورة الماعون/ ٤ ـ ٥.

(٦) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٤٩/١، كتاب أسرار الصلاة، فضيلة الخشوع ومعناه.

وقال تعالى: ﴿**لا تَقْرَبُواْ الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكارى حَتّى تَعْلَمُواْ ما تَقُولُــونَ**﴾[1] وفيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بيَّن فيه العلة[2].

وقال تعالى: ﴿**وَلا تَكُن مِنَ الْغــافِلِينَ**﴾[3] وقال تعالى: ﴿**أَقِــمِ الــصّلاةَ لِذِكْرِي**﴾[4].

وقال النبي ﷺ: «من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه»[5].

وقال عليه السلام[6]: «إذا صليت فريضة فصلِّ لوقتها صلاة مودع تخاف أن لا تعود فيها»[7].

وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه»[8].

---

(١) سورة النساء/ ٤٣.

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١/٣٤٩، كتاب أسرار الصلاة، فضيلة الخشوع ومعناه.

(٣) سورة الأعراف/ ٢٠٥.

(٤) سورة طه/ ١٤.

(٥) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ١/ ٣٢٢، الباب الأول في الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه/ ح٥٩. ونصه: «من صلى ركعتين ولم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمور الدنيا غفر الله له ذنوبه».

(٦) الإمام الصادق عليه السلام.

(٧): أنظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢/ ٣١٧، مجلس في ذكر فضائل الصلاة.

(٨) المحاسن، البرقي: ١/ ٢٦١، باب ٣٣ النية، ذيل الحديث. وفيه النص: «لا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه». وورد كما في المتن في المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ١/ ٣٥٩، كتاب أسرار الصلاة، فضيلة الخشوع و معناه.

وقال الصادق عليه السلام: «من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذبه، ومن قبل منه حسنة لم يعذبه»[1].

وروي أن إبراهيم الخليل عليه السلام: «كان يسمع تأوهه على حد ميل، وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل[2]»[3].

وكان الحسن عليه السلام إذا فرغ من وضوئه تغير لونه، فقيل له في ذلك فقال: «حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه[4]. وروي نحوه عن السجاد عليه السلام»[5].

وعنه عليه السلام[6] أنه كان إذا توضأ اصفر لونه، فتقول[7] له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: «أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم»[8].

ورآه رجل يصلي[9] فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوه حتى فرغ من صلاته فسأله عن ذلك فقال: «ويحك أتدري بين يدي من كنت؟ إن العبد لا تقبل منه

---

(١) الكافي، الكليني: ٣/ ٢٦٦، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة/ ح١١. ذخيرة المعاد، المحقق السبزواري: ٢/ ١٨٢، كتاب الصلاة.

(٢) قال أبو عبيد: في حديثه عليه السلام: أنه كان يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. قوله: أزيز يعني غليان جوفه بالبكاء.

غريب الحديث، ابن سلام: ١/ ٢٢١.

(٣) عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ١٥١، الباب الرابع في كيفية الدعاء وله آداب.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام.

(٧) في المصدر: "فيقول".

(٨) ينابيع المودة، القندوزي: ١٥٤، الباب الخامس والستون.

(٩) عن أبي حمزة الثمالي، قال: رأيت علي بن الحسين عليه السلام يصلي ... الحديث.

تقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها». فقلت جعلت فداك هلكنا قال عليه السلام: «كلا إن الله يتم ذلك بالنوافل»[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين[2] إذا قام إلى الصلاة تغير لونه، وإذا[3] سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً[4]»[5].

وعنه عليه السلام[6] قال: «كان أبي[7] يقول: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه إلا ما حركت الريح منه»[8].

ولله در المحقق الفريد والمدقق الوحيد الشريف المهدي الطباطبائي رحمه الله[9] حيث

---

(١) أنظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٢/ ٣٤٢، كتاب الصلاة، باب ١٦ أحكام السهو/ح٣.

(٢) في فلاح السائل: "كان علي بن الحسين عليه السلام".

(٣) في فلاح السائل: " فإذا " بدل " وإذا ".

(٤) حديث علي بن الحسين عليه السلام: «لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقا»، أي: يسيل ويجري. مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٢٠٢/٣، مادة "رفض".

(٥) فلاح السائل، ابن طاووس: ١١٧، أدبه عليه السلام في السجود.

(٦) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٧) أي: «الإمام الباقر عليه السلام».

(٨) أنظر: الكافي، الكليني: ٣/ ٣٠٠، كتاب الصلاة، باب الخشوع في الصلاة/ ح٤.

(٩) المهدي الطباطبائي: بحر العلوم: السيد محمد مهدي بن العالم السيد مرتضى بن العالم الجليل السيد محمد البروجردي الطباطبائي، كان رحمه الله سيد علماء الأعلام. ومولى فضلاء الإسلام علامة دهره وزمانه ووحيد عصره وأوانه. قال شيخنا في المستدرك: قد أذعن له جميع علماء عصره ومن تأخر عنه بعلو المقام والرئاسة النقلية والعقلية وسائر الكمالات النفسانية، حتى إن الشيخ الفقيه الأكبر الشيخ جعفر النجفي مع ما هو عليه من الفقاهة والرئاسة، كان يمسح تراب خفه بحنك عمامته، وهو من الذين تواترت عنه المكرمات ولقاءه الحجة صلوات الله عليه، ولم يسبقه في هذه الفضيلة احد فيما اعلم إلا السيد ←

قال في الدرة[1]:

عليك بالحضور والإقبال	**في جملة الأقوال والأفعال**
والصدق في النية والإخبات	**فإنها حقيقة الصلاة**
وليس للعبد بها ما يقبل	**إلا الذي كان عليه يقبل**
وصل بالخضوع والتخشع	**وكن إذا صليت كالمودع**
واستعمل الوقار والسكينة	**واستحضر المقاصد المكنونة**
وخذ من الأكمام لب الثمرة	**واطلب من المعدن أصل الجوهرة**

→

رضي الدين علي بن طاوس، وقد ذكرنا جملة منها بالأسانيد الصحيحة في كتابنا دار السلام، والجنة المأوى، والنجم الثاقب لو جمعت لكانت رسالة حسنة انتهى. تولد في الحائر الشريف سنة ١١٥٥ هـ. توفي العلامة الطباطبائي بحر العلوم في النجف الأشرف سنة١٢١٢هـ.

الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ٢/ ٦٧ ـ ٧٠.

(١) الدرة المنظومة في الفقه خرج منه تمام الطهارة والصلاة إلى صلاة الطواف، لسيدنا بحر العلوم محمد المهدي بن المرتضى بن محمد الطباطبائي البروجردي المتوفى بالنجف (١٢١٢) طبع بإيران مكررا.

أوله أفتتح المقال بعد البسملة	بحمد خير منعم والشكر له

وقال في تسميته وتاريخ نظمه:

غراء قد وسمتها بالدرة	تأريخها عام الشروع (غره)

المنطبق على (١٢٠٥).

قال الطهراني في الذريعة: وله شروح كثيرة وتتميمات وملحقات مر بعض تتميماته في (ج٣ ـ ص٣٤١). وطبع بعض ملحقاته معه في (١٣٢٠).

الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني: ٨/ ١٠٩ ـ ١١١/ الرقم ٤٠٨.

إيـــاك مـــن قـــول بـــه تفنـــد — **فأنـــت عبـــد لهـــواك تعبـــد**

تلهـــج فـــي إيـــاك نـــستعين — **وأنـــت غيـــر الله تـــستعين**

ينعـى علـى البـاطن حـسن مـا علـن — **مـا أقـبح القبـيح فـي زي حـسن**

حـسن لـه البـاطن فـوق الظـاهر — **واعـبده بالقلـب التقـي الطاهـر**

وتـــب إليـــه وأنـــب واســـتغفر — **وســـدد الطاعـــة بـــالتفكر**

وقـــم قيـــام الماثـــل الـــذليل — **مـا بـين أيـدي الملـك الجليـل**

واعلـــم إذا مـــا قلـــت مـــا تقـــول — **ومـــن تنـــاجي ومـــن المـــسؤول**[1]

وذكر أبو حامد وغيره[2] أن المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة تجمعها ست جمل، وهي: حضور القلب، والتفهم، والتعظيم والهيبة، والرجاء، والحياء.

فالأول: حضور القلب، ونعني به أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما، ولا يكون الفكر جارياً في غيرهما، ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه، ولم يكن فيه غفلة عنه فقد حصل حضور القلب.

الثاني: التفهم، بمعنى الكلام، وهو أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردنا به التفهم، وهذا مقام يتفاوت فيه الناس، إذ ليس يشترك الناس في فهم معاني القرآن والتسبيحات، وكم من معان لطيفة

(١) أنظر: مستدرك سفينة البحار، علي النمازي: ٧/ ٦٥. وقد أورد بعض الأبيات من القصيدة ولم نعثر على نسخة من الدرة لمقابلة ما ورد في كتابنا مع الأصل.

(٢) أشرنا في نهاية الفصل إلى المراجع التي ذكرت النص والمضمون ومؤلفيها فانظر الآتي.

يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم تكن قد خطرت بقلبه قبل ذلك. ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر[١]، فإنها تفهم أموراً وتلك الأمور تنهى عن الفحشاء والمنكر لا محالة.

الثالث: التعظيم، وهو أمر وراء حضور القلب والتفهم، إذ الرجل ربما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظماً له.

الرابع: الهيبة، وهي زائدة على التعظيم، إذ هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم، لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً. ثم كل خوف لا يسمى مهابة، بل «الهيبة خوف مصدره الإجلال»[٢].

الخامس: الرجاء، فالعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله، كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله.

ثم الحياء، ومستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب.

ثم ذكروا أسباب هذه المعاني الستة: فسبب حضور القلب الهمة، فإن قلبك تابع لهمك، فلا يحضر إلا في ما يهمك، ومهما أهمك أمر حضر القلب شاء أم أبى، فهو مجبول[٣] عليه ومسخر فيه، والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلاً بل كان حاضراً في ما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن ﴿**الآخِرَةُ**

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاء وَالْمُنكَرِ﴾ سورة العنكبوت/٤٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد، الشامي: ١/٥٢٣.

(٣) جبل الإنسان على هذا الأمر، أي: طبع عليه. وجبلة الشيء: طبيعته وأصله وما بني عليه. لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ٩٨، مادة "جبل".

خَيْرٌ وَأَبْقى﴾[1]، وأن الصلاة وسيلة إليه، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة.

وأما التفهم فسببه ــ بعد حضور القلب ــ إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى، وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر[2] لرفع الخواطر الشاغلة، وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها، أعني النزوع[3] من تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها، وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر، «فمن[4] أحب شيئاً أكثر ذكره»[5]، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة، ولذلك ترى من أحب غير الله لا يصفو له صلاة عن الخواطر.

وأما التعظيم فهي حالة للقلب يتولد من معرفتين: إحداهما معرفة جلال الله وعظمته، وهي من أصول الإيمان، فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه. الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً، حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله، فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم

---

(١) سورة الأعلى/ ١٧.

(٢) رجل متشمر: ماض في الحوائج.

كتاب العين، الفراهيدي: ٦/ ٢١٦، مادة "شمر".

(٣) نزعت الشيء: قلعته.

كتاب العين، الفراهيدي: ١/ ٣٥٧، مادة "نزع".

(٤) في التذكرة: "من" بدل "فمن".

(٥) تذكرة الموضوعات، الفتني: ١٩٩.

والخشوع، فإن المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة.

ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله، لأن القرينة الأخرى ـ وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها ـ لم تقترن إليه.

وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به، ولو أنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة. هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأوصياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع. وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة.

وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم أنعامه ولطائف صنعه، ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة.

وأما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة، وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله، ويقوي ذلك المعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها، وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعاله مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله، والعلم بأنه مطلع على السريرة وخطرات القلب وإن دقت وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء[1].

---

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/١٥٤ ـ ١٥٦، كتاب أسرار الصلاة ومهماتها، بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ٩٥ ـ ٩٨، المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٢٥ ـ ٢٢٧، الفصل الثاني ست جمل تتم بها حياة الصلاة. جامع السعادات، النراقي: ٣/٣٢٣ ـ ٣٢٥، فصل حقيقة الصلاة.

الفصل الحادي والعشرون: في القراءة

قال أبو حامد: إذ قلت: ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الــرَّحِيمِ﴾[1] فانوِ به التبرك لابتداء القراءة بكلام الله؛ وافهم أن معناه أن الأمور كلها بالله، وأن المراد بالاسم هنا هو المسمى، فإذا كانت الأمور بالله فلا جرم كان ﴿الْحَمْدُ للّــهِ﴾[2]، إذ النعم منه، ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله بشكره لا من حيث إنه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله.

فإذا قلت: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[3] فأحضر في قلبك أنواع لطفه تتضح لك رحمته، فينبعث به رجاؤك، ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك: ﴿مٰالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[4]، أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له، وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه.

ثم جدد الإخلاص بقولك: ﴿إِيّــاكَ نَعْبُــدُ﴾[5] وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك: ﴿وإِيّاكَ نَــسْتَعِينُ﴾[6]، وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته، وإن له المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته، وجعلك أهلا لمناجاته، ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين[7].

(١) سورة الفاتحة/ ١.

(٢) سورة الفاتحة/ ٢.

(٣) سورة الفاتحة/ ٣.

(٤) سورة الفاتحة/ ٤.

(٥) سورة الفاتحة/ ٥.

(٦) سورة الفاتحة، الآية/ ٥.

(٧) قول أبي حامد في الإحياء وتتمته بعد تعليق المؤلف ذكرنا المصادر التي أوردته نهاية فصل القراءة.

قيل : أتى بصيغة الجمع هضماً لنفسه ، وإن عبادته واستعانته ليستا قابلتين في معرض العدل ، فمزج عبادة غيره واستعانته أيضاً في ذلك ، إذ لا تخلو جميع العبادات من عبادة مقبولة ، وتكون عبادته وغيرها كبيع الصفقة لا يرد بعضه ، ويقبل بعضه ، بل إما يرد الجميع أو يقبل الجميع ، والله سبحانه أكرم من أن يرد الجميع فيقبل الجميع ، وهذا من جملة فوائد الصلاة في أول الوقت والصلاة جماعة ، والابتداء في سؤال الحاجة بالصلاة على محمد وآله ثم ذكر الحاجة ثم الاختتام بالصلاة ، فإن الله أكرم من أن يقبل الطرفين ويرد الوسط[1].

ثم إذا فرغت من التفويض بقولك بسم الله وعن التحميد وعن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل : ﴿**إهدِنَا الصِّراطَ المُستَقِيمَ**﴾[2] الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك، وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيداً واستشهاداً بالذين أنعم عليهم نعمة الهداية ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ**﴾[3] ، دون الذين غضب عليهم من الكفار والمنافقين الزائغين من اليهود والنصارى والصابئين.

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم في ما أخبر عنه النبي ﷺ : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها

---

(١) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ فإِنَّ الرَّاكِبَ يَمْلأُ قَدَحَهُ فَيَشْرَبُهُ إِذَا شاءَ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعاءِ وَفِي آخِرِهِ وَفِي وَسَطِهِ».

الكافي، الكليني: ٢ / ٤٩٢ ، كتاب الدعاء، باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته الكرام/ح٥.

(٢) سورة الفاتحة/ ٦.

(٣) سورة النساء/ ٦٩.

لعبدي، يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] فيقول الله: حمدني عبدي وأثنى علي[2]، وهو معنى قوله: سمع الله لمن حمده ـ الحديث إلى آخره.

فإن لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة، فكيف ما ترجوه من ثوابه وفضله.

وكذلك ينبغي أن تكون تفهم ما تقرأ من السورة كما يأتي في باب تلاوة القرآن، فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه، فلكل واحد حق، فالرجاء حق الوعد، والخوف حق الوعيد، والعزم حق الأمر والنهي، والاتعاظ حق الموعظة، والشكر حق ذكر المنة، والاعتبار حق أخبار الأنبياء. وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب، ودرجات ذلك لا تنحصر.

والصلاة مفتاح القلوب، فيها تنكشف أسرار الكلمات. فهذا حق القراءة، وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضاً. ثم تراعي الهيئة في القراءة فترتل ولا تسرد ولا تعجل، فإن ذلك أيسر للتأمل[3].

---

(١) سورة الفاتحة/ ٢.

(٢) أنظر: التبيان، الشيخ الطوسي: ١/ ٤٦، تفسير سورة الفاتحة. تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ١/ ٤٨، تفسير سورة الفاتحة. جامع البيان، الطبري: ١/ ١٢٨، تفسير سورة الفاتحة.

(٣) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٦٠، كتاب أسرار الصلاة و مهماتها، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن و شرط من أعمال الصلاة. أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١٢٧ ــ ١٣١، أسرار أركان الصلاة وآدابها، القسم الثاني في المقارنات، في تفصيل ترجمة القرآن و ما يتعلق بها. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١١٧ ــ ١١٩، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، تفصيل معاني الذكر في الصلاة. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٣٥٠ ـ ٣٥٢، فصل الاستعاذة.

الفصل الثاني والعشرون: في دوام القيام

قال أبو حامد: وأما دوام القيام فهو تنبيه على إقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور. قال النبي ﷺ: «إن الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت»[1].

وكما يجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة، فإن التفت إلى غيرها فذكره باطلاع الله عليك، وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود إليه.

والزم خشوع القلب، فإن الخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً ثمرة الخشوع، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر. قال ﷺ: «وقد رأى مصلياً يعبث بلحيته: أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه[2]، فإن الرعية بحكم الراعي». ولهذا ورد في الدعاء «اللهم أصلح الراعي والرعية»[3] وهو القلب والجوارح، كل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك.

ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعاً وتضطرب أطرافه بين يدي الله تعالى فذلك لقصور معرفته عن جلال الله تعالى، وعن اطلاعه على سره وضميره، وتدبر قوله تعالى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾[4].[5]

---

(١) رسائل الشهيد الثاني، زين الدين بن علي: ١٢٤. وفيه: "على العبد ما لم يلتفت".

(٢) بحار الأنوار، المجلسي: ٨١/ ٢٦١، كتاب الصلاة، باب ١٦ آداب الصلاة/ ح٥٩.

(٣) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ٣/ ٢٧٥.

(٤) سورة الشعراء/ ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٥) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ١٦٠ ـ ١٦١، كتاب أسرار الصلاة و مهماتها، بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة. أسرار العبادات، الفيض ←

الفصل الثالث والعشرون: في الركوع

قال[1]: وأما الركوع فينبغي أن تجدد عنده ذكر كبرياء الله تعالى، وترفع يديك مستجيراً بعفو الله من عقابه، ومتبعاً سنة نبيه ﷺ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك، وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار.

ثم ترتفع عن ركوعك راجياً أنه راحم ذلك، وتؤكد ذلك الرجاء في نفسك بقولك: «سمع الله لمن حمده» أي أجاب الله لمن شكره، ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد، فتقول: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2]. انتهى[3].

ثم تزيد في الخشوع والتذلل، فتقول: «أهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت»[4].

→

الكاشاني: ١١٩ ـ ١٢٠، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنوية للقيام. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٣٩، الفصل الرابع عشر القيام والخشوع.

(١) يعني: أبو حامد الغزالي.

(٢) سورة الفاتحة/ ٢.

(٣) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٦١/١، كتاب أسرار الصلاة ومهماتها. أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١٣٤ ـ ١٣٦، في وظائف الركوع. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١٢٠ ـ ١٢١، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأبعادها، الآداب المعنوية للركوع والسجود. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٣٩ ـ ٢٤٠، الفصل الخامس عشر في الركوع. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣، فصل الركوع.

(٤) مصباح المتهجد، الطوسي: ٣٨ فصل في سياقة الصلوات الإحدى والخمسين.

وروى الصدوق[1] عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن معنى مد العنق في الركوع؟ فقال: «تأويله آمنت بك ولو ضربت عنقي»[2].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «لا يركع لله عبد ركوعاً على الحقيقة إلا زينه الله تعالى بنور بهائه، وأظله في ظلال كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه، والركوع أول والسجود ثان، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني، وفي الركوع أدب وفي السجود قرب، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين»[3].

الفصل الرابع والعشرون: في السجود

قال أبو حامد: ثم تهوي إلى السجود، وهو أعلى درجات الاستكانة فمكن أعز أعضائك ـ وهو الوجه ـ من أذل الأشياء ـ وهو التراب ـ، وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل، فإنه أجلب للخضوع وأدل على الذل.

---

(١) الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، أبو جعفر، جليل القدر، حفظة بصير بالفقه و الأخبار، شيخ الطائفة، وفقيهها ووجهها بخراسان، كان ورد بغداد سنة خمس وخمسين و ثلاثمائة، سمع منه شيوخ الطائفة وهو حديث السن، له مصنفات كثيرة لم ير في القميين مثله في الحفظ وفي كثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف، مات بالري سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

رجال ابن داود، ابن داود الحلي: ٣٢٤ ـ ٣٢٥ / الرقم ١٤٢٥.

(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ٢/ ٣٢٠، باب ١٠ علة مد العنق في الركوع. وفيه: "آمنت بوحدانيتك ولو ضربت عنقي".

(٣) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٨٩، الباب الأربعون في الركوع.

وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فإنك من التراب خلقت وإليه رددت ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل : «سبحان ربي الأعلى» وأكده بالتكرار ، فإن المرة الواحدة ضعيفة الآثار ، فإذا رق قلبك وطهر لبك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك ، فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر ، فارفع رأسك مكبراً سائلاً حاجتك ومستغفراً من ذنوبك.

ثم أكد التواضع بالتكرار ، وعد إلى السجود ثانياً كذلك[١]. انتهى.

وروى الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام : إنه سئل ما معنى السجدة الأولى؟ قال : تأويلها «اللهم إنك منها خلقتنا» يعني من الأرض ، وتأويل رفع رأسك منها «ومنها أخرجتنا» ، والسجدة الثانية «وإليها تعيدنا» ورفع رأسك منها «ومنها تخرجنا تارة أخرى»[٢].

---

(١) أنظر : إحياء علوم الدين ، الغزالي : ١ / ١٦١ ، كتاب أسرار الصلاة ومهماتها. أسرار الصلاة ، الشهيد الثاني : ١٣٦ ــ ١٤٠ ، في وظائف السجود وأسراره. أسرار العبادات ، الفيض الكاشاني : ١٢١ ــ ١٢٢ ، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأبعادها ، الآداب المعنوية للركوع والسجود. الحقايق في محاسن الأخلاق ، الفيض الكاشاني : ٢٤٠ ــ ٢٤١ ، الفصل الخامس عشر في الركوع. جامع السعادات ، النراقي : ٣ / ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ، فصل الركوع.

(٢) من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق : ١ / ٣١٤ ، أبواب الصلاة وحدودها ، باب وصف الصلاة / ح١٦.

وفيه النص : «سَأَلَ رَجُلٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقالَ : لَهُ يا ابْنَ عَمِّ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ ما مَعْنَى السَّجْدَةِ الأُولى فَقالَ تَأْوِيلُهَا اللّهُمَّ إِنَّكَ مِنْها خَلَقْتَنا يَعْنِي مِنَ الأَرْضِ ، وَتَأْوِيلُ رَفْعِ رَأْسِكَ ، وَمِنْها أَخْرَجْتَنا ، وَتَأْوِيلُ السَّجْدَةِ الثّانِيَةِ ، وَإِلَيْهَا تُعِيدُنا ، وَرَفْعِ رَأْسِكَ ، وَمِنْهَا تُخْرِجُنا تارَةً أُخْرَى».

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة، وما أفلح من خلا بربه في مثل تلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه غافل لاهٍ عما أعد الله للساجدين من أنس العاجل وراحة الآجل، ولا بعد عن الله أبداً من أحسن تقربه في السجود، ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيع حرمته بتعليق قلبه بسواه في حال سجوده، فاسجد سجود متواضع لله ذليل علم أنه خلق من تراب يطؤه الخلق، وأنه ركب من نطفة يستقذرها كل أحد». وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسر والروح، فمن قرب منه بعد من غيره، ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون، كذلك أمر الباطن، فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته. قال الله تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[1][2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: «لا أطلع على قلب عبد فأعلم فيه حب الإخلاص لطاعة وجهي وابتغاء مرضاتي إلا توليت تقويمه وسياسته، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين»[3].

---

(١) سورة الأحزاب/ ٤.

(٢) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٩١-٩٢، الباب الواحد والأربعون في السجود.

(٣) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٩١، الباب الواحد والأربعون في السجود. مستدرك الوسائل، المحدث النوري: ٤/ ٤٨٣، كتاب الصلاة، أبواب السجود، باب ٢٣ نوادر ما يتعلق بأبواب السجود/ ح٢.

الفصل الخامس والعشرون: في التشهد

قال الشهيد الثاني ﵀: إذا جلست للتشهد بعد هذه الأفعال الدقيقة والأسرار العميقة المشتملة على الأخطار الجسيمة والأهوال العظيمة فاستشعر الخوف التام والرهبة والحياء والوجل أن يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه ولا محصلاً لوظيفته وشرطه ولا مكتوباً في ديوان المقبولين، فاجعل يدك صفراً من فوائدها إلا أن يتداركك الله برحمته ويقبل عملك الناقص بفضله، وارجع إلى مبدأ الأمر وأصل الدين، واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله تعالى الذي ﴿**مَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾[(١)] إن لم يكن حصل في يدك غيره.

واشهد له بالوحدانية، وأحضر رسوله الكريم ونبيه العظيم ﷺ ببالك واشهد له بالنبوة والرسالة، وصل عليه وآله مجدداً عهد الله بإعادة كلمتي الشهادة متعرضاً بهما لتأسيس مراتب العبادة، فإنهما أول الوسائل وأساس الفواضل وجماع أمر الفضائل، مترقباً لإجابته ﷺ لك بصلاتك عشراً من صلاته[(٢)] إذا قمت بحقيقة صلاتك عليه التي لو وصل إليك منها واحدة فلحت أبداً[(٣)].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق ﵇: «التشهد ثناء على الله، فكن عبداً له في السر، خاضعاً له في الفعل، كما أنك له عبد في القول والدعوى، وصل صدق

---

(١) سورة آل عمران/ ٩٧.

(٢) إشارة إلى النص الشريف عن النبي ﷺ: «من صلى علي مرة صليت عليه عشرا ومن صلى علي عشرا صليت عليه مائة».
تصحيح الاعتقاد، الشيخ المفيد: ٩١.

(٣) أنظر: أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١٤١ ـ ١٤٣، وظائف التشهد وأسراره. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٤٢، الفصل السابع عشر التشهد.

لسانك بصفاء سرك، فإنه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك، وأن تحقق عبوديتك له بربوبيته لك، وتعلم أن نواصي الخلق بيده، فليس لهم نفس ولا لحظة إلا بقدرته ومشيئته وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء في مملكته إلا بإذنه وإرادته.

ثم قال عليه السلام[1]: «فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته، وبالعبادة في أداء أوامره، وقد أمرك بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله، فأوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته، وانظر أن لا تفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلواته»[2].

الفصل السادس والعشرون: في التسليم

قال رحمه الله[3]: وإذا فرغت من التشهد فأحضر نفسك بحضرة سيد المرسلين والملائكة المقربين وبقية أنبياء الله وأئمته عليهم السلام: والحفظة لك من الملائكة المحصين لأعمالك، وأحضرهم جميعاً في بالك وقل: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك، فتكون من العابثين واللاعبين. وكيف يسمع الخطاب لمن لا يقصد لولا فضل الله ورحمته الشاملة ورأفته الكاملة في اجتزائه بذلك عن أصل الواجب، وإن كان بعيداً عن درجات القبول منحطاً عن أوج القرب والوصول.

وإن كنت إماماً لقوم فأقصدهم السلام مع من تقدم من المقصودين، وليقصدوا هم الرد عليك أيضاً، ثم يقصدوا مقصدك بسلام ثانٍ، فإذا فعلتم ذلك فقد أديتم وظيفة السلام، واستحققتم من الله مزيد الإكرام[4].

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٩٣ ـ ٩٤، الباب الثاني والأربعون في التشهد.

(٣) أي: "الشهيد الثاني زين الدين بن علي".

(٤) أنظر: أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ١٤٣، وظائف السلام وأسراره، التسليم. أسرار العبادات، ←

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «معنى السلام في دبر كل صلاة الأمان، أي من أدى أمر الله وسنة نبيه خالصاً له خاشعاً قلبه فله الأمان من بلاء الدنيا، وبراءة من عذاب الآخرة. والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإنصافات، وصدق مصاحبتهم في ما بينهم وصحة معاشرتهم.

وإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله، وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك أن لا تدنسها بظلمة المعاصي، وليسلم حفظتك أن لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم صديقك ثم عدوك، فإن لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا إسلام ولا تسليم، وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق[1].

→ الفيض الكاشاني: ١٢٤، الآداب المعنوية لسائر مقدمات الصلاة وأفعالها، الآداب المعنوية للتسليم. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٤٣، الفصل الثامن عشر السلام.

(١) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٩٥ ـ ٩٦، الباب الثالث والأربعون في السلام. وفيه النص: «قال الصادق عليه السلام: معنى التسليم في دبر كل صلاة معنى الأمان أي من أتى بأمر الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله خاضعا له خاشعا فيه فله الأمان من بلاء الدنيا والبراءة من عذاب الآخرة والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه في خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإلصاقات وتصديق مصاحبتهم ومجالستهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم فإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله تعالى وليسلم دينك وقلبك وعقلك لا تدنسها بظلم المعاصي ولتسلم منك حفظتك لا تبرمهم ولا تملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم مع صديقك ثم مع عدوك فإن من لم يسلم منه من هو أقرب إليه فالأبعد أولى ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا تسليم وكان كاذبا في سلامه وإن أفشاه في الخلق واعلم أن الخلق بين فتن ومحن في الدنيا إما مبتلى بالنعمة ليظهر شكره وإما مبتلى بالشدة ليظهر صبره والكرامة في طاعته والهوان في معصيته ولا سبيل إلى رضوانه ورحمته إلا بفضله ولا وسيلة إلى طاعته إلا بتوفيقه ولا شفيع إليه لا بإذنه ورحمته».



الباب الثاني

صلاة الجمعة



في صلاة الجمعة

قال الشهيد الثاني ﴿﴾ : وتختص صلاة الجمعة باستحضار أن يومها يوم عظيم، وعيدها عيد شريف، خص الله به هذه الأمة وجعله وقتاً شريفاً لعباده، ليقربهم فيه من جواره ويبعدهم من طرده وناره، وحثهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال، وتلافي ما فرط منهم في بقية الأسبوع من الإهمال، وجعل أهم ما يقع فيه من طاعته وما يوجب الزلفى[1] لديه صلاة الجمعة، وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله، وخصها من بين سائر الصلوات التي هي أفضل القربات بالذكر، فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[2].

وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما ينتبه له من له حظ من المعاني، ومن أهم رمزها التعبير عن الصلاة بذكر الله تنبيهاً على أن الغرض

(١) الزلفة والزلفى: القربى والمنزلة.

مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٢/ ٢٨٦، مادة "زلف".

(٢) سورة الجمعة/ ٩.

الأقصى من الصلاة ذكر الله بالقلب وإحضار عظمته بالبال، فإن هذا وأشباهه هو السر في كون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر[1]، وهذا إنما يتم مع التوجه التام إلى الله وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الأكبر[2] والكثير[3] على ما ورد في بعض التفسير[4] فضلاً عن أن يكون ذكراً مطلقاً، فلا جرم وجب الاهتمام بها زيادة على غيرها من الصلوات، والتهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه والمثول في

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاء وَالْمُنكَرِ﴾ سورة العنكبوت/٤٥.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ سورة العنكبوت/ ٤٥.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ سورة الأحزاب/٤١.

(٤) قال الشيخ الطبرسي: "اختلف في معنى الذكر الكثير:

فقيل: هو أن لا ينساه أبدا، عن مجاهد.

وقيل: هو أن يذكره سبحانه بصفاته العلى، وأسمائه الحسنى، وينزهه عما لا يليق به.

وقيل: هو أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر على كل حال، عن مقاتل.

وقد ورد عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قالوا: من قالها ثلاثين مرة، فقد ذكر الله ذكرا كثيرا.

وعن زرارة وحمران، ابني أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد ذكر الله ذكرا كثيرا.

وروى الواحدي بإسناده عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد! قل «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، عدد ما علم، وزنة ما علم، وملء ما علم». فإن من قالها كتب الله له بها ست خصال: كتب من الذاكرين الله كثيرا، وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار، وكان له غرسا في الجنة، وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة، وينظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعذبه.

تفسير مجمع البيان الشيخ الطبرسي: ٨/ ١٦٦ ـ ١٦٨، تفسير سورة الأحزاب.

حضرته والفوز بمخاطبته، بعد الإتيان بمقدمات الصلاة من وظائف اليوم من التنظيف والتطييب والتعمم وحلق الرأس وقص الشارب والأظفار وغير ذلك من السنن[1] بقلب مقبل صاف وعمل مخلص ونية خالصة: كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا.

ولا تقصد بهذه الوظائف حظك من الرفاهية، فتخسر صفقتك وتظهر بعد ذلك حسرتك، وكلما أمكنك تكثير المطالب التي يترتب عليها الثواب بعملك فاقصدها يضاعف ثواب عملك بقصدها إن أمكنك ذلك[2].

---

(١) أنظر في الآداب والسنن وتفصيلها وما ورد فيهما: حلية المتقين، العلامة المجلسي. جامع أحاديث الشيعة، البروجردي: الجزء ٢٠ و٢١.

(٢) أنظر: أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ٢٠١ ـ ٢٠٣، البحث الثاني، أسرار صلاة الجمعة. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١٦٢ ـ ١٦٤، الباب الخامس في صلاة الجمعة وآدابها، آداب الجمعة. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٤٤ ـ ٢٤٥، الفصل العشرون صلاة الجمعة.



الباب الثالث

صلاة العيدين



في صلاة العيدين

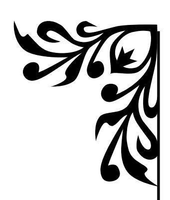
قال[1]: وأما صلاة العيدين[2] فأحضر في قلبك أنها يوم قسمة الجوائز، وتفرقة الرحمة وإفاضة المواهب على من قبل صومه وقرباته وقام بوظائفها فأكثر من الخشوع في صلاتك والابتهال إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول أعمالك والعفو عن تقصيرك، واستشعر الحياء والخجلة من حيرة الرد وخذلان الطرد، فليس ذلك اليوم بعيد لمن لبس الجديد، وإنما هوعيد من أمن الوعيد، وسلم من النقاش والتهديد، واستحق بصالح أعماله المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف وأسباب التهيؤ للإقبال بالقلب على ربك والوقوف بين يديه، عسى أن تصلح للمناجاة والخضوع لديه، ولا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله من متاع الدنيا، بل بكثرة عوائد الله فيه على من عامله بمتاجر الآخرة[3].

---

(١) أي: الشهيد الثاني زين الدين بن علي.

(٢) العيدين: الفطر والأضحى.

(٣) أنظر: أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ٢١٠ ـ ٢١١، أسرار صلاة العيد ووظائفها. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١٦٩ ـ ١٧٠، الباب السادس في سائر الصلوات، الصلوات المفروضة، صلاة العيدين. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٤٥ ـ ٢٤٦، الفصل الحادي والعشرون صلاة العيدين. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٣٦١، فصل ما ينبغي في صلاة الجمعة والعيدين.



الباب الرابع

صلاة الآيات



في صلوة الآيات

قال[1]: وأما الآيات[2] فاستحضر عندها أهوال الآخرة وزلازلها، وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيامة ووجل الخلائق وخوفهم من الأخذ والنكال والعقوبة والاستئصال[3]، فأكثر من الدعاء والابتهال بمزيد الخضوع والخشوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدائد، ورد النور بعد الظلمة والمسامحة على الهفوة والزلة.

وتب إلى الله من ذنوبك وأحسن التوبة عسى أن ينظر إليك، وأنت منكسر النفس مطرق الرأس مستح من التقصير، فيقبل توبتك ويسامح هفوتك[4].

---

(١) أي: الشهيد الثاني زين الدين بن علي.

(٢) أي: صلاة الآيات.

(٣) قال الطريحي: استأصل الله الكفار، أي: أهلكهم جميعا. واستأصل الشيء: إذا قطعه من أصله.

مجمع البحرين، الطريحي: ٧٩/١، مادة "أصل".

(٤) أنظر: أسرار الصلاة، الشهيد الثاني: ٢١١ ـ ٢١٢، في أسرار صلاة الآيات. أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ١٧٠ ـ ١٧١، الباب السادس في سائر الصلوات، صلاة الآيات. الحقايق في ←

قال السجاد عليه السلام: «لا يفزع للآيتين ولا يرهب إلا من كان من شيعتنا، فإذا كان ذلك منهما فافزعوا إلى الله[1] وراجعوه»[2].

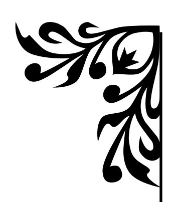
وقال الرضا عليه السلام: «إنما جعلت للكسوف صلاة لأنه من آيات الله تعالى، لا يدري لرحمة ظهرت أم لعذاب، فأحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تفزع أمته إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيم مكروهها، كما صرف عن قوم يونس حين تضرعوا إلى الله عزّوجل»[3].

→ محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٤٦، الفصل الثاني والعشرون صلاة الآيات. جامع السعادات، النراقي: ٣/ ٣٦٢، فصل ما ينبغي للمؤمن عند ظهور الآيات.

(١) في الفقيه: "الله تعالى".

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/٥٤٠، أبواب الصلاة وحدودها، باب صلاة الكسوف والزلازل والرياح والظلم وعلتها/ ذيل الحديث ١.

(٣) أنظر: وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي: ٧/ ٤٨٣، كتاب الصلاة، أبواب صلاة الكسوف والآيات، باب ١ وجوبها لكسوف الشمس وخسوف القمر/ ح٣.



الباب الخامس

قراءة القرآن



في قراءة القرآن

قال الله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾[1]. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أي بينه تبياناً ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل، ولكن اقرعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»[2].

وقال الله تعالى: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾[3]. ونرى أنفسنا الشقية تتلوه وتقرؤه ولا تخشع قلوبنا ولا تتصدع فكنا كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم**﴾[4] فكانت ﴿**كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾[5].

---

(١) سورة المزمل/ ٤.

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/٦١٤، كتاب فضل القرآن، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن/ح١. وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٦/ ٢٠٧، أبواب قراءة القرآن ولو في غير الصلاة، باب ٢١ استحباب ترتيل القرآن وكراهة العجلة به/ ح١.

(٣) سورة الحشر/ ٢١.

(٤) سورة البقرة/ ٧٤.

(٥) سورة البقرة/ ٧٤.

وقال الصادق عليه السلام: «القرآن[1] نزل بالحزن فاقرأوه بالحزن»[2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «أتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»[3].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ حزنا ووجلا في سره فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسراناً مبيناً.

فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خالٍ. فإذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم، وإذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليتين استأنس روحه وسره بالله، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين، وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون كراماته وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب[4] فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة، لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة.

فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامره ونواهيه، وكيف تمثل حدوده، فإنه كتاب عزيز ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[5].

---

(١) في الكافي: "إن القرآن".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/٦١٤، كتاب فضل القرآن، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن/ ح٢.

(٣) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٣/ ٢٨٦، تفسير سورة مريم/ ح٥٨.

(٤) المشرب: الماء الذي يشرب.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٤٨٩، مادة "شرب".

(٥) سورة فصلت/ ٤٢.

فرتله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده[1].

وقال أبو حامد ما ملخصه: ينبغي لتالي القرآن من أمور باطنة:

منها: فهم عظمة الكلام وعلوه، وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه.

ومنها: التعظيم للمتكلم، فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وأن في تلاوة كلامه غاية الخطر، فإنه تعالى قال: ﴿**لا يَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾[2]، وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً، فباطن معناه أيضاً محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان منقطعاً عن كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح للمس المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب.

ومنها: حضور القلب وترك حديث النفس، وهذا يتولد من التعظيم فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلاً له، فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزه.

ومنها: التدبر، وهو وراء حضور القلب، فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبر، المقصود من القراءة التدبر، قال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها**﴾[3] ولذلك سن

---

(١) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٢٨ ـ ٢٩، الباب الثاني عشر في قراءة القرآن.

(٢) سورة الواقعة/ ٧٩.

(٣) سورة محمد/ ٢٤.

فيه الترتيل[١]، لأن الترتيل في الظاهر تمكن من التدبر في الباطن. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبر فيها»[٢]. وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بالترديد فليردد.

ومنها: التفهم، وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها، إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر أفعاله وأحوال أنبيائه والمكذبين لهم وأوامره وزواجره والجنة والنار.

ومنها: التخلي عن موانع الفهم، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم، فعميت عليهم نجائب[٣] أسرار القرآن. قال النبي صلى الله عليه وآله: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لينظروا[٤] إلى الملكوت»[٥]، ومعاني القرآن من جملة الملكوت لأنها إنما تدرك بنور البصيرة دون الحواس.

---

(١) الترتيل في القراءة: الترسل فيها والتبيين بغير بغي.

الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٧٠٤، مادة "رتل".

(٢) الكافي، الكليني: ١/ ٣٦، كتاب فضل العلم، باب صفة العلماء/ ح٣. وفيه النص: «قالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقِّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ وَلَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلى غَيْرِهِ أَلا لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ أَلا لا خَيْرَ فِي قِراءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ أَلا لا خَيْرَ فِي عِبادَةٍ لَيْسَ فِيها تَفَكُّرٌ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَلا لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ أَلا لا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ أَلا لا خَيْرَ فِي عِبادَةٍ لا فِقْهَ فِيهَا أَلا لا خَيْرَ فِي نُسُكٍ لا وَرَعَ فِيهِ».

(٣) نجائب القرآن، أي: أفضله و محضه.

تاج العروس، الزبيدي: ١/ ٤٧٨.

(٤) في الرسائل: "لنظروا".

(٥) رسائل الشهيد الثاني، زين الدين بن علي: ١٣٨، أسرار الصلاة.

وحجب الفهم أربعة

أولها: أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، فيكون تأملهم مقصوراً على مخارج الحروف، وهذا من تسويلات[1] الشيطان.

ثانيها: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة.

ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر، ومبتلى على الجملة بهوىً في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدؤه، وهو كالخبث[2] على المرآة.

رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً، واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل، وأن ما وراء ذلك التفسير بالرأي ولم يعلم أن القرآن له معان كثيرة وبطون وبطون وبطون[3].

ومنها: التخصيص، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه هو المأمور والمنهي، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك، وإن سمع موعظة اتعظ أو عبرة اعتبر، وهكذا.

(١) سولت له نفسه أمرا، أي: زينته له.
الصحاح، الجوهري: ٥/ ١٧٣٣، مادة "سول".

(٢) الخبث، بفتح الخاء والباء: ما تنفى النار من رديء الفضة والحديد.
غريب الحديث، ابن سلام: ٢/ ١٩٢.

(٣) عن جابر بن يزيد الجعفي قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التفسير فأجابني ثم سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت جعلت فداك كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم فقال: «يا جابر إن للقرآن بطنا و للبطن بطنا وله ظهر وللظهر ظهر يا جابر ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل منصرف على وجوه».
المحاسن، البرقي: ٢/ ٣٠٠، كتاب العلل/ ح٥.

ومنها: التأثر، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات في الرحمة والمغفرة والعذاب ونحو ذلك.

ومنها: الترقي، وهو أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله لا من نفسه، فدرجات القراءة ثلاث: أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرأ على الله تعالى واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق[1] والتضرع[2] والابتهال[3]، ثم أن يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه بألطافه ويناجيه بأنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم، ثم أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته، ولا إلى تعلق الأنعام به من حيث إنه منعم عليه، بل يكون مقصور الهم على المتكلم بوقوف الفكر عليه، كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره، وهذه درجة المقربين، وما قبلها من درجات أصحاب اليمين[4]، وما عداها من درجة الغافلين. وعن الدرجة العليا

---

(١) تلين له: تملق.
مختار الصحاح، الرازي: ٣١٣، مادة "لين".

(٢) عن أبي المقدام السلمي، قال: تضرع الرجل لصاحبه، وتصرع: إذا ذل واستخذى.
لسان العرب، ابن منظور: ٨/٢٠٠، مادة "صرع".

(٣) قال خالد بن جنبة: ابتهل في الدعاء إذا كان لا يفرط عن ذلك ولا يثجو، قال: لا يثجو: لا يسكت عنه.
لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٨٢، مادة "بهر".

(٤) وردت العديد من النصوص في بيان معنى أصحاب اليمين، منها:
عن أبي جعفر عليه السلام: نحن وشيعتنا.
تفسير فرات، فرات الكوفي: ٥١٣، تفسير سورة المدثر/ ح٦٧٠.
وعن الباقر عليه السلام أيضا، قال: شيعة علي والله هم أصحاب اليمين.
تفسير فرات، فرات الكوفي: ٥١٤، تفسير سورة المدثر/ ح٦٧٢.

←

أخبر الإمام الصادق عليه السلام في ما روي عنه فقال: «والله[1] لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون»[2].

ومنها: التبري، وهو أن يتبرى من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية، فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها. ويتشوق أن يلحقه الله بهم، وإذا تلا آية المقت[3] وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله: وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم في آذانهم[4]، فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كانت رؤيته سبب قربه، وحيث يتلو آيات الرحمة ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عياناً، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها، وهكذا[5].

قال القمي: اليمين علي أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه شيعته.

تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٢ / ٣٤٨، تفسير سورة الواقعة.

(١) ليس في العوالي "والله".

(٢) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور: ٤ / ١١٦، الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله/ح١٨١.

(٣) سورة النساء/ ٢٢. ونصها: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاّ مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاّ خَساراً﴾.

(٤) تحف العقول، الحراني: ١٥٩، وصف أمير المؤمنين عليه السلام للمتقين. وفي الخطبة: «وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم».

(٥) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ٢٦٣ ـ ٢٧١، كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٤٩ ـ ٢٦٠، الباب الرابع في تلاوة القرآن. جامع السعادات، النراقي: ٣/٣٦٧ ـ ٣٧٨، المقصد الرابع تلاوة القرآن.



الباب السادس

آداب الدعاء



في آداب الدعاء

العمدة في آدابه الإقبال بالقلب، لأن من لا يقبل عليك لا يستحق إقبالك عليه، كما لو حادثك من تعلم غفلته عن محاورتك وإعراضه عن مجاورتك، فإنه يستحق إعراضك عن خطابه واشتغالك عن جوابه.

قال الصادق عليه السلام: من أراد أن ينظر منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد مثل ما ينزل العبد الله من نفسه[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يقبل الله دعاء لاهٍ[2]»[3].

ومن جملة آدابه تسمية الحاجة، والتعميم في الدعاء، والبكاء حالته، والاعتراف بالذنب قبل السؤال، والتقدم في الدعاء قبل الحاجة إليه، وأن لا يعتمد في حوائجه على غير الله، وأن لا يلحن في الدعاء[4].

(١) عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ١٨٠، الثاني عشر الإقبال بالقلب.

(٢) في العدة لابن فهد: "دعاء قلب لاه".

(٣) المصدر السابق.

(٤) أنظر في آداب الدعاء مفصلا: عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ١٤٣ ـ ٢٤٤، الباب الرابع في كيفية الدعاء وله آداب.

وعن الصادق عليه السلام قال: إحفظ آداب الدعاء، وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو، وحقق عظمة الله وكبرياءه، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما كمن فيه من الحق والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك كي لا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أن فيه خيراً وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل، والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب، وترك الاختيار جميعاً، وتسليم الأمور كلها ظاهرها وباطنها إلى الله، فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة فإنه يعلم السر وأخفى، فلعلك تدعوه بشيء علم من نيتك بخلاف ذلك.

واعلم أنه لو لم يكن أمرنا الله بالدعاء لكنا إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالإجابة، فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء، قال: فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء وأخلصت سرك لوجهه فأبشر بإحدى ثلاث: إما أن يعجل لك بما سألت، أو يدخر لك ما هو أعظم منه، وإما أن يصرف عنك من البلاء ما أن لو أرسله عليك لهلكت[1].

(١) مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٣٢ ـ ١٣٤، الباب ٦٢ في الدعاء.

وفيه النص: «قال الصادق عليه السلام: احفظ أدب الدعاء وانظر من تدعو كيف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله وكبرياءه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما تكن وما تكون فيه من الحق والباطل واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله تعالى بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أن فيه نجاتك قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكانَ الإِنْسانُ عَجُولاً﴾سورة الإسراء/ ١١. وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويبا لمهجة في مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعا وتسليم الأمور كلها ظاهرا وباطنا إلى الله تعالى فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنظر الإجابة فإنه يعلم السر وأخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرك خلاف ذلك قال بعض الصحابة لبعضهم أنتم تنتظرون المطر وأنا
←

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قرأ ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعَاهُ**﴾[1] فسئل ما لنا ندعو ولا يستجيب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه، وتسألون ما لا تفهمونه[2].

أنتظر الحجر واعلم أنه لو لم يكن الله أمرنا بالدعاء لكان إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالإجابة فكيف قد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم، فقال صلى الله عليه وآله كل اسم من أسماء الله أعظم ففرغ قلبك عن كل ما سواه وادعه تعالى بأي اسم شئت فليس لله في الحقيقة اسم دون اسم بل هو الله الواحد القهار، قال النبي صلى الله عليه وآله إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاه، قال الصادق عليه السلام إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكن رجاه إلا من عند الله عزّوجل فإذا علم الله تعالى ذلك من قلبه لم يسأله شيئا إلا أعطاه فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء وأخلصت سرك لوجهه فأبشر بإحدى ثلاث إما أن يعجل لك ما سألت وإما أن يدخر لك ما هو أفضل منه وإما أن يصرف منك من البلاء ما لو أرسله إليك لهلكك، قال النبي صلى الله عليه وآله، قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي للسائلين. قال الصادق عليه السلام لقد دعوت الله مرة فاستجاب لي ونسيت الحاجة لأن استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم وأجل مما يريد منه العبد ولو كانت الجنة ونعيمها الأبدي وليس يعقل ذلك إلا العاملون المحبون العارفون صفوة لله وخواصه».

(١) سورة النمل/ ٦٢.

(٢) الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٤٨، الفصل الثالث والعشرون التعقيب والدعاء وآداب الداعي.



الباب السابع

أسرار الزكاة والمعروف



في أسرار الزكاة والمعروف

قال بعض العارفين[1] : السر في إيجاب الزكاة وإنفاق المال امتحان العبد، وفيه ثلاثة معانٍ:

(١) هو: الفيض الكاشاني: الكاشي (١٠٠٨ هـ ـ ١٠٩٠ هـ = ١٦٠٠م ـ ١٦٨٠ م) محسن بن مرتضى بن فيض الله محمود الكاشي: مفسر من علماء الإمامية ورد اسمه "محسن بن مرتضى" و "محسن بن محمد" و "محمد محسن" وقيل له "الفيض" وعرف جده بفيض الله وبالفيض. وجاءت نسبته "الكاشي" و"الكاشاني" و"القاشاني" ويقال له: ملا محسن فيض الكاشي، وينعت بالمتأله الحكيم، من أهل كاشان. قرأ كتب أبي حامد الغزالي وتأثر به وسلك منهجه في كثير من "تصرفاته وتظرفاته" كما يقول صاحب الروضات. له نحو ٨٠ مصنفا، بعضها في مجلدات. وأكثرها تعليقات ورسائل. دونها في فهرست شرح به موضوع كل منها. ومن كتبه "الصافي في تفسير كلام الله الوافي والأصفى، مختصره، والأصول الأصلية ونضد الإيضاح مع فهرس الطوسي، ومنهاج النجاة والحقائق في محاسن الأخلاق ومعتصم الشيعة والوافي، في علوم الدين، وعين اليقين.
أعلام، الزركلي: ٢٩٠/٥. حيث تجد تمام البحث مأخوذ من الحقايق في محاسن الأخلاق وأشرنا إلى المصدر نهاية الباب.

المعنى الأول: إن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام التوحيد وشهادة بإقرار المعبود، وشرط تمام الوفاء بذلك أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد، فإن المحبة لا تقبل الشركة، والتوحيد باللسان قليل الجدوى، وإنما تمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات، والأموال محبوبة عند الخلق لأنها آلة تنعمهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم ويفرون من الموت مع أن فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب، واستنزلوا عن المال الذي هو مرقومهم[1] ومعشوقهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ**﴾[2].

والمعنى الثاني: التطهير من صفة البخل فإنه من المهلكات. قال النبي ﷺ: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه[3]. وقال الله عزّوجل: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[4].

وإنما تزول صفة البخل بأن يتعود بذل المال، فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتياداً، فالإنفاق بهذا المعنى يطهر صاحبه من حيث البخل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى.

---

(١) كتاب مرقوم: بينت حروفه بالتنقيط.

العين، الفراهيدي: ٥/ ١٥٩، مادة "رقم".

الرقم: الكتابة والختم.

الصحاح، الجوهري: ٥/ ١٩٣٥، مادة "رقم".

(٢) سورة التوبة/ ١١١.

(٣) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور: ١/ ٢٧٣، الفصل العاشر في أحاديث تتضمن شيئا من الآداب الدينية/ ح٩٦.

(٤) سورة الحشر/ ٩.

والمعنى الثالث: شكر النعمة، فإن لله على عبده نعمة في نفسه وماله، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال. وما أخسّ[1] من ينظر إلى الفقير وقد ضيق الرزق عليه وأحوج إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى في إغنائه عن السؤال[2].

وينبغي للمنفق أن يغتنم الفرصة مهما ظهرت داعية الخير من الباطن حذراً من إغواء[3] الشيطان اللعين، وأن لا يحوج الفقير إلى السؤال، فورد أنه مكافأة لوجهه المبذول[4] وثمن ما أخذ منه وليس بمعروف، ويتحرى الأوقات الشريفة

(١) الخسيس: الدنيء.

الصحاح، الجوهري: ٣ / ٩٢٢، مادة "خسس".

(٢) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، الباب الخامس، الفصل الثاني السر في إيجاب الزكاة.

(٣) أغواه الشيطان: أضله. و المغوي: الذي يحمل الناس على الغواية والجهل. وغوى يغوي من باب ضرب: انهمك في الجهل، وهو خلاف الرشد، والاسم الغواية بالفتح.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٣٤١، مادة "غوى".

(٤) عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْراهِيمَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَعِنْدَهُ الْمُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ فَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَنَا مِنْ مَوَالِيكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ تَعْرِفُ مُوَالاتِي إِيَّاكُمْ وَبَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شُقَّةٌ بَعِيدَةٌ وَقَدْ قَلَّ ذَاتُ يَدِي وَلا أَقْدِرُ أَنْ أَتَوَجَّهَ إِلى أَهْلِي إِلاّ أَنْ تُعِينَنِي قَالَ فَنَظَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَمِيناً وَشِمَالاً وَقَالَ أَلا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ أَخُوكُمْ إِنَّمَا الْمَعْرُوفُ ابْتِدَاءٌ فَأَمَّا مَا أَعْطَيْتَ بَعْدَ مَا سَأَلَ فَإِنَّمَا هُوَ مُكَافَأَةٌ لِمَا بَذَلَ لَكَ مِنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ فَيَبِيتُ لَيْلَةً مُتَأَرِّقاً مُتَمَلْمِلاً بَيْنَ الْيَأْسِ وَالرَّجَاءِ لا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ بِحَاجَتِهِ فَيَعْزِمُ عَلَى الْقَصْدِ إِلَيْكَ فَأَتَاكَ وَقَلْبُهُ يَجِبُ وَفَرَائِصُهُ تَرْتَعِدُ وَقَدْ نَزَلَ دَمُهُ فِي وَجْهِهِ وَبَعْدَ هَذَا فَلا يَدْرِي أَيَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِكَ بِكَآبَةِ الرَّدِّ أَمْ بِسُرُورِ النُّجْحِ فَإِنْ أَعْطَيْتَهُ رَأَيْتَ أَنَّكَ قَدْ وَصَلْتَهُ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَمَا يَتَجَشَّمُ مِنْ مَسْأَلَتِهِ إِيَّاكَ أَعْظَمُ مِمَّا نَالَهُ مِنْ مَعْرُوفِكَ قَالَ ←

والأمكنة المنيفة[1] كمكة والمدينة والمشاهد وشهر رمضان وذي الحجة ويوم الغدير، وأن يسر في المستحب بحيث لا تدري شماله ما تعطي يمينه قال الصادق عليه السلام: الصدقة في السر والله أفضل من الصدقة في العلانية[2].

وكان عليه السلام[3] إذا صلى العتمة[4] وذهب من الليل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدراهم وحمله على عنقه ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسمه بينهم ولا يعرفونه، فلما مضى عليه السلام فقدوا ذلك وعلموا أنه كان أبا عبد الله عليه السلام[5].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صدقة السر تطفئ غضب الرب[6].

وقال الصادق عليه السلام: كل ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وكلما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه[7].

فَجَمَعُوا لِلْخُراسَانِيِّ خَمْسَةَ آلافِ دِرْهَمٍ.

مستدرك الوسائل، النوري: ٧/ ٢٣٦، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة/ ح١.

(١) طود منيف، أي: عال مشرف.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٥/ ١٤١، مادة "نيف".

(٢) الكافي، الكليني: ١/ ٣٣٣، كتاب الحجة، باب نادر في حال الغيبة/ ح٢.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) العتمة: وقت صلاة العشاء، قال الخليل: العتمة، الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق، وقد عتم الليل من باب ضرب، وعتمت ظلامه وأعتمنا من العتمة كأصبحنا من الصبح، وعتم تعتيما سار في ذلك الوقت.

مختار الصحاح، الرازي: ٢١٨، مادة "عتم".

(٥) أنظر: الكافي، الكليني: ٤/ ٨، كتاب الزكاة، باب صدقة الليل/ ح١.

(٦) دعائم الإسلام، المغربي: ٢/٣٣١، كتاب العطايا، الفصل ٤ ذكر فضل الصدقة/ح١٢٤٩.

(٧) تفسير كنز الدقائق، المشهدي: ١/ ٦٥٧، تفسير سورة البقرة.

وسئل النبي صلى الله عليه وآله: أي الصدقة أفضل؟ قال: أن تتصدق[1] وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة[2]، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا[3].

وينبغي أن تستصغر الإعطاء ليعظم عند الله تعالى وهو يذكر التوفيق والثواب. قال الصادق عليه السلام: رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله. فإنك إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه، فإذا[4] سترته تممته، وإذا عجلته هنأته، وإن كان غير ذلك محقته[5].[6]

وأن يعطي الأجود والأحب والأبعد عن الشبهة. قال تعالى: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[7] وقال تعالى: ﴿**أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾[8]، وأن يقبل يده بعد الإعطاء، فقد ورد أن الله تعالى يأخذها قبل أن تقع في يد السائل[9]، فإنه عزّوجل

---

(١) في الأمالي: "تصدق".

(٢) في الأمالي: "تأمل البقاء وتخاف الفقر".

(٣) الأمالي، الشيخ الطوسي: ٣٩٨، المجلس ١٤/ ح٣٤.

(٤) في المكارم: "وإذا".

(٥) في المكارم: "محقته ونكدته".

(٦) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ١٣٦، الباب ٧ في الأكل والشرب، الفصل الأول في فضل إطعام الطعام.

(٧) سورة آل عمران/ ٩٢.

(٨) سورة البقرة / ٢٦٧.

(٩) كان زين العابدين عليه السلام يقبل يده عند الصدقة و سئل عن ذلك فقال عليه السلام إنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل.

عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ٦٨، الباب الثاني، القسم السادس ما يرجع إلى الفعل كأعقاب الصلاة.

﴿يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ﴾[1]، وأن يلتمس الدعاء من الآخذ، فقد ورد أن دعاءه يستجاب فيه[2]، وأن يصرف إلى من في إعطائه أكثرية الأجر كالأرحام والعلماء والصلحاء[3]، ولا يرد السائل إلا بلطف، فورد: أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل[4]، ولا يحتقر ما عنده، فورد: لا تستحيوا[5] من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه[6].

ويجتنب المن والأذى كما قال تعالى: ﴿ولا تُبْطِلُوا[7] صَدَقاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذى﴾[8]. والمن: أن يرى نفسه محسناً[9]، بل المحسن هو القابض لإيصاله إلى

---

(١) سورة التوبة / ١٠٤.

(٢) قال زين العابدين عليه السلام: دعوة السائل الفقير لا ترد.

وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٩/ ٤٢٥، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ٢٥ استحباب التماس الدعاء من السائل / ح ٦.

(٣) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: الصَّدَقَةُ عَلَى خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ جُزْءِ الصَّدَقَةُ فِيهِ بِعَشَرَةٍ وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى الْعامَّةِ وَقالَ تَعالَى: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ سورة الأنعام/ ١٦٠ . وَجُزْءٍ الصَّدَقَةُ فِيهِ بِسَبْعِينَ وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى ذَوِي الْعاهاتِ وَجُزْءِ الصَّدَقَةُ فِيهِ بِسَبْعِمِائَةٍ وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى ذَوِي الأَرْحَامِ وَجُزْءِ الصَّدَقَةُ بِسَبْعَةِ آلافٍ وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى الْعُلَماءِ وَجُزْءِ الصَّدَقَةُ بِسَبْعِينَ أَلْفاً وَهِيَ الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَوْتَى.

مستدرك الوسائل، النوري: ٧/ ١٩٥ ـ ١٩٦، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ١٨ تأكد استحباب الصدقة على ذي الرحم والقرابة/ ح١٠.

(٤) الكافي، الكليني: ٤/ ١٥، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب كراهية رد السائل/ ح٣.

(٥) في الغرر: "لا تستحي".

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي: ٣٨٢، الباب الرابع في الأخلاق الاقتصادية، الفصل الأول في السخاوة، مواعظ متفرقة/ ح٣٨.

(٧) بداية الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا ...﴾.

(٨) سورة البقرة/ ٢٦٤.

(٩) يحتمل المن تأويلين: أحدهما: إحسان المحسن غير معتد بالإحسان، يقال: لحقت فلانا من فلان ←

الثواب والإنجاء من العقاب، وكونه نائباً عنه تعالى، وهو حق الله عزّوجل أحال عليه الفقير إنجازاً لما وعده من الرزق. والأذى التعيير والتوبيخ والقول السيئ والقطوب[1] والاستخدام وهتك الستر والاستخفاف.

وينبغي للآخذ أن يعلم أن الله تعالى أمر المعطي بصرفه إليه ليكفي مهمته، فيتجرد للعبادة فيشكر الله ويشكر المعطي، فيدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه. قال النبي ﷺ : من لم يشكر الناس لم يشكر الله[2].

وينبغي للمؤمن أن لا يسأل الناس مهما استطاع، فإنه ذل في الدنيا وفقر معجل وحساب طويل يوم القيامة[3]. وقال النبي ﷺ يوماً لأصحابه: ألا تبايعون![4] فقالوا: قد بايعناك يا رسول الله. قال: تبايعون[5] على أن لا تسألوا

منة، إذا لحقته نعمة باستنقاذ من قتل، أو ما أشبهه.

والثاني: من فلان على فلان إذا عظم الإحسان، وفخر به، وأبدأ فيه، وأعاد حتى يفسده ويبغضه، فالأول حسن، والثاني قبيح.

لسان العرب، ابن منظور: ١٣ / ٤١٨، مادة "منن".

(١) القطوب، أي: العبوس.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/ ٧٩ ، مادة " قطب".

(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/ ٣٨٦، تفسير سورة الضحى.

(٣) عن أَبي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : إِيّاكُمْ وَسُؤالَ النّاسِ فَإِنَّهُ ذُلٌّ فِي الدُّنْيا وَفَقْرٌ تُعَجِّلُونَهُ وَحِسَابٌ طَوِيلٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

الكافي، الكليني: ٤/ ٢٠، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب كراهية المسألة/ ح١.

(٤) في الوسائل: "تبايعوني".

(٥) في الوسائل: "تبايعوني".

الناس شيئاً، فكان بعد ذلك تقع المخضرة[1][2] من يد أحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد ناولنيها[3].

وقال ﷺ: لو أن أحدكم يأخذ حبلاً فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل[4].

وقال ﷺ: من سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله[5].

وقال الصادق عليه السلام: شيعتنا من لا يسأل الناس شيئاً ولو مات جوعاً[6].

وقال عليه السلام[7]: لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحداً، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع ما منع أحد أحداً[8].

(١) في الوسائل: "المخصرة".

(٢) المخضرة: الغليظة عودها، والصلبة شوكها.

تاج العروس، الزبيدي: ١/ ١٨٥.

والمخصرة: بكسر الميم، وسكون المعجمة كالسوط، أو كل ما أمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها. ومنه: "ينكت بمخصرته".

مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٦٥٤، مادة "خصر".

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٩/ ٤٤٣، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ٣٢ كراهة المسألة مع الاحتياج/ ح ١٨.

(٤) عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ١٠٠، الباب الثاني، القسم السادس ما يرجع إلى الفعل كأعقاب الصلاة، فصل في كراهية السؤال ورد السؤال.

(٥) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٣١، الباب الثالث في محاسن الأفعال، الفصل السابع في القناعة.

(٦) عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ٩٩، الباب الثاني، القسم السادس ما يرجع إلى الفعل كأعقاب الصلاة.

(٧) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٨) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٩/ ٤٤٣، كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ٣٢ كراهة مسألة مع الاحتياج/ ح١٧.

وقال عليه السلام[1]: من سأل من غير حاجة فكأنما يأكل الجمر[2].

واعلم أن للجسد زكاة كما أن في المال زكاة، وهو نقصه لمزيد الخير والبركة، إما اضطراراً بأن يصاب بآفة، أو اختياراً بأن يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية.

قال الصادق عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله يوماً لأصحابه: ملعون كل مال لا يزكى، ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل أربعين يوم مرة. قيل له: يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفناها فما زكاة الأجساد؟ فقال لهم: أن تصاب بآفة. قال: فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه. قال: فلما رآهم قد تغيرت ألوانهم قال: هل تدرون ما عنيت بقولي؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: إن الرجل يخدش[3] الخدشة وينكب النكبة[4] ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما أشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج[5] العين[6].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: على كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّوجل، بل على كل منبت شعرك، بل على كل لحظة فزكاة العين النظر بالعبر والغض عن الشهوات وما يضاهيها، وزكاة الأذن استماع العلم

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) جامع السعادات، النراقي: ٢/ ٩٩، فصل لا يجوز السؤال من غير حاجة.

(٣) الخدش: مزق الجلد قل أو كثر.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ١٦٦، مادة "خدش".

(٤) النكبة: هي ما يصيب الإنسان من الحوادث.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٥/ ١١٣.

(٥) الاختلاج: الحركة والاضطراب.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٢/ ٦٠.

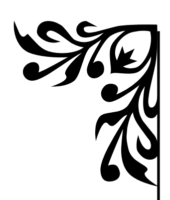
(٦) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/٢٥٨، كتاب الإيمان والكفر، باب شدة ابتلاء المؤمن/ ح٢٦.

والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباههما، وزكاة اللسان النصح للمسلمين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره، وزكاة اليد البذل والسخاء بما أنعم الله عليك وتحريكها بكتابة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله والقبض عن الشرور، وزكاة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك. هذا ما تحمل القلوب فهمه والنفوس استعماله، وما لا يشرف عليه إلا عباده المقربون المخلصون أكثر من أن يحصى، وهم أربابه وهو شعارهم ودثارهم[1].

وعن النبي ﷺ: لكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام[2].

(١) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٥١ ـ ٥٢، الباب ٢٢ في الزكاة.

(٢) المقنعة، الشيخ المفيد: ٣٠٤، كتاب الصيام، باب ٧ ثواب الصيام.



الباب الثامن

أسرار الصوم



في أسرار الصوم

قال النبي ﷺ: الصوم جنة من النار[1].

وقال ﷺ: الصائم في عبادة وإن كان نائماً في[2] فراشه ما لم يغتب مسلماً[3].

وقال ﷺ: قال الله تعالى[4]: الصوم لي وأنا أجزي به، وللصائم فرحتان: حين يفطر وحين يلقى ربه عزّوجل، والذي نفس محمد بيده لخلوف[5] فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك[6].

---

(١) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ٦٦٦، شهر شوال، فصل في زكاة الفطر.

(٢) في الفضائل: "على" بدل "في".

(٣) فضائل الأشهر الثلاثة، الشيخ الصدوق: ١٢٢، كتاب فضائل شهر رمضان/ ح١٢٤.

(٤) في الفقيه: "تبارك وتعالى".

(٥) الخلوف: تغير طعم الفم.

غريب الحديث، ابن سلام: ١/ ٣٢٧.

(٦) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٢/ ٧٥، كتاب الصوم، باب فضل الصيام/ ح٤.

وقال الكاظم عليه السلام: قيلوا فإن الله تبارك وتعالى[1] يطعم الصائم ويسقيه في منامه[2].

قيل: ولو لم يكن في الصوم إلا الارتقاء من حضيض[3] حظوظ النفس البهيمية إلى ذروة التشبه بالملائكة الروحانية لكفى به فضلاً ومنقبة[4]، وإنما كان الصوم جنة من النار لأنه يدفع حر الشهوة والغضب اللتين بهما تصلى نار جهنم في باطن الإنسان في الدنيا وتبرز له في الآخرة. وإنما قال صلى الله عليه وآله: «ما لم يغتب مسلماً»[5] لأن الغيبة أكل لحم الميتة، فهو نوع من الأكل يقوى به البدن.

وإنما كان الصوم لله مع أن سائر العبادات له ـ كما شرف البيت بالنسبة إليه والأرض كلها له ـ لوجهين:

أحدهما: إن الصوم كف وترك، وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى، والصوم لا يعلمه إلا الله.

والثاني: إنه قهر لعدو الله، فإن وسيلة الشيطان الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب[6]، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع[7]، والشهوات مرتع الشياطين ومرعاهم.

---

(١) ليس في ثواب الأعمال: "تبارك وتعالى".

(٢) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ٥١، ثواب الصائم.

(٣) الحضيض: قرار الأرض وأسفل الجبل.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١/ ٣٨٥، مادة "حضض".

(٤) أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ٢٥٠، أسرار الصيام، مدخل في فضل الصيام.

(٥) أنظر: مصدر "الحديث الثاني" في بداية "الباب الثامن".

(٦) أنظر: الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ٢٧٤، الباب السادس في الصوم.

(٧) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ١/ ١٠١، باب تهذيب الأخلاق.

وإنما كان خلوف الفم ـ وهو تغير رائحته ـ أطيب عند الله من ريح المسك لأنه سبب طيب الروح الذي هو عند الله من الإنسان كما أنه بدنه عند نفسه، وإليه أشير في قوله تعالى: ﴿مٰا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمٰا عِندَ اللّٰهِ يبقى﴾[1]، وأين طيب الروح من طيب المسك؟ فإن الأول روحاني عقلي معنوي والثاني جسماني حسي صوري.

فصل

قال أبو حامد ما ملخصه: إعلم أن للصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص: أما «صوم العموم» فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوات.

وأما «صوم الخصوص» فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، ويتم بأمور ستة:

الأول: غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره، بل كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى. قال النبي ﷺ: النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله أتاه الله إيماناً[2] يجد حلاوته في قلبه[3]. وقال ﷺ: خمس يفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة، واليمين الكاذبة، والنظر بشهوة[4].

---

(١) سورة النحل/ ٩٦. ونصها: ﴿ما عِندَكُمْ يَنفَدُ وَما عِندَ اللّهِ باقٍ وَلَنَجزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجرَهُم بِأَحْسَنِ ما كانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

(٢) في المستدرك: "فمن تركها خوفا من الله أعطاه إيمانا".

(٣) مستدرك الوسائل، النوري: ١٤/ ٢٦٨، كتاب النكاح، باب تحريم النظر إلى النساء الأجانب وشعورهن/ ح٥.

(٤) مواهب الجليل، الحطاب الرعيني: ٣/ ٣٠٣.

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء. قال ﷺ: إنما الصوم جنة، فإذا كان أحدكم صائماً[1] فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم[2].

الثالث: كف السمع عن الإصغاء إلى المحرمات، إذ كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه. قال تعالى: ﴿**سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾[3]. وقال ﷺ: المغتاب والمستمع شريكان في الإثم[4].

الرابع: كف بقية الجوارح من اليد والرجل من المكاره، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار، إذ لا معنى للصوم عن الحلال والإفطار على الحرام فيكون قد بنى قصراً وهدم مصراً، وشرب الدواء وأكل السم، لأن المحرمات سموم تهلك الدين والصوم دواء، ولا ينفع الدواء مع السم. وقال النبي ﷺ: كم من صائم ليس له من صومه[5] إلا الجوع والعطش[6]. فقيل: هو الذي يفطر على الحرام. وقيل: هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو الحرام. وقيل: هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام[7]، ولعل المعنى أعم.

---

(١) في المسند: "الصيام جنة فإذا كان أحدكم يوما صائما".

(٢) مسند الشاميين، سليمان بن أحمد الطبراني: ٤/ ٢٧٩/ ح ٣٢٨٤.

(٣) سورة المائدة/ ٤٢.

(٤) كشف الخفاء، العجلوني: ٢/ ٢١٥، حرف الميم/ ح٢٣٢٣.

(٥) في البحار: "صيامه".

(٦) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي: ٢٩٤/٩٣، كتاب الصوم، باب ٣٦ آداب الصائم/ح٢٤.

(٧) أنظر: الفيض القدير، المناوي: ٤/ ٢١ / شرح الحديث رقم ٤٤٠٤.

الخامس: أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ، فما من وعاء أبغض إلى الله من بطن مليء من الحلال. وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى، ثم تفطم عن الشهوات إلى الليل حتى تهيج شهوتها وتقوى رغبتها، ثم تطعم من اللذات إلى أن تمتلئ؟! ولعلها لو تركت على عادتها لكان أولى، بل ينبغي أن يأكل الأكلة المعتادة ولا يملئ بطنه.

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فيكون من المقربين، أو يرد عليه فيكون من الممقوتين[1].

أقول: وإلى هذا النوع من الصوم أشير في ما روي عن الصادق عليه السلام قال: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك...[2] وعد[3] أشياء غير هذا وقال: لا يكون يوم صومك كيوم فطرك[4]. ودع المراء وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله سمع امرأة تسب جاريتها وهي صائمة فدعى بطعام فقال لها كلي، فقالت إني صائمة، فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟! إن الصوم ليس من الطعام والشراب فقط[5].

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ٢٢١ ـ ٢٢٣، كتاب أسرار الصوم، الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة.

(٢) في الكافي الحديث متصل.

(٣) في الكافي: "وجلدك وعدد أشياء".

(٤) الكافي، الكليني: ٤/ ٨٧، كتاب الصوم، باب أدب الصائم/ ح١.

(٥) أنظر: الإقبال، ابن طاووس: ٨٦، الباب الخامس فيما نذكره من سياقة عمل الصائم، فصل فيما نذكره من كمال صفات الصوم.

قال أبو حامد: وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر في ما سوى الله واليوم الآخر، وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين، فإن ذلك زاد الآخرة ـ انتهى[1].

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصوم جنة، أي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة، فإذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطرات الشيطان، فأنزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاماً ولا شراباً، متوقعاً في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب، وطهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة تقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالى.

ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّوجل: الصوم لي وأنا أجزي به، فالصوم يميت مواد النفس وشهوة الطمع، وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء إلى الله، وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات. وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرنا منبه لمن عقل ووفق لاستعماله[2].

---

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ٢٢١، كتاب أسرار الصوم الفصل، الثاني في أسرار الصوم و شروطه الباطنة.

(٢) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٣٥ ـ ١٣٦، الباب الثالث والستون في الصوم.



الباب التاسع

أسرار الحج

وزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

والمشاهد المشرفة



في أسرار الحج

وزيارة النبي والمشاهد

ولنفتح الباب بما رواه في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام.

قال: قال الصادق عليه السلام: إذا أردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من كل شاغل وحجاب كل حاجب، وفوض أمورك كلها إلى خالقك، وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، وودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك أو راحلتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة أن يصير ذلك عدواً ووبالاً، فإن من ادعى رضاء الله واعتمد على ما سواه صيره عليه وبالاً وعدواً ليعلم أنه ليس له قوة وحيلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفيقه.

فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وإيثار الزاد على دوام الأوقات.

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع، وأحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته، ولب بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكاً بالعروة الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول هرولة من هواك. وتبرأ من حولك وقوتك، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى. ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه، واعترف بالخطأ بعرفات، وجدد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته، وتقرب إليه واتقه بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل، واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك، وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته[1] من متابعة مرادك بدخولك الحرم ودخول البيت متحققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضاً بقسمته وخضوعاً لعزته، وودع ما سواه بطواف الوداع، واصف روحك وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا وكن بمرأى من الله نقية أوصافك عند المروة، واستقم على شرط حجتك هذه ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك وأوجبته له إلى يوم القيامة.

واعلم بأن الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿**وَلِلّهِ عَلى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾[2]، ولا شرع نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه إلا للاستعانة والإشارة إلى الموت

---

(١) اذهب في كنف الله وحفظه، أي: في كلاءته وحرزه وحفظه.

لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ٣٠٨، مادة "كنف".

(٢) سورة آل عمران/ ٩٧.

والقبر والبعث والقيامة، وفضل بيان السابقة من الدخول في الجنة أهلها ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلى آخرها لأولي الألباب وأولي النهى[1].

فصل: في العزم على الحج

ينبغي للعازم أن يعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره، فليجعل عزمه خالصاً لوجه الله بعيداً عن الرياء والسمعة، وإلا فقد أتلف ماله وأتعب بدنه واكتسب الإثم و﴿**خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ و**[2] **ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ**﴾[3]، وليرد المظالم ويتب توبة خالصة، ولا يقدم على ربه قدوم العبد العاصي، فلا يكون له من سفره نصيب إلا التعب.

وليتذكر في سفره سفر الآخرة، فعن قريب إليه يصير ونحوه يسير.

فصل: في الزاد

ليتذكر فيه زاد سفر الآخرة، فإنه أبعد من هذا السفر والاحتياج فيه إلى الزاد من الأعمال الصالحة أكثر، وليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده لا تصحبه بعد الموت بل تفسدها شوائب الرياء.

فصل: في الراحلة

ليشكر الله على تسخير الدواب له لتحمل أثقاله إلى بلد لم يكن بالغه إلا بشق الأنفس، وليتذكر المركب الذي يركبه إلى الدار الآخرة، وهي الجنازة التي يحمل عليها، فالعجب لمن يستعد للسفر المشكوك فيه ولا يستعد للسفر المتيقن.

---

(١) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ٤٧ ـ ٥٠، الباب الواحد والعشرون في الحج.

(٢) ليس في النص القرآني حرف "الواو".

(٣) سورة الحج/ ١١.

فصل: في شراء ثوب الإحرام

ليذكر عنده الكفن ولفه فيه، فإنه سيرتدي ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله، وربما لا يتم سفره إليه، وإنه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة، فكما لا يلقى بيت الله إلا مخالفاً عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا، وهذان الثوبان متقاربان لعدم الخياطة فيهما.

فصل: في الخروج من البلد

ليعلم أنه فارق الأهل والوطن متوجهاً إلى الله في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا، فليحضر في قلبه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد، وسفر الآخرة ومفارقة الأهل والوطن مفارقة لا رجوع فيها.

فصل: في دخول البادية ومشاهدة العقبات

ليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات، وليتذكر من هول قطع الطريق سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته، وليتزود في هذه الأحوال لمخاوف القبر.

فصل: في الإحرام والتلبية بالميقات

ليعلم أن معناه إجابة نداء الله، فليرج القبول وليخش أن يقال له «لا لبيك ولا سعديك» فإن وقت التلبية بداية الأمر وهو محل الخطر، فقد روي أن السجاد عليه السلام لما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطيع أن يلبي فقال: أخشى أن يقول لي ربي لا لبيك ولا سعديك، فلما لبى عليه السلام غشي عليه وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجته[1].

(١) أنظر: عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ٤/ ٣٥، الجملة الأولى في أحاديث ←

فصل: في دخول مكة

ليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم آمن، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله، وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب، فيكون بدخول الحرم خائناً مستحقاً للمقت، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً، فالكرم عميم ورب البيت كريم، وحق الزائر يرعى وذمام[1] المستجير غير مضيع.

فصل: في وقوع البصر على البيت

ليحضر عظمة البيت في القلب ويقدر أنه حاضر بين يدي رب البيت، ولـيرجُ أن يرزقه لقاءه في الآخرة كما رزقه لقاء بيته في الدنيا، وليتذكر انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة فيؤذن لبعض ويمنع الآخرون.

فصل: في الطواف بالبيت

ليعلم أنه في الطواف متشبه بالملائكة الحافين[2] حول العرش الطائفين حوله، وأن المقصود الحقيقي طواف قلبه بذكر رب البيت حتى لا يبتدئ الذكر إلا به ولا يختم إلا به كما يبتدئ الطائف بالبيت ويختم به.

متفرقة/ح١٢١.

(١) الذمام والمذمة: الحق والحرمة، والجمع: أذمة والذمة: العهد والكفالة، وجمعها ذمام. وفلان له ذمة، أي: حق.

لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ٢٢١، مادة "ذمم".

(٢) حف القوم بالشيء و حواليه يحفون حفا وحفوه و حففوه: أحدقوا به و أطافوا به و عكفوا واستداروا.

لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ٤٩، مادة "حفف".

فصل: في استلام الحجر

ليعتقد أنه حينئذ يبايع الله على طاعته والتجنب عن معصيته، فليصمم العزم على الوفاء، ومن غدر في المبايعة استحق المقت، فقد روي أن الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه[1].

فصل: في التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم

لتكن نيته في الالتزام طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت وتبركاً بالمماسة ورجاءً للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت، ولتكن نيته في التعلق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا عفوه وكرمه، وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل.

فصل: في السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت

ليتذكر أنه متردد تردد العبد في فناء ملك الملوك جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى، إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاءً للملاحظة بعين الرحمة، كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى.

---

(١) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «اسْتَلِمُوا الرُّكْنَ فَإِنَّهُ يَمِينُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ يُصافِحُ بِها خَلْقَهُ مُصافَحَةَ الْعَبْدِ أَوِ الرَّجُلِ يَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ بِالْمُوافَاةِ».

الكافي، الكليني: ٤/ ٤٠٦، كتاب الحج، باب المزاحمة على الحجر الأسود/ ح٩.

وليتذكر عند تردده تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة، وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات، وليتذكر تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان مردداً بين العذاب والغفران.

فصل: في الوقوف بعرفة

ليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاءً لهم وسيراً بسيرتهم وكأنه في عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة، واقتفاء كل أمة نبياً وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول.

وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة[1] والابتهال إلى الله حتى تحشر في زمرة الفائزين المرحومين، وحقق رجاءك بالإجابة، فالموقف شريف.

فصل: في الوقوف بالمشعر

استحضر أنه قد أقبل عليك مولاك بعد أن كان مدبراً عنك طارداً لك عن بابه فأذن لك في دخول حرمه، فإن المشعر من جملة الحرم وعرفة خارجة عنه، فقد أشرف على أبواب الرحمة وهبت عليك نسمات الرأفة، وكسبت خلع القبول بالإذن في دخول حرم الملك.

فصل: في رمي الجمار

ليقصد به الانقياد للأمر، إظهاراً للرق والعبودية وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس، وليقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس

(١) الضراعة: هي شدة الفقر والحاجة إلى الله عزّوجل.
تاج العروس، الزبيدي: ٥/ ٤٣١.

عليه اللعنة في هذا الموضع ليدخل على حجة الشبهة فأمره الله أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأصله.

فصل: في ذبح الهدي

ليعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال، وليرج أن يعتق بكل جزء منه جزءاً من النار، وهكذا ورد[1] الوعد، وكلما كان الهدي أكثر وأجزاؤه أوفر كان فداؤه من النار أعم.

فصل: في رؤية المدينة

إذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عزّوجل لنبيه ﷺ وجعل إليها هجرته وأنها داره التي فيها شرع فرائض ربه وسننه وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله وجعل تربته فيها.

ثم مثل في نفسك مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند ترddاتك فيها، وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهي موضع قدمه العزيز، فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينة ووجل، وتذكر مشيه وتخطيه في سككها، وتصور خشوعه ﷺ وسكينته في المشي وإحباط عمل من هتك حرمته برفع صوته فوق صوته[2].[3]

---

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١/ ٢٥٤، كتاب أسرار الحج، الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ سورة الحجرات/ ٢.

(٣) قال ابن شهر آشوب: قوله سبحانه: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ﴾ لو وقع رفع الصوت على صوت النبي ﷺ على سبيل الإجابة له لم يستحق ←

فصل: في زيارة النبي والأئمة عليهم السلام

ينبغي أن تقف بين أيديهم في كمال الأدب خاشعاً معظماً، وأن تزورهم أمواتاً كما تزورهم أحياءً، ولا تقرب من قبرهم إلا كما تقرب من شخصهم في حياتهم.

واعلم أنهم عالمون بحضورك وقيامك وزيارتك، وأنه يبلغهم سلامك وصلواتك، فمثل صورهم الكريمة في خيالك موضوعين على اللحد بإزائك[1]، وأحضر عظيم رتبتهم في قلبك، وتذكر كلماتهم الشريفة ومواعظهم المنيفة ونصائحهم الشافية وهداياتهم الكافية الوافية[2].

العقاب و إذا وقع على خلاف ذلك انحبط الفعل.

متشابه القرآن، ابن شهر آشوب: ٢/ ٨٦، باب المفردات.

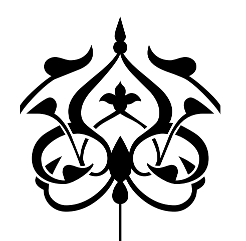
(١) حذياك، أي: بإزائك.

تاج العروس، الزبيدي: ١٠/ ٨٦.

الحذاء: الإزاء. وحاذاه: آزاه.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤/ ٣١٦.

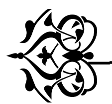
(٢) أسرار العبادات، الفيض الكاشاني: ٣٢٣ ـ ٣٣٦، الأعمال الباطنة لعبادة الحج. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٢/١٨٩ ــ ٢٠٦، كتاب أسرار الحج، الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة. جامع السعادات، النراقي: ٣/٣٨٣ ـ ٤٠١، المقصد السادس الحج.



الركن الثاني

في العبادات،

وفيه أبواب





الباب الأول

جملة الحقوق

التي تلزم الإنسان



في جملة الحقوق

التي تلزم الإنسان

روى الصدوق في الفقيه عن زين العابدين عليه السلام قال:

حق الله الأكبر أن تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

وحق نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله تعالى.

وحق اللسان إكرامه عن الخنا[1] وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة فيها والبر بالناس وحسن القول فيهم.

وحق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحل له سماعه.

وحق البصر أن تغضه عما لا يحل لك وتعتبر بالنظر به.

وحق يدك أن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك.

---

(١) الخنا: الفحش.

الصحاح، الجوهري: ٦/ ٢٣٣٢، مادة "خنا".

وحق رجليك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك فيهما تقف على الصراط فانظر أن لا تزل بك فتردى بهما في النار.

وحق بطنك أن لا تجعله وعاءً للحرام ولا تزيد على الشبع.

وحق فرجك أن تحصنه عن الزنا وتحفظه من أن ينظر إليه.

وحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله عزّوجل وأنت فيها قائم بين يدي الله تعالى، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرع المعظِّم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها.

وحق الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك وفرار إليه من ذنوبك، وفيه قبول توبتك وقضاء الفرض الذي أوجبه الله تعالى عليك.

وحق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله عزّوجل على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

وحق الصدقة أن تعلم أنها ذخرك عند ربك ووديعتك التي لا يحتاج إلى الإشهاد عليها، وكنت لما تستودعه سراً أوثق منك بما تستودعه علانية، وتعلم أنها تدفع البلاء والأسقام في الدنيا وتدفع عنك النار في الآخرة.

وحق الهدي أن تريد به الله عزّوجل ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلا التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.

وحق السلطان أن تعلم أنك جعلت له فتنة، وأنه مبتلىً فيك بما جعله الله له عليك من السلطان، وأن عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

وحق سائسك بالعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه والإقبال إليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس.

وأما حق سائسك بالملك فأن تطيعه ولا تعصيه إلا فيما يسخط الله عزّوجل، فإنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

وأما حق رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزّوجل على ما آتاك من القوة عليهم.

وأما حق رعيتك بالعلم فأن تعلم أن الله عزّوجل إنما جعلك قيماً لهم في ما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عزّوجل أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك.

وأما حق الزوجة فأن تعلم أن الله تعالى جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله تعالى عليك، فتكرمها وترفق بها وإن كان حقك عليها أوجب، فإن لها عليك أن ترحمها لأنها أسيرك، وتطعمها وتكسوها وإذا جهلتْ عفوت عنها.

وأما حق مملوكك فأن تعلم أنه خلق ربك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك، لم تملكه لأنك ما صنعته دون الله ولا خلقت شيئاً من جوارحه ولا أخرجت له رزقاً، ولكن الله تعالى كفاك ذلك ثم سخره لك وائتمنك عليه واستودعك إياه ليحفظ لك ما يأتيه من خير إليه، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به ولم تعذب خلق الله تعالى. ولا قوة إلا بالله.

وحق أمك أن تعلم أنها حملت حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك وتعرى وتكسوك وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه.

وأما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك، فإنك لولاه لم تكن مهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك.

وأما حق ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عزّوجل والمعونة على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه.

وأما حق أخيك فأن تعلم أنه يدك وعزك وقوتك فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله ولا عدة للظلم على خلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له، فإن أطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه.

وأما حق مولاك المنعم عليك فأن تعلم أنه أنفق فيك ماله وأخرجك من ذل الرق ووحشته إلى عز الحرية وأنسها فأطلقك من أسر الملكة وفك عنك قيد العبودية

وأخرجك من السجن وملكك نفسك وفرغك لعبادة ربك، وتعلم أنه أولى الخلق بك في حياتك ومودتك، وأن نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج إليه منك.

وأما حق مولاك الذي أنعمت عليه فأن تعلم أن الله عزّوجل جعل عتقك له وسيلة إليه وحجاباً لك من النار، وأن ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة لما أنفقت من مالك وفي الآجل الجنة.

وأما حق ذي المعروف عليك فأن تشكره وتذكر معروفه وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله تعالى، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية، ثم إن قدرت على مكافأته يوماً كافأته.

وحق المؤذن أن تعلم أنه مذكر لك ربك عزّوجل وداع لك إلى حظك وعونك على قضاء فرض الله عليك، فاشكره على ذلك شكر المحسنين إليك.

وأما حق إمامك في صلاتك فأن تعلم أنه تقلد السفارة بينك وبين ربك عزّوجل وتكلم عنك ولم تتكلم عنه، ودعا لك ولم تدع له. وكفاك هول المقام بين يدي الله عزّوجل، فإن كان نقص كان به دونك وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه وصلاتك بصلاته، فتشكر له على قدر ذلك.

وأما حق جليسك فأن تلين له جانبك وتنصفه في مجازاة اللفظ ولا تقوم من مجلسك إلا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلاته وتحفظ خيراته ولا تسمعه إلا خيراً.

وأما حق جارك فحفظه غائباً وإكرامه شاهداً ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقيل عثرته وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرة كريمة.

وأما حق الصاحب فأن تصحبه بالتفضل والإنصاف وتكرمه كما يكرمك، ولا تدعه يسبق إلى مكرمة فإن سبق كافأته، وتوده كما يودك، وتزجره عما يهم به من معصية، وكن عليه رحمة ولا تكن عليه عذاباً.

وأما حق الشريك فإن غاب كفيته وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه ولا تعمل برأيك دون مناظرته. وتحفظ عليه ماله ولا تخنه فيما غر أو خان من أمره، فإن يد الله تعالى على الشريكين ما لم يتخاونا.

وأما حق مالك فأن لا تأخذه إلا من حله ولا تنفقه إلا في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك فاعمل به بطاعة ربك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة والتبعة.

وأما حق غريمك الذي يطلبك فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول ورددته عن نفسك رداً لطيفاً.

وحق الخليط أن لا تغره ولا تغشه ولا تخدعه وتتقي الله في أمره.

وحق الخصم المدعي عليك فإن كان ما يدعي عليك حقاً كنت شاهده على نفسك ولم تظلمه وأوفيته حقه، وإن كان ما يدعي باطلاً رفقت به ولم تأت به في أمره غير الرفق ولم تسخط ربك.

وحق خصمك الذي تدعي عليه إن كنت محقاً في دعواك أجملت مقاولته ولم تجحد حقه، وإن كنت مبطلاً في دعواك اتقيت الله عزّوجل وتبت إليه وتركت الدعوى.

وحق المستشير إن علمت له رأياً حسناً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

وحق المشير عليك أن لا تتهمه في ما لا يوافقك من رأيه، وإن وافقك حمدت الله تعالى.

وحق المستنصح أن تؤدّي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به.

وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى بالصواب حمدت الله تعالى وإن لم يوفق رحمته ولم تتهمه وعلمت أنه أخطأ ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعبأ بشيء من أمره على حال.

وحق الكبير توقيره لسنه وإجلاله لتقدمه في الإسلام قبلك وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدمه ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحق الإسلام وحرمته.

وحق الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة.

وحق السائل إعطاؤه على قدر حاجته.

وحق المسؤول إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره.

وحق من سرك لله أن تحمد الله تعالى أولاً ثم تشكره.

وحق من أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أن العفو يضر انتصرت. قال الله تعالى: ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلئِكَ مَا عَلَيْهِم مِن سَبِيلٍ**﴾[1].

وحق أهل ملتك إضمار السلامة والرحمة لهم والرفق بمسيئهم وتألفهم واستصلاحهم وشكر محسنهم وكف الأذى عنهم، وتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك وشبابهم بمنزلة إخوتك وعجائزهم بمنزلة أمك والصغار بمنزلة أولادك.

وأما حق أهل الذمة أن تقبل منهم ما قبل الله عزّوجل منهم ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّوجل بعهده[2].

---

(١) سورة الشورى/ ٤١.

(٢) أنظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٢/ ٦١٨ ـ ٦٢٦، كتاب الحج، باب الحقوق/ ح١.



الباب الثاني

آداب المعيشة

والمجالسة



في آداب المعيشة

والمجالسة

في آداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق إجمالاً، ملتقطة من كلام الحكماء وأخبار أهل البيت عليهم السلام.

إذا أردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا وحشة منهم.

وتوقر[1] في غير كبر وتواضع في غير مذلة.

وكن في جميع أمورك في أوسطها، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

ولا تنظر في عطفيك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز[2].

---

(١) التوقير يستعمل في معنى التعظيم، يقال: وقرته، إذا عظمته.

الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١٤٧، الفرق بين التوقير والوقار.

(٢) قال أبو معاذ: المستوفز: الذي رفع إليتيه ووضع ركبتيه.

تاج العروس، الزبيدي: ١٠/ ٦٧.

وتحفظ من تشبيك أصابعك، والعبث بلحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك، وكثرة بصاقك وتنخمك[1]، وطرد الذباب عن وجهك، وكثرة التمطي[2] والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وفي غيرها.

وليكن مجلسك هادئاً، وحديثك منظوماً مرتباً، واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك بغير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته.

واسكت عن المضاحك والحكايات، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك.

ولا تتصنع تصنع المرأة في التزيين ولا تتبذل تبذل العبيد، وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن، ولا تلح في الحاجات، ولا تشجع أحداً على الظلم.

ولا تعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك، فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عندهم، وإن كان كثيراً لم تبلغ قط رضاهم، واجفهم[3] من غير عنف، ولن لهم من غير ضعف.

ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك، وتفكر في حجتك، ولا تكثر من الإشارة بيديك، ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك.

---

(١) النخامة، بالضم: النخاعة. يقال تنخم الرجل، إذا تنخع. والنخاعة: ما يخرجه الإنسان من حلقه من مخرج الخاء.

مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٢٨٦، مادة "نخم".

(٢) المط و المطو والمد واحد، المطيطاء بضم الميم ممدود، التبختر ومد اليدين في المشيء.

لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٤٠٤، مادة "مطط".

(٣) الجفاء: ترك الصلة والبر.

الجفاء: البعد عن الشيء.

لسان العرب، ابن منظور: ١٤٩/١٤، مادة "جفا".

ولا تجث على ركبتيك، وإذا هدأ غيظك فتكلم، وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان، وإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك، ورافق به رفقك بالصبي، وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنّك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وجيشه وإن كنت لذلك مستحقاً عنده، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال.

وإياك وصديق العافية، فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك، وإذا دخلت مجلساً فالأدب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث تسعى وحيث يكون أقرب إلى التواضع، وأن تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس، ولا تجلس على الطريق، وإن جلست فأدبه غض البصر، ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والارتياد لموضع البصاق، فلا تصبق عن جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى.

ولا تجالس الملوك، فإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ والإعراب في الخطاب، والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت المودة، وأن لا يتجشأ[1] بحضرته ولا يتخلل بعد الأكل عنده.

وعلى الملك أن يتحمل كل شيء إلا إفشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم.

ولا تجالس العامة، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم[2]، والتغافل عما يجري في سوء ألفاظهم، وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم[3].

(١) التجشأ: إخراج الريح من الفم مع الصوت عند الشبع.
مستدرك سفينة البحار، النمازي: ٢/ ٦٣، مادة "جشأ".

(٢) ارجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن.
لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ١١٣، مادة "رجف".

(٣) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢/ ١٧٢، كتاب آداب الألفة والأخوة، جملة آداب ←

وإياك وأن تمازح لبيباً[1] أو غير لبيب، فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه[2] يجترئ عليك، لأن المزاح يخرق الهيبة، ويسقط ماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه، ويسقط المنزلة عند الحكيم، ويمقته[3] المتقون. وهو يميت القلب، ويباعد عن الرب، ويكسب الغفلة، ويورث الذلة، وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر، وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب. وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر، ومن بلي في مجلس بمزاح أو لفظ فليذكر الله تعالى عند قيامه. قال النبي ﷺ: من جلس في مجلس وكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» غفر له ما كان في مجلسه ذلك[4].

العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة.

(١) لبيب: عاقل ذو لب.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٧٣٠، مادة "لبب".

(٢) السفيه: الخفيف العقل.

السفيه: الجاهل، والضعيف الأحمق.

لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٤٩٩، مادة "سفه".

(٣) المقت: بغض من أمر قبيح ركبه، فهو مقيت.

كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ١٣٢، مادة "مقت".

(٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي: ٥/ ١٥٨، أبواب الدعوات، باب ٣٩ ما يقول إذا قام من مجلسه / ح١. وفيه النص: "من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك".



الباب الثالث

الإخاء والإلفة



في الإخاء والإلفة

قال تعالى في معرض الامتنان: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[٢] يعني بالإلفة[٣].

ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[٤].

وقال: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنفال/ ٦٣.

(٢) سورة آل عمران/١٠٣.

(٣) أمر تعالى بتذكر نعمه وأعظمها الإسلام وإتباع نبيه محمد (ﷺ)، فإن به زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤/ ١٦٤، تفسير سورة آل عمران.

(٤) سورة آل عمران / ١٠٣.

(٥) سورة آل عمران/١٠٥.

وقال النبي صلى الله عليه وآله : من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه[1].

وقال صلى الله عليه وآله : من آخى أخاً في الله[2] رفع الله له درجة[3] في الجنة لا ينالها بشيء من عمله[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به[5].[6]

وقال النبي صلى الله عليه وآله : أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله والتولي لأولياء الله[7] والتبري من أعداء الله[8].[9]

وقال الباقر عليه السلام : إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب[10].

---

(١) المعجم الأوسط، الطبراني: ٤/ ٢٩٤. وفيه النص: "من ولي من أمر المسلمين شيئا فأراد الله به خيرا رزقه وزيرا صالحا، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه".

(٢) في الفيض: "الله عزّوجل".

(٣) في الفيض: "رفعه الله درجة".

(٤) فيض القدير، المناوي: ٥/ ٥٢٦/ ح٧٧٨٩.

(٥) في النهج: "به منهم".

(٦) نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٤٧٠، حكم أمير المؤمنين عليه السلام /ح١٢.

(٧) في المعاني: "وتولي أولياء الله".

(٨) في المعاني: "الله عزّوجل".

(٩) معاني الأخبار، الصدوق: ٣٩٨ ـ ٣٩٩، باب نوادر المعاني/ح٥٥.

(١٠) مصادقة الإخوان، الصدوق: ٥١، باب محبة الإخوان/ ح٣.

وتحقيق المقام في بيان الحب والبغض في الله: إن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق ـ كالصحبة بحسب الجوار وبحسب الاجتماع في مدرسة أو سوق أو سفر أو على باب السلطان أو غير ذلك ــ وإلى ما ينشأ اختياراً أو يقصد، وهو الذي يبعث على الأخوة في الدين، إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية[1].

والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة، وهذه الأمور لا يقصد بها الإنسان غيره إلا إذا أحبه، فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته.

والمحبوب إما أن يحب لذاته، وإما أن يحب ليتوصل به إلى مقصود آخر وراءه، وذلك المقصود إما أن يكون مقصوراً على الدنيا وحظوظها، وإما أن يكون متعلقاً بالآخرة، وإما أن يكون متعلقاً بالله تعالى. فهذه أربعة أقسام:

القسم الأول: وهو حبك الإنسان لذاته، وهو ممكن أن يكون هو في ذاته محبوباً عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعيته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له، فإن كل جميل لذيذ في حق من أدرك جماله، وكل لذيذ محبوب، واللذة تتبع الاستحسان، والاستحسان يتبع الملاءمة والمناسبة والموافقة بين الطباع.

ثم ذلك المستحسن إما أن يكون الصورة الظاهرة ـ أي الخلقة ـ وإما أن يكون الصورة الباطنة، وهي كمال العقل وحسن الخلق، ويتبع حسن الأخلاق حسن

---

(١) قال المجلسي: "النية تطلق على النية المقارنة للفعل و على العزم المتقدم عليه سواء تيسر العمل أم لا وعلى التمني للفعل وإن علم عدم تمكنه منه والمراد هنا أحد المعنيين الآخرين ويمكن أن يقال إن النية لما كانت من الأفعال الاختيارية القلبية فلا محالة يترتب عليها ثواب وإذا فعل الفعل المنوي يترتب عليه ثواب آخر ولا ينافي اشتراط العمل بها تعدد الثواب كما أن الصلاة صحتها مشروطة بالوضوء ويترتب على كل منهما ثواب إذا اقترنا".

بحار الأنوار، المجلسي: ٦٧/ ٢٠٠، كتاب الإيمان والكفر، أبواب مكارم الأخلاق، باب ٥٣ النية وشرائطها / بيان حديث ٤.

الأفعال لا محالة، ويتبع كمال العقل غزارة العلم، وكل ذلك مستحسن عند ذي الطبع السليم والعقل المستقيم. وكل مستحسن مستلذ به ومحبوب، بل في ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا، فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق، ولكن بمناسبة باطنة توجب الإلفة والموافقة، فإن شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع، والأشباه الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها، وعنه عبر رسول الله ﷺ بقوله: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف[1]. فالتناكر نتيجة التباين، والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف.

ويدخل في هذا القسم المحبة للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله، بل هو الحب بالطبع وشهوة النفس، وهو إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً وإلا فهو مباح.

القسم الثاني: أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته، فيكون وسيلة إلى محبوب غيره، والوسيلة إلى المحبوب محبوب، ولذلك يحب الناس الذهب والفضة من حيث إنهما وسيلة إلى المقاصد، وهو إن كان لفائدة دنيوية لم يكن من جملة الحب في الله، ثم ينقسم ذلك إلى مذموم ومباح.

القسم الثالث: أن يحبه لا لذاته بل لغيره، وذلك الغير غير راجع إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة، كمن يحب أستاذه وشيخه لأن يتوسل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل، ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة، فهذا من جملة المحبين لله، وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/ ٣٨٠، كتاب الفرائض والمواريث، باب النوادر، من ألفاظ رسول الله (ﷺ) الموجزة/ ح٥٦.

وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء. قال عيسى عليه السلام : من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء[1].

ولا يتم التعليم إلا بمتعلم، فهو إذاً آلة في تحصيل هذا الكمال، فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه فهو محب لله.

بل نزيد ونقول: من يجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة تقرباً إلى الله فأحب طباخاً لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله، وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله.

بل نزيد على هذا ونقول: من أحب من يخدمه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه لتفرغه بذلك للعلم والعمل، ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله.

القسم الرابع: أن يحب في الله ولله لا لينال منه علماً أو عملاً أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته، وهذا أعلى الدرجات وأعظمها، وهذا القسم أيضاً ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد، فمن أحب إنساناً حباً شديداً أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثني عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه، وكذلك من أحب الله تعالى أحب أحباءه. ويأتي الكلام في محبة الله إن شاء الله تعالى[2].

---

(١) منية المريد، الشهيد الثاني: ١٢١، الفصل ٥ في فضل العلم. وفيه النص: "من علم وعمل فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماء". وأورده أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٥٧/٤٧. بهذا النص: من علم وعمل وعلم كان يدعى عظيما في ملكوت السماء.

(٢) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٤٥ ـ ١٤٩، كتاب آداب الألفة والأخوة، بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا. الحقايق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: ←

ويلزم المحب في الله أن يبغض في الله، فإذا أحببت إنساناً من حيث إنه مطيع لله تعالى فإذا عصى ربه فلا بد أن تبغضه لأنه عاصٍ للّه وممقوت عند الله[1].

روي أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة، وأما انقطاعك إلي فقد تعززت بي، ولكن هل عاديت فيّ عدواً أو واليت فيّ ولياً؟![2].

---

٣١٩ ـ ٣٢٢، الباب الخامس في الإخاء والألفة، الفصل الأول أقسام الحب والمصاحبة. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣/٢٩٣ ـ ٣٠٢، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها عن الأخوة في الدنيا.

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢ / ١٤٩، كتاب آداب الألفة والأخوة، بيان البغض في الله.

(٢) مستدرك سفينة البحار، النمازي: ٣٧٥/٤، زهد الأنبياء وخاتمهم.



الباب الرابع

تقسيم الإخوان والأصدقاء



في تقسيم الإخوان والأصدقاء

روي عن الباقر عليه السلام قال: قام رجل بالبصرة فقال: يا أمير المؤمنين اخبرنا عن الإخوان؟ فقال عليه السلام: الإخوان صنفان: إخوان الثقة، وإخوان المكاشرة. فأما إخوان الثقة فهم الكهف والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من صافاه وعاد من عاداه واكتم سره وعيبه وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل أنهم أقل من الكبريت الأحمر[1]. وأما إخوان المكاشرة فإنك تصيب لذتك منهم فلا تقطعن ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك عن ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا عليك أن تصحب ذا العقل، وإن لم تحمد كرمه، ولكن انتفع بعقله واحترس من سيئ أخلاقه، ولا

---

(١) الكبريت: معروف، وقولهم: أعز من الكبريت الأحمر، إنما هو كقولهم: أعز من بيض الأنوق. ويقال: ذهب كبريت، أي: خالص.
لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ١٣٠، مادة "كبر".

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٢٤٨-٢٤٩، كتاب الإيمان والكفر، باب في أن المؤمن صنفان/ح٣.

تدعن صحبة الكريم فإن[1] لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك وفرّ[2] كل الفرار من اللئيم الأحمق[3].

وقال الصادق عليه السلام: عليك بالتلاد[4]، وإياك وكل محدث لا عهد له ولا أمان ولا ذمة ولا ميثاق، وكن على حذر من أوثق الناس في نفسك، فإن الناس أعداء النعم[5].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام[6]: لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة: فأولها أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة، والثانية أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة أن لا تغيره[7] عليك ولاية ولا مال، والرابعة أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته، والخامسة ــ وهي تجمع هذه الخصال ـ أن لا يسلمك عند النكبات[8].

---

(١) في الوسائل: "وإن".

(٢) في الوسائل: "وافرر".

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٩/١٢، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الباب الثامن استحباب صحبة العاقل الكريم واجتناب الأحمق اللئيم/ ح١.

(٤) التلاد: كل حال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء.
لسان العرب، ابن منظور: ٣ /٩٩، مادة «تلد».

(٥) الكافي، الكليني: ٢٤٩/٨، كتاب الروضة، حديث القباب/ ح٥١.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) في الوسائل: "لا يغيره".

(٨) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٥/١٢ ـ ٢٦، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، باب ١٣ استحباب مصادقة من يحفظ صديقه ولا يسلمه/ ح١.

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: قد قل ثلاثة أشياء في كل زمان: الإخاء في الله، والزوجة الصالحة الأليفة في دين الله، والولد الرشيد. ومن أصاب أحد الثلاثة فقد أصاب خير الدارين والحظ الأوفر في الدنيا. واحذر أن تؤاخي من أرادك لطمع أو خوف أو قتل أو أكل أو شرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء وفي ظلمات الأرض ولو أفنيت عمرك في طلبهم، فإن الله عزّوجل لم يخلق على وجه الأرض أفضل منهم بعد النبيين، وما أنعم الله على العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق لصحبتهم. قال الله تعالى: ﴿**الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾[1] [2].

(١) سورة الزخرف/ ٦٧.

(٢) أنظر: مصباح الشريعة، الإمام الصادق عليه السلام: ١٥٠ ـ ١٥١، الباب ٧١ في المؤاخاة.



الباب الخامس

حقوق الأخوة والصحبة

في حقوق الأخوة والصحبة

وهي في المال والنفس واللسان والقلب بالعفو والدعاء والإخلاص والوفاء والتخفيف وترك التكلف والتكليف، وتجمعها ثمانية أمور:

الأول: المال، وله مراتب ثلاث:

أولها: وهي أدناها أن تنزله منزلة عبدك وخادمك في القيام بحوائجه وأموره من دون أن تحوجه إلى سؤال.

الثانية: وهي أوسطها أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك.

الثالثة: وهي أعلاها أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك، قال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ**﴾[1]، وقال السجاد عليه السلام لرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه وكيسه فيأخذ منه ما يريد من غير إذن؟ قال: لا. قال: فلستم بإخوان[2].

---

(١) سورة الحشر/ ٩.

(٢) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٢٠/٣، كتاب آداب الصحبة والعشرة، الباب ←

الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء حاجاته والقيام بها قبل السؤال وهذه أيضاً لها درجات: أدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة مع البشاشة. وعن الصادق عليه السلام قال: إني لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنون عني[1]. هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء[2].

الثالث والرابع: على اللسان بالسكوت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته والمماراة[3] والمنافسة معه إلا في الله، وعن أسراره التي تنهى إليه ولو بعد القطيعة، فإن ذلك من لؤم الطبع، وأن يسكت عن القدح[4] في أحبائه وأهله وولده، وعن حكاية قدح غيره فيه، فإن الذي سبك من بلغك[5]، وبالنطق بإظهار التودد والتفقد والدعاء والثناء، وينصحه ويخوفه إذا ارتكب حراماً وينبهه على عيوبه، ويقبح القبيح في عينه ويحسن الحسن.

الثاني في حقوق الأخوة والصحبة، الحق الأول. كتاب الإخوان، ابن أبي الدنيا: ٢٠٥، في سخاء النفس بالبذل للإخوان. وفيه النص: "عن عبد الله بن الوليد، قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن علي: يدخل أحدكم يده في كم صاحبه ويأخذ ما يريد؟ قلنا: لا، قال: فلستم بإخوان كما تزعمون.

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٢١/٣، كتاب آداب الصحبة والعشرة، الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة، الحق الثاني.

(٢) نفس المصدر.

(٣) دع المماراة، أي دع المجادلة فيما فيه المرية والشك.

مجمع البحرين، الطريحي: ١٨٥/٤، مادة "مرأ".

(٤) قدحت في نسبه، أي: طعنت.

المجموع، محيي الدين النووي: ٢٠/ ٢٠٦.

(٥) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٢٣/٣، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة، الحق الثالث.

قال ﷺ: المؤمن مرآة المؤمن[1] ـ أي يرى منه ما لا يرى من نفسه، كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة.

الخامس: العفو عن زلاته وهفواته[2]، وهفوته إن كانت في الدين نصحته وأرشدته، وإن كانت لتقصير في الأخوة عفوت عنه ولا تعاقبه، وإذا اعتذر إليك فاقبل عذره. قال النبي ﷺ: من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل فعليه مثل إثم صاحب المكس[3].[4]

السادس: الدعاء له في حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله، ولا تفرق بين نفسك وبينه، فإن دعاءك له دعاء لنفسك. قال النبي ﷺ: إذا دعا رجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك: ولك مثل ذلك[5].

وعن الباقر عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ**﴾[6] قال: هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فتقول له الملائكة: آمين. ويقول الله العزيز الجبار: ولك مثل ما سألت، ولقد أعطيت ما سألت بحبك إياه[7].

---

(١) سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني: ٤٦٠/٢، كتاب الأدب، باب ٥٧ في النصيحة والحياطة/ح١.

(٢) الهفوة: الزلة.

الصحاح، الجوهري: ٢٥٣٥/٦، مادة "هفا".

(٣) المكس: انتقاص الثمن في البياعة.

كتاب العين، الفراهيدي: ٣١٧/٥، مادة "مكس".

(٤) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣٣٩/٣، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة، الحق الخامس.

(٥) الأمالي، الطوسي: ٤٨١، المجلس ١٧/ ح٢٠. وفيه النص: "من دعا لمؤمن بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك".

(٦) سورة الشورى/ ٢٦.

(٧) أنظر: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٣٧٦/٤، تفسير سورة الشورى.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء، ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب[1]. وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال[2].

السابع: الوفاء والإخلاص، والوفاء هو الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي، ولذلك قيل: «قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثير الوفاء في حال الحياة»[3][4].

وروي أنه ﷺ أكرم عجوزاً دخلت عليه، فقيل له في ذلك فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة»[5].

ومن الوفاء مراعاة جميع أقاربه وأصدقائه، وأن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته، وأن لا يصادق أعدائه.

الثامن: التخفيف وترك التكليف، وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه، ولا يستمد منه من جاه ولا مال، ولا يكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبته إلا الله تبارك وتعالى تبركاً بدعائه واستئناساً بلقائه[6].

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٦٧/٢، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة، الحق السادس الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ذيل الحديث في الآداب: "خير من كثيره وقت الحياة".

(٤) آداب الصحبة، أبي عبد الرحمن السلمي: ١ / ٩٣ / ح ١٢٤.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض: ١ / ١٢٧.

(٦) أنظر: المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣/ ٣١٨ ـ ٣٤٥، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، ←

قال أمير المؤمنين عليه السلام : شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراة، وألجاك إلى اعتذار[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: أثقل إخواني عليّ من يتكلف لي وأتحفظ منهم[2]، وأخفهم على قلبي من أكون معه[3] كما أكون وحدي[4].

الباب الثاني، في حقوق الأخوة والصحبة. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢/١٥٥ ـ ١٧١، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثاني في حقوق الأخوة.

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢/١٦٩، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثاني في حقوق الأخوة، الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف.

(٢) في المستدرك: "منه".

(٣) في المستدرك: "معهم".

(٤) مستدرك الوسائل، المحدث النوري: ٩/١٥٥، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، باب ١٤٦ نوادر ما يتعلق بأبواب أحكام العشرة/ ح٥.



الباب السادس

حقوق المسلم والمؤمن



في حقوق المسلم والمؤمن

وهي أمور:

الأول: أن يحب للكافة ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

قال الصادق عليه السلام: إنما المؤمنون إخوة بنو أب وأم، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون[1].

وقال عليه السلام[2]: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة[3]- الحديث.

وقال عليه السلام[4]: المؤمنون خدم بعضهم لبعض، قال: يفيد بعضهم بعضا[5]- الحديث.

---

(١) الكافي، الكليني: ٢/١٦٥، كتاب الإيمان والكفر، باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض/ ح١. كتاب المؤمن، الأهوازي: ٣٨، باب ٣ ما جعل الله بين المؤمنين من الإخاء/ ح١. وليس في بدايته "إنما".

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) مصادقة الإخوان، الشيخ الصدوق: ٤٨، باب المؤمن أخو المؤمن/ ح٢.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/١٦٧، كتاب الإيمان والكفر، باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض/ ح٩. وفيه النص: المؤمنون خدم بعضهم لبعض، قلت: وكيف يكونون خدما بعضهم لبعض؟ قال: يفيد بعضهم بعضا ... الحديث.

وفي الصحيح[1] عنه عليه السلام[2] قال لأصحابه: اتقوا الله، وكونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا[3].[4]

---

(١) الحديث الصحيح: ما اتصل سنده إلى المعصوم بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات حيث تكون متعددة وإن اعتراه شذوذ.

فخرج باتصال السند المقطوع، في أي مرتبة اتفق، فإنه لا يسمى صحيحا، وإن كان رواته من رجال الصحيح.

وشمل قوله: "إلى المعصوم" النبي والإمام.

وبقوله: "بنقل العدل" الموثق.

وبقوله: "ألإمامي" الحسن.

وبقوله: "في جميع الطبقات" ما اتفق فيه واحد بغير الوصف المذكور، فإنه بسببه يلحق بما يناسبه من الأوصاف، لا بالصحيح.

وهو وارد على من عرفه من أصحابنا ــ كالشهيد في الذكرى ــ بأنه: "ما اتصلت روايته إلى المعصوم بعدل إمامي" (الذكرى، الشهيد الأول: ٤). فإن اتصاله بالعدل المذكور لا يلزم أن يكون في جميع الطبقات بحسب إطلاق اللفظ، وإن كان ذلك مرادا. ونبه بقوله: "وإن اعتراه شذوذ" على خلاف ما اصطلح عليه العامة من تعريفه، حيث اعتبروا سلامته من الشذوذ، وقالوا في تعريفه: "إنه ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله، وسلم عن شذوذ وعلة".

وشمل تعريفهم بإطلاق العدل جميع فرق المسلمين. فقبلوا رواية المخالف العدل، ما لم يبلغ خلافه حد الكفر، أو يكن ذا بدعة ويروي ما يقوي بدعته، على أصح أقوالهم.

وبهذا الاعتبار كثرت أحاديثهم الصحيحة وقلت أحاديثنا الصحيحة.

الرعاية لحال البداية في علم الدراية، الشهيد الثاني: ٦٦ ـ ٦٧، الباب الأول في أقسام الحديث، الأول: الصحيح.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) في الكافي: "وتذاكروا أمرنا وأحيوه".

(٤) الكافي، الكليني: ٢/١٧٥، كتاب الإيمان والكفر، باب بالتراحم والتعاطف/ ح١.

الثاني: أن لا يؤذي أحداً من المسلمين بقول أو فعل. قال النبي ﷺ: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[1].

وقال ﷺ: أتدرون من المسلم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال[2]: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[3]. قالوا: فمن المؤمن؟ قال: من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم. قالوا: فمن المهاجر؟ قال: من هجر الشر واجتنبه[4].[5]

وعن الباقر عليه السلام قال: ألا أنبئكم بالمؤمن؟ من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم. ألا أنبئكم بالمسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله، والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعة[6].

الثالث: أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه، فإن ﴿**اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[7]. وقال ﷺ: إن الله أوحى إلي: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد[8]. ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل، فقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[9].

---

(١) التفسير الكبير، الرازي: ١٦٥/٢٦، تفسير سورة ص.

(٢) في المعجم: "قال".

(٣) في المعجم: "من يده ولسانه".

(٤) في المعجم: "من هجر السوء فاجتنبه".

(٥) المعجم الأوسط، الطبراني: ٢٩١/٣، من اسمه بكر/ح٣١٨٨.

(٦) الكافي، الكليني: ٢٣٥/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته/ ح١٩.

(٧) سورة لقمان/ ١٨.

(٨) رياض الصالحين، النووي: ٣١٧، باب ٧١ التواضع وخفض الجناح للمؤمنين/ ح٦٠٢.

(٩) سورة الأعراف/ ١٩٩.

وقال الصادق عليه السلام: إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه[1].

وفي حديث حسن[2] أن علي بن الحسين عليهما السلام مرّ على المجذومين[3] وهو راكب حماره وهم يتغدون، فدعوه إلى الغداء فقال: أما لولا أني صائم[4] لفعلت، فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع وأمر أن يتونقوا[5][6] فيه، ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم[7].

الرابع: أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض، ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض. قال صلى الله عليه وآله: لا يدخل الجنة قتات[8].[9]

---

(١) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٢٢٧، الباب الخامس في مكارم الأخلاق ونظائرها، الفصل الثاني في التواضع.

(٢) الحديث الحسن: هو ما اتصل سنده إلى المعصوم بإمامي ممدوح من غير نص على عدالته. مع تحقق ذلك في جميع مراتبه، أي: جميع رواة طريقه.

أو تحقق ذلك في بعضها، بأن كان فيهم واحد إمامي ممدوح، غير موثق مع كون الباقي من الطريق من رجال الصحيح فيوصف الطريق بالحسن لأجل ذلك الواحد.

الرعاية لحال البداية في علم الدراية، الشهيد الثاني: ٦٨، الباب الأول في أقسام الحديث، الثاني: الحسن.

(٣) في الكافي: "مر علي بن الحسين (عليه السلام) على المجذمين".

(٤) في الكافي: "أما إني لولا أني صائم".

(٥) في الكافي: "يتنوقوا".

(٦) قولهم: تنوق وتنيق في مطعمه وملبسه: تجوّد وبالغ.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣٩٤/٤، مادة "نوق".

(٧) الكافي، الكليني: ٢/ ١٢٣، كتاب الإيمان والكفر، باب التواضع/ ح٨.

(٨) قتات: هو النمام.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/ ١١، مادة "قتت".

(٩) تفسير الثعالبي، عبد الرحمن الثعالبي: ٤/ ٣٢٦، تفسير سورة القلم.

وفي الصحيح[١] عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه لا تتبعوا عثرات المسلمين، فمن[٢] تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثراته[٣]، ومن تتبع الله عثراته[٤] يفضحه[٥].

وفي الموثق[٦] عنه عليه السلام قال[٧]: أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل الرجل على الدين فيحصي عليه زلاته ليعيره بها يوماً[٨].

وعنه عليه السلام[٩] قال: من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله تعالى[١٠] من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان[١١].

---

(١) الحديث الصحيح: مر تعريفه وبيانه في بداية الباب السادس في حقوق المسلم والمؤمن.

(٢) في الكافي: "فإنه من".

(٣) في الكافي: "عثرته".

(٤) في الكافي: "عثرته".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/٣٥٥، كتاب الإيمان والكفر، باب من طلب عثرات المسلمين وعوراتهم/ح٤.

(٦) الحديث الموثق: سمي بذلك، لأن راويه ثقة، وإن كان مخالفا، وبهذا فارق الصحيح مع اشتراكهما في الثقة.

ويقال له: القوي أيضا، لقوة الظن بجانبه بسبب توثيقه. وهو ما دخل في طريقه من نص الأصحاب على توثيقه مع فساد عقيدته، بأن كان من إحدى الفرق المخالفة للإمامية، وإن كان من الشيعة.

الرعاية لحال البداية في علم الدراية، الشهيد الثاني: ٧٠، الباب الأول في أقسام الحديث، الثالث: الموثق.

(٧) أي: «الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام».

(٨) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣٣١، الباب الثالث في المناظرة وشروطها وآدابها، الفصل الثاني في آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق.

(٩) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(١٠) ليس في كشف الريبة: "تعالى".

(١١) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ١١.

الخامس: أن لا يزيد في الهجرة لمن يعرفه أكثر من ثلاثة أيام مهما غضب عليه. قال النبي ﷺ: لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهم[1] الذي يبدأ بالسلام[2].

وقال ﷺ: من أقال مسلماً عثرته أقاله الله يوم القيامة[3].

وقال ﷺ: أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من[4] الإسلام ولم يكن بينهما ولاية، وأيهما سبق[5] إلى كلام صاحبه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب[6].

وعنه عليه السلام[7] قال: لا يزال إبليس فرحاً ما تهاجر[8] المسلمان، فإذا التقيا اصطكت[9] ركبتاه وتخلعت أوصاله ونادى يا ويله ما لقي من الثبور[10].[11]

---

(١) في المسند: "وخيرهما".

(٢) مسند الشهاب، ابن سلامة: ٢/٦٠/ ح٨٨١.

(٣) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي: ٩٠، باب ما جاء فيمن سمع حديثا فخفي عليه في وقت السماع حرف منه لإدغام المحدث إياه ما حكمه.

(٤) في الإرشاد: "عن".

(٥) في الإرشاد: "كان أسبق".

(٦) إرشاد القلوب، الديلمي: ١/ ١٧٨، الباب الحادي والخمسون في أخبار عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام.

(٧) الإمام الصادق عليه السلام.

(٨) في المنية: "ما اهتجر".

(٩) تحاكا: اصطك جرماهما فحك كل الآخر.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٣/ ٢٩٩، مادة "الحك".

(١٠) الثبور: الهلاك.

كتاب العين، الفراهيدي: ٨/٢٢٢، مادة "ثبر".

(١١) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣٢٦، الباب الثالث في المناظرة وشروطها وآدابها، الفصل الثاني في آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق.

السادس: أن يحسن إلى كل من قدر منهم إن استطاع، فعن السجاد عن آبائه عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اصنع المعروف إلى أهله فإن لم تصب أهله فأنت أهله[1].

وفي رواية عنه صلى الله عليه وآله قال: رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر[2].

وقال الباقر عليه السلام: من خالطت فإن استطعت أن تكون يدك العليا عليهم فافعل[3].

السابع: أن لا يدخل على أحد إلا بإذنه، بل يستأذن ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله كان يسلم ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف[4].

الثامن: أن يخالط الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسن طريقته، فإنه إذا أراد لقاء الجاهل بالعلم واللاهي بالفقه والغبي بالبيان أذى وتأذى. قال الصادق عليه السلام: خالقوا الناس بأخلاقهم[5].

التاسع: أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان. قال النبي صلى الله عليه وآله: ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا[6].

---

(١) صحيفة الرضا عليه السلام، الإمام الرضا عليه السلام: ٥٢.

وفيه النص: «اصطنع الخير إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن لم تصب أهله فأنت من أهله».

(٢) آداب الصحبة، أبي عبد الرحمن السلمي: ١/ ٩٨، التودد إلى الإخوان/ ح١٣٩.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٣٧، كتاب العشرة، باب حسن المعاشرة/ ح١.

(٤) أنظر: علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٣٦٦، باب ٨٨ علة تسبيح فاطمة عليها السلام/ ح١.

(٥) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ٣٨٣، كتاب الصلاة، أبواب الصلاة وحدودها، باب الجماعة وفضلها/ ح٣٨.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني: ٤١٤/٣/ح٥٢٦٥.

وقال ﷺ: من تمام إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم[1].

وقال الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: من عرف فضل كبير لسنه فوقره آمنه الله من فزع يوم القيامة[2].

وفي رواية: من وقر ذا شيبة في الإسلام آمنه الله من فزع يوم القيامة[3].

العاشر: أن يكون مع كافة الخلق مستبشراً طلق الوجه رقيقاً. قال ﷺ: أتدرون على من حرمت النار؟ قالوا: الله ورسول أعلم. قال على اللين الهين[4] السهل القريب[5]. وقال عليه السلام[6]: إن الله يحب السهل الطلق[7].

وقال الصادق عليه السلام: من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة[8] كتب الله[9] له

---

(١) جامع الأخبار، الشعيري: ٩٢، الفصل الخمسون في الشيخ. وفيه النص: "من إكرام جلال الله عزّوجل إكرام ذي الشيبة المسلم".

(٢) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٦٩، الباب الثالث في محاسن الأفعال وشرف الخصال، الفصل السابع عشر في إكرام الشيوخ.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٢/ ٩٩، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، باب ٦٧ استحباب إجلال ذي الشيبة المؤمن وتوقيره وإكرامه/ ح١٠.

(٤) في المعجم: "الهين اللين".

(٥) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني: ٨/ ٢١٩، من بقية من أول اسمه ميم، من اسمه موسى/ ح٨٤٥٢.

(٦) أي: "النبي ﷺ".

(٧) مسند الشهاب، القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي: ٢/ ١٥٣، إن الله يحب السهل الطلق/ ح١٠٨٣.

(٨) القذى: جمع قذاة، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/ ٣٠، مادة "قذا".

(٩) في الكافي: "الله عزّوجل".

عشر حسنات، ومن تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة[١].

وقال عليه السلام[٢]: من قال لأخيه مرحباً كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامة[٣].

وعنه عليه السلام[٤] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك[٥].

وعنه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام[٦]: المؤمن إلف مألوف، ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف[٧].

الحادي عشر: أن لا يعد مسلماً بوعد إلا ويفي به. قال السجاد عليه السلام في صفة المنافق: وإذا[٨] وعدك أخلفك[٩].

وقال الصادق عليه السلام عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف

---

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦، كتاب الإيمان والكفر، باب في إلطاف المؤمن وإكرامه/ح١.

(٢) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٣) مصادقة الإخوان، الشيخ الصدوق: ٧٨، باب ملاطفة الإخوان/ ح٢.

(٤) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٥) الكافي، الكليني: ٢/٢٠٦، كتاب الإيمان والكفر، باب في إلطاف المؤمن وإكرامه/ح٥.

(٦) الحديث مروي في المراجع الخاصة والعامة عن النبي صلى الله عليه وآله.

(٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ٣٩، باب الخطب والأوامر، فصل في العزلة والاجتماع وما قيل فيهما.

(٨) في الكافي: "وإن".

(٩) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٩٦، كتاب الإيمان والكفر، باب صفة النفاق والمنافق/ ح٣.

الله بدا ولمقته تعرض، وذلك قوله تعالى[1]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[2].[3]

وعنه عليه السلام[4] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد[5].

وعنه عليه السلام[6] قال: إنما سمي إسماعيل صادق الوعد لأنه وعد رجلاً في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة، فسماه الله تعالى صادق الوعد، ثم إن الرجل أتاه بعد ذلك فقال إسماعيل: مازلت منتظراً لك[7].

الثاني عشر: أن ينصف الناس من نفسه، ولا يأتي إليهم إلا ما يحب أن يؤتي إليه. قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلا عزاً[8].

وقال الصادق عليه السلام لرجل: ألا أخبرك بأشد ما فرض الله على خلقه؟ قال: بلى. قال: إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك أخاك، وذكر الله في كل موطن، أما إني لا أقول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وإن كان هذا من

---

(١) ليس في الكافي: "تعالى".

(٢) سورة الصف/ ٢ ـ ٣.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤، كتاب الإيمان والكفر، باب خلف الوعد/ ح١.

(٤) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٢/ ١٦٥، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، باب ١٠٩ استحباب الصدق في الوعد ولو انتظر سنة/ ح٢.

(٦) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٧) أنظر: الكافي، الكليني: ١٠٥/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة/ح٧.

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ١٤٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الإنصاف والعدل/ ح٤.

ذلك، ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هممت على طاعة أو معصية[1].

وروي أن أعرابياً أتى النبي ﷺ وهو في بعض غزواته فأخذ بغرز[2] راحلته فقال: يا رسول الله علمني عملاً أدخل به الجنة. فقال ﷺ: ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم. خل سبيل الراحلة[3].

الثالث عشر: أن يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته، وينزل الناس منازلهم. روي أن النبي ﷺ دخل بعض بيوته، فدخل عليه أصحابه حتى دحس[4] وامتلأ، فجاء جرير بن عبد الله البجلي[5] فلم يجد مكاناً فقعد على

---

(١) أنظر: الأمالي، المفيد: ٨٨، المجلس العاشر/ ح٤.

(٢) الغرز: ركاب الرحل وكل ما كان مساكا للرجلين في المركب يسمى: غرزا.
كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٣٨٢، مادة "غرز".

(٣) أنظر: كتاب الزهد، الأهوازي: ٢١، باب ٢ الأدب والحث على الخير/ ح٤٥.

(٤) في حديث طلحة: أنه دخل عليه داره وهي دحاس، أي: ذات دحاس، وهو: الامتلاء والزحام.
وفي حديث عطاء: حق على الناس أن يدحسوا الصفوف حتى لا يكون بينهم فرج، أي: يزدحموا ويدسوا أنفسهم بين فرجها.
لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٧٧، مادة "دحس".

(٥) جرير بن عبد الله البجلي: أبو عمرو، وكان ممن هاجر إلى رسول الله (ﷺ) ما حجبه رسول الله (ﷺ) منذ أسلم، ولا رآه إلا تبسم في وجهه.
مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان: ٧٦، الصقع الثاني من أصقاع الإسلام، ذكر مشاهير الصحابة بالكوفة/ الرقم ٢٧٥.
ـ قال الخطيب البغدادي: وفي سنة أربع وخمسين مات جرير بن عبد الله البجلي.
تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١/ ٢٠٢.
ـ قال ابن عساكر: فلما انصرف علي من البصرة أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية فكلمه، وعظم عليه أمر علي وسابقته في الإسلام، ومكانه من رسول الله (ﷺ) واجتماع الناس ←

الباب، فلف رسول الله ﷺ رداءه فألقاه عليه، فقال له: اجلس على هذا. فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي، ثم لفه فرمى به إلى رسول الله ﷺ وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني، فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً ثم قال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لما قدم عدي بن حاتم[2] إلى النبي ﷺ أدخله

عليه، وأراده على الدخول في طاعته، والبيعة له فأبى، وجرى بينه وبين جرير كلام كثير فانصرف جرير إلى علي بن أبي طالب فأخبره بذلك فذلك حين أجمع علي على الخروج إلى صفين.

تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٥٩/ ١١٨.

ـ عده الشيخ ممن روى عن أمير المؤمنين عليه السلام.

رجال الوسي، الشيخ الطوسي: ٥٩، باب الجيم/ الرقم ٧.

ـ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنَّ اسْتِعْدادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إغْلاَقٌ لِلشّامِ وَصَرْفٌ لأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إنْ أَرادُوهُ وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لا يُقِيمُ بَعْدَهُ إلاّ مَخْدُوعاً أَوْ عاصِياً وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الأَناةِ فَأَرْوِدُوا وَلا أَكْرَهُ لَكُمُ الإعْدادَ وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذا الأَمْرِ وَعَيْنَهُ وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وبَطْنَهُ فَلَمْ أَرَ لِي فِيهِ إلاّ الْقِتالَ أَوِ الْكُفْرَ بِما جاءَ مُحَمَّدٌ (ﷺ) إنَّهُ قَدْ كانَ عَلَى الأُمَّةِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْداثاً وَأَوْجَدَ النّاسَ مَقالاً فَقالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا».

نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٨٤، خطب أمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة رقم ٤٣.

(١) أنظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي: ٢/ ١٧٨، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة.

(٢) عدي بن حاتم: عده الشيخ في رجاله تارة من أصحاب رسول الله ﷺ. وأخرى من أصحاب علي عليه السلام بإضافة الطائي. له كلام في ولائه لعلي عليه السلام. عد عدي أيضا من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ١٢/ ١٤٧، عدي بن حاتم/ الرقم ٧٦٦١.

عدي بن حاتم: الطائي، أحد بني ثعل، ويكنى أبا طريف، نزل الكوفة وابتنى بها دارا في طيء، ولم يزل مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشهد معه الجمل وصفين، وذهبت عينه يوم

النبي ﷺ بيته ـ ولم يكن في البيت غير حصفة[1] ووسادة من أدم ـ فطرحها رسول الله ﷺ لعدي[2].[3]

الرابع عشر: أن يصلح ذات البين من المسلمين مهما وجد إليه سبيلا.

قال ﷺ: أفضل الصدقة إصلاح ذات البين[4].

وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: لأن أصلح بين اثنين أحب إلي من أن أتصدق بدينارين[5].

وعن المفضل[6] قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي[7].

وعن أبي حنيفة (سائق الحاج)[8] قال: مرَّ بنا المفضل وأنا وختني[1] نتشاجر

الجمل، ومات بالكوفة زمن المختار سنة ثمان و ستين.

الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦/ ٢٢، عدي بن حاتم.

(١) في الكافي: "خصفة".

(٢) في الكافي: "لعدي بن حاتم".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٥٩، كتاب العشرة، باب إكرام الكريم/ ح٣.

(٤) مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي: ٨/٨٠، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس.

(٥) الفصول المهمة، الحر العاملي: ٢/٢٨٠، كتاب الصلح، باب ١/ ح٣.

(٦) المفضل بن عمر الجعفي: جليل ثقة.

معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ١٩ / ٣٣٠، المفضل بن عمر أبو عبد الله/ الرقم١٢٦١٥.

(٧) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٥/ ٥٢، تفسير سورة الحجرات/ الآية ١٠.

(٨) سعيد بن بيان، أبو حنيفة، سابق الحاج الهمداني: ثقة، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، له كتاب.

رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي: ١٨٠ ـ ١٨١، باب السين/ الرقم ٤٧٦.

في ميراث فوقف علينا ساعة ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم فدفعها إلينا من عنده حتى إذا استوثق كل منا من صاحبه قال: أما إنها ليست من مالي ولكن أبو عبد الله أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديها من ماله، فهذا مال أبي عبد الله عليه السلام[2].

وفي الحسن عنه عليه السلام[3] قال: المصلح ليس بكاذب[4].

الخامس عشر: أن يستر عورات المسلمين كلهن. قال صلى الله عليه وآله: من ستر على مسلم ستره الله تعالى[5] في الدنيا والآخرة[6].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أذاع فاحشة كان كمبتديها[7]، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه[8].

---

(1) الختن: الصهر.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٢٣٨، مادة "ختن".

الختن بالتحريك: كل من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ وهم الأختان هكذا عند العرب، وأما عند العامة فختن الرجل: زوج ابنته.

الصحاح، الجوهري: ٥/ ٢١٠٧، مادة "ختن".

(2) أنظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٦/ ٣١٢، كتاب القضايا والأحكام، باب ٩٢ من الزيادات في القضايا والأحكام/ ح٧٠.

(3) الإمام الصادق عليه السلام.

(4) الكافي، الكليني: ٢/ ٢١٠، كتاب الإيمان والكفر، باب الإصلاح بين الناس/ ح٥.

(5) في أخبار أصبهان: "ستر الله عليه".

(6) ذكر أخبار أصبهان، الحافظ الأصبهاني: ٢/ ١٧.

(7) في المؤمن: "كمبتدئها".

(8) كتاب المؤمن، الأهوازي: ٦٦ ـ ٦٧، باب ٨ ما حرم الله عزّوجل على المؤمن من حرمة أخيه المؤمن/ ح٣.

وعنه عليه السلام[1] قال: من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله تعالى[2]: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[3].[4]

السادس عشر: أن يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن، ولألسنتهم عن الغيبة، فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكاً.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: كيف ترون من يسب أبويه؟ فقالوا: وهل من أحد يسب أبويه. فقال: نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه[5].

السابع عشر: أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى كل من له عنده منزلة، ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه، ففي الكافي عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: إن الله تعالى خلق خلقاً من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة، فإن استطعت أن تكون منهم فكن[6].

وعنه عليه السلام[7] قال: قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة، وخير من

---

(١) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٢) في الاختصاص: "عزّوجل" بدل "تعالى".

(٣) سورة النور/ ١٩.

(٤) الاختصاص، الشيخ المفيد: ٢٢٧، حديث في زيارة المؤمن لله.

(٥) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي: ٢/ ١٨١، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار وكيفية المعاشرة.

(٦) الكافي، الكليني: ١٩٣/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب قضاء حاجة المؤمن/ح٢. وفي ذيل الحديث تتمة، نصها: «فان استطعت أن تكون منهم فكن. ثم قال لنا: والله رب نعبده لا نشرك به شيئا».

(٧) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

حملان ألف فرس في سبيل الله[1].

وعنه عليه السلام[2]: لقضاء حاجة امرئ مؤمن أحب إلى الله من عشرين حجة، كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة ألف[3].

وعن أبان بن تغلب[4] قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: من طاف بالبيت أسبوعاً كتب الله تعالى له ستة آلاف حسنة، ومحا عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وفي رواية: وقضى له ستة آلاف حاجة، قال: ثم قال: وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف ـ حتى عدّ عشراً[5].

وعنه عليه السلام[6] قال: إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا يكون[7] عنده

---

(١) مصادقة الإخوان، الصدوق: ٥٤، باب ثواب قضاء حوائج الإخوان/ ح٣.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٦/ ٣٦٣، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب ٢٦ استحباب اختيار قضاء حاجة المؤمن على غيرها من القربات حتى العتق والطواف والحج المندوب/ ح٢.

(٤) أبان بن تغلب: بنقطتين فوق فمعجمة، ابن رباح، بنقطة تحت الباء، أبو سعيد البكري الجريري، بالجيم المضمومة والمهملتين، مولى بني جرير، ثقة جليل القدر سيد عصره، وفقيه، وعمدة الأئمة، روى عن الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديث.

الرجال، ابن داود: ٩ ـ ١٠، باب الهمزة/ الرقم ٤ أبان بن تغلب.

(٥) أنظر: الكافي، الكليني: ٢ / ١٩٤، كتاب الإيمان والكفر، باب قضاء حاجة المؤمن/ ح ٦.

(٦) الإمام الباقر عليه السلام.

(٧) في الكافي: "فلا تكون".

فيهتم بها قلبه، فيدخله الله[1] بهمه الجنة[2].

وعنه عليه السلام[3] قال: من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له[4] في حاجته ابتلي بالقيام[5] بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر[6].

وعنه عليه السلام[7] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أعان مؤمناً نفس الله عنه ثلاثاً وسبعين كربة واحدة في الدنيا واثنتين وسبعين كربة عند كربته[8] العظمى حيث يتشاغل الناس بأنفسهم[9].

الثامن عشر: أن يبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام، فعن الصادق عليه السلام قال: من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه[10].

---

(١) في الكافي: "الله تبارك وتعالى".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ١٩٦، كتاب الإيمان والكفر، باب قضاء حاجة المؤمن/ ح١٤.

(٣) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

(٤) ليس في المحاسن: "له".

(٥) ليس في المحاسن: "بالقيام".

(٦) المحاسن، البرقي: ١/ ٩٩، كتاب عقاب الأعمال، باب ٣١ عقاب من استعان به المؤمن فلم يعنه/ ح٢.

(٧) الإمام الصادق عليه السلام.

(٨) في الوسائل: "كربه".

(٩) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٦/ ٣٧٢، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب ٢٩ استحباب تفريج كرب المؤمن/ ح٥.

(١٠) الخصال، الشيخ الصدوق: ١/ ١٩، باب الواحد من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه/ ح١.

وقال عليه السلام[1]: ابدأوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه[2].

وقال عليه السلام[3]: إن الله عزّوجل قال: «البخيل من بخل بالسلام»[4].

وعنه عليه السلام[5] قال: إذا سلم أحدكم فليجهر بسلامه، ولا يقول «سلّمت فلم يردوا علي» ولعله يكون قد سلم ولم يسمعهم، وإذا[6] ردّ أحدكم فليجهر برده ولا يقول المسلم «سلمت فلم يردوا علي[7]»[8].

وعنه عليه السلام[9] قال: يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير[10].

وعنه عليه السلام[11] قال: القليل يبدأون الكثير بالسلام، والراكب يبدأ الماشي،

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) تفسير كنز الدقائق، محمد المشهدي: ٢/ ٥٦٠، تفسير سورة النساء/ الآية ٨٧.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٤٦، باب معنى البخل والشح/ ح٧.

(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٦) في الوسائل: "فإذا".

(٧) في الوسائل: "يردوا علي الحديث".

(٨) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٢/ ٦٥ ـ ٦٦، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة في السفر والحضر، باب ٣٨ إنه لا بد من الجهر بالسلام وبالرد بحيث يسمع المخاطب/ح١.

(٩) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٤٦، كتاب العشرة، باب من يجب أن يبدأ بالسلام/ ح١.

(١١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

وأصحاب البغال يبدأون بأصحاب[1] الحمير، وأصحاب الخيل يبدأون أصحاب البغال[2].

وعنه عليه السلام[3] قال: يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، وإذا لقيت جماعة جماعة سلم الأقل على الأكثر، وإذا لقي واحد جماعة سلم الواحد على الجماعة[4].

وعنه عليه السلام[5] قال: لا تبدأوا أهل الكتاب بالتسليم، وإذا سلموا عليكم فقولوا: وعليكم[6].

وعن أبي عبيدة[7] قال: كنت زميل أبي جعفر عليه السلام، وكنت أبدأ بالركوب

---

(١) في المشكاة: "أصحاب".

(٢) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٩٧، الباب الرابع في آداب المعاشرة مع الناس، الفصل الرابع في التسليم والمعانقة.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٤٧، كتاب العشرة، باب من يجب أن يبدأ بالسلام/ ح٣.

(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٦) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ١/ ٤٧٨، تفسير سورة النساء/ الآية ٨٦.

(٧) أبي عبيدة: زياد بن عيسى أبو عبيدة الحذاء: كوفي مولى، ثقة، روى عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام، وقال الحسن بن علي بن فضال: إنه مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام.

قال الكشي حدثني أحمد بن محمد بن يعقوب قال أخبرني عبد الله بن حمدويه قال حدثني محمد بن عيسى عن بشر عن الأرقط عن أبي عبد الله عليه السلام قال لما دفن أبو عبيدة الحذاء قال انطلق بنا حتى نصل على أبي عبيدة قال فانطلقنا فلما أتينا إلى قبره لم يزد على أن دعا فقال اللهم برد على أبي عبيدة اللهم نور له قبره اللهم ألحقه بنبيه ولم يصل عليه فقلت هل على الميت صلاة بعد الدفن فقال لا إنما هو الدعاء.وقال السيد علي بن أحمد العقيقي العلوي: أبو عبيدة زياد ←

ثم يركب هو، فإذا استوينا سلم وساءل مساءلة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح. قال: وكان إذا نزل قبلي فإذا استويت أنا وهو على الأرض سلم وساءل مساءلة من لا عهد له بصاحبه. فقلت: يا بن رسول الله إنك لتفعل شيئاً ما يفعله من قبلنا وإن فعل مرة فكثير؟ فقال: أما علمت ما في المصافحة، إن المؤمنين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه فما تزال الذنوب تنحات[1] عنهما كما ينحات الورق عن الشجر والله ينظر إليهما حتى يفترقا[2].

وعنه عليه السلام[3] قال: ما صافح رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً قط فنزع يده حتى يكون هو الذي نزع[4] يده منه[5].

وعنه عليه السلام[6] قال: تصافحوا فإنه يذهب[7] بالسخيمة[8].

وعنه عليه السلام[1] قال: مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة[2].

الحذاء حسن المنزلة عند آل محمد (عليهم السلام) وكان زامل أبا جعفر عليه السلام إلى مكة.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ٧٤، الباب الثاني زياد/الرقم٤ زياد بن عيسى أبو عبيدة الحذاء.

(١) الحت: حتك الورق من الغصن. قال الأزهري، الحت: الفرك والحك والقشر.

مختار الصحاح، الرازي: ٧٢، مادة "حتت".

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ١٧٩، كتاب الإيمان والكفر، باب المصافحة/ ح١.

(٣) الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) في المشكاة: "ينزع".

(٥) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٢٠١، الباب الرابع في آداب المعاشرة مع الناس، الفصل الخامس في المصافحة والتقبيل.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) في التحف: "فإنها تذهب".

(٨) تحف العقول، الحراني: ٣٦٠، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قصار المعاني.

وعنه عليه السلام[3] قال: إن لكم لنوراً تعرفون به في الدنيا، حتى إن أحدكم إذا لقي أخاه قبله في موضع النور من جبهته[4].

وعنه عليه السلام[5] قال: لا تقبل[6] رأس أحد ولا يده إلا رسول الله أو من أريد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[7].

وفي رواية أخرى: إن تقبيل اليد لا يصلح إلا لنبي أو وصي نبي[8].

وينبغي تعظيم المؤمن بالقيام، لعمومات ما دل على الحث على التعظيم. قال تعالى: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[9] وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾[10].

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ١٨٣، كتاب الإيمان والكفر، باب المصافحة/ ح٢١.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ١٨٥، كتاب الإيمان والكفر، باب التقبيل/ ح١.

(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٦) في العوالي: "لا يقبل".

(٧) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور: ١/ ٤٣٥، الباب الأول في الأحاديث المتعلقة بأبواب الفقه، المسلك الثالث/ ح١٤٣.

(٨) الكافي، الكليني: ٢/ ١٨٥، كتاب الإيمان والكفر، باب التقبيل/ ح٣. ونصه: «عن علي بن مزيد صاحب السابري، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فتناولت يده فقبلتها، فقال: أما إنها لا تصلح إلا لنبي أو وصي نبي».

(٩) سورة الحج/ ٣٢.

(١٠) سورة الحج/ ٣٠.

وقال ﷺ: لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا[1]، وكونوا عباد الله إخواناً[2].

وربما يؤدي ترك القيام إلى التباغض والتقاطع والإهانة، وقد روي أن النبي ﷺ قام إلى فاطمة[3]، وقام إلى جعفر[4][5] لما قدم من الحبشة[6]، وقال للأنصار: قوموا إلى سيدكم[7].

وفي المحاسن عن الصادق عليه السلام أنه سئل عمن قام من مجلسه يعظم الرجل؟ قال: مكروه إلا لرجل في الدين[8].

---

(١) ليس في كشف الريبة: "ولا تقاطعوا".

(٢) كشف الريبة، الشهيد الثاني: ٨١، الفصل الخامس في كفارة الغيبة. رياض الصالحين، النووي: ٦٢، باب ٢٦٩ النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر/ ح١٥٦٧.

(٣) في القواعد: "فاطمة عليها السلام".

(٤) جعفر: جعفر بن أبي طالب: السيد الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبد الله، ابن عم رسول الله (ﷺ)، [أي] عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي، أخو علي بن أبي طالب، وهو أسن من علي بعشر سنين. هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة. سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١/ ٢٠٦، جعفر بن أبي طالب/ ٣٤.

(٥) في القواعد: "جعفر عليه السلام".

(٦) الحبشة: يسمى سكان الجنوب من الإقليمين الأول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان أسماء مترادفة على الأمم المتغيرة بالسواد وإن كان إسم الحبشة مختصا منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه بحر الهند، وليست هذه الأسماء لهم من أجل انتسابهم إلى آدمي أسود، لا حام، ولا غيره. لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، محمد صديق حسن خان: ١/ ١٧٨، ذكر المعتدل من الأقاليم والمنحرف.

(٧) القواعد والفوائد، الشهيد الأول: ٢/ ١٦٠، القاعدة ٢٠٩.

(٨) المحاسن، البرقي: ١/ ٢٣٣، كتاب مصابيح الظلم من المحاسن، باب ١٩ حق العالم/ ح١٨٦. وفيه النص: «عن إسحاق بن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام من قام من مجلسه تعظيما لرجل قال مكروه إلا لرجل في الدين».

وعنه عليه السلام[1] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن من حق الداخل على أهل البيت أن يمشوا معه هنيهة[2] إذا دخل وإذا خرج[3].

وأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من أحب أن يتمثل له النساء والرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار[4]. فهو محمول على ما يصنعه الجبابرة من إلزامهم الناس بالقيام في حال قعودهم إلى أن ينقضي مجلسهم، لا هذا القيام المخصوص القصير زمانه، ولو سلم فهو محمول على من أحب ذلك تجبراً وعلواً على الناس[5].

وأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يكره أن يقام له، وكان إذا قام لا يقومون له لعلمهم بكراهة ذلك[6]، فهو منه صلى الله عليه وآله تواضع وتخفيف على أصحابه، وينبغي للمؤمن أن لا يحب ذلك.

التاسع عشر: أن يصون عرض أخيه ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر، ويرد عنه ويناضل دونه وينصره، فقد قال صلى الله عليه وآله: من تطول على أخيه في غيبة سمعها منه[7] في مجلس فردها عنه رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة،

---

(١) في الكافي: «عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله».

(٢) في الكافي: "هنيئة".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٥٩، كتاب العشرة، باب حق الداخل/ ح١.

(٤) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣/ ٣٩٢، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك.

(٥) أنظر: نضد القواعد الفقهية، المقداد السيوري: ٢٧٣ـ٢٧٤، التاسع في تعظيم المؤمن وتوابعه.

(٦) أنظر: القواعد و الفوائد، الشهيد الأول: ٢/ ١٦١، القاعدة ٢٠٩.

(٧) في الفقيه: "فيه".

وإن لم يردها[1] وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة[2].

العشرون: تسميت[3] العاطس. قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا عطس الرجل فسمتوه ولو من وراء جزيرة[4]. وفي رواية: ولو من وراء البحر[5].

وعنه عليه السلام[6] قال: من سمع عطسة فحمد الله تعالى وصلى على النبي وأهل بيته لم يشتك عينه ولا ضرسه. ثم قال عليه السلام: إن سمعتها فقلها وإن كان بينك وبينه البحر[7].

وعنه عليه السلام[8] قال: من عطس ثم وضع يده على قصبة أنفه ثم قال: «الحمد لله رب العالمين كثيراً كما هو أهله وصلى الله على محمد النبي وآله»[9] خرج من منخره الأيسر طائر أصغر من الجراد وأكبر من الذباب حتى يصير تحت العرش يستغفر الله له إلى يوم القيامة[10].

---

(١) في الفقيه: "فان هو لم يردها".

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٤/١٥، باب ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله/ح١.

(٣) قال الجوهري: التسميت بالسين المهملة، وبالشين المعجمة، أيضا: الدعاء للعاطس، مثل يرحمك الله.

مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ٤١٣، مادة: "سمت".

(٤) ذخيرة المعاد، السبزواري: ٢/ ٣٦٧.

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٥٣، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح٢.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) أنظر: الحدائق الناضرة، البحراني: ٩/ ٩٨، الأخبار الواردة في العطس.

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) في نور الثقلين: "وآله وسلم".

(١٠) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي: ١/ ١٦، تفسير سورة الفاتحة/ ح٦٨.

وعنه عليه السلام[1] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: العطاس للمريض دليل العافية وراحة البدن[2].[3]

وفي رواية: إنه ينفع البدن كله[4] ما لم يزد على الثلاث، فإن[5] زاد على الثلاث فهو داء وسقم[6].

وسئل الصادق عن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[7] فقال: العطسة القبيحة[8].

وعنه عليه السلام[9] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تصديق الحديث عند العطاس[10].

وفي رواية أخرى: إذا كان الرجل يتحدث بحديث فعطس عاطس فهو شاهد حق[11].

الحادي والعشرون: التقية والمداراة مع الأشرار. عن الصادق عليه السلام في قوله

---

(١) أي: الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) في الكافي: "للبدن".

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٥٦، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح١٩.

(٤) في الكافي: "العطاس ينفع في البدن كله".

(٥) في الكافي: "فإذا".

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٥٦، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح٢٠.

(٧) سورة لقمان/ ١٩.

(٨) تفسير البغوي، البغوي: ٣/ ٤٩٣، تفسير سورة لقمان.

(٩) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١٠) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٥٧، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح٢٤.

(١١) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٥٧، كتاب العشرة، باب العطاس والتسميت/ ح٢٥.

تعالى[1] : ﴿**أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا**﴾[2] قال: بما صبروا على التقية. ﴿**وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ**﴾[3] قال: الحسنة التقية والسيئة الإذاعة[4].

وعنه عليه السلام[5] قال: إن تسعة أعشار الدين التقية[6]، ولا دين لمن لا تقية له[7].

وعنه عليه السلام[8] قال: التقية من دين الله[9].

وعن الباقر عليه السلام قال: التقية ديني[10] ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له[11].

وعنه عليه السلام[12] قال: التقية في كل ضرورة، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به[13].

وعنه عليه السلام[14]: التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم فقد أحله الله[15].[16]

---

(١) في المشكاة: "عزّوجل" بدل "تعالى".

(٢) سورة القصص/ ٥٤.

(٣) سورة الرعد/ ٢٢.

(٤) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٤١، الفصل الحادي عشر في التقية.

(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٦) في الخصال: "في التقية".

(٧) الخصال، الشيخ الصدوق: ١/ ٢٢، باب الواحد، تسعة أعشار الدين في خصلة/ ح١.

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) المحاسن، البرقي: ٢٥٨/١، كتاب مصابيح الظلم من المحاسن، باب ٣١ التقية/ح٣٠٣.

(١٠) في الكافي: "التقية من ديني".

(١١) الكافي، الكليني: ٢/ ٢١٩، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية/ ح١٢.

(١٢) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

(١٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٢١٩، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية/ ح١٣.

(١٤) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

(١٥) في تفسير كنز الدقائق: "أحله الله له".

(١٦) تفسير كنز الدقائق، المشهدي: ٢/ ٥٣، تفسير سورة آل عمران.

وعنه عليه السلام[1]: إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقية[2].

الثاني والعشرون: أن يتجنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين، ويحسن إلى الأيتام، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله يقول: اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين[3].

وقال صلى الله عليه وآله: إياكم ومجالسة الموتى. قيل: ومن الموتى[4]؟ قال: الأغنياء[5].

وقال الصادق عليه السلام: ما من عبد مسح يده على رأس يتيم ترحماً له إلا أعطاه الله عزّوجل بكل شعرة نوراً يوم القيامة[6].

وروي أنه يكتب الله تعالى[7] له بعدد كل شعرة مرت عليها يده حسنة[8].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أنكر منكم قساوة قلبه فليدن يتيماً فيلاطفه وليمسح رأسه يلن قلبه بإذن الله، فإن[9] لليتيم حقاً[10].

---

(١) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

(٢) الحدائق الناضرة، البحراني: ١٨/ ١٥٣.

(٣) جامع الأخبار، الشعيري: ١١١، الفصل السابع والستون في الفقراء.

(٤) في الإحياء: "ومن الموتى يا رسول الله".

(٥) إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢/ ١٨٧، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار.

(٦) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٨٨، كتاب الطهارة، باب النوادر/ ح١٢.

(٧) في الفقيه: "عزّوجل".

(٨) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٨٨، كتاب الطهارة، باب النوادر/ ح١٣.

(٩) في الوسائل "إن" بدل "فإن".

(١٠) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢١/ ٣٧٥، كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب ١٣ استحباب مسح رأس اليتيم ترحما به/ ح٤.

الثالث والعشرون: النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور في قلبه، ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب[1].

وقال الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه[2].

وقال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أصبح ولم يهتم[3] بأمور المسلمين فليس بمسلم[4].

وقال صلى الله عليه وآله: الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيته[5] سروراً[6].

وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سر مؤمناً فقد سرني، ومن سرني فقد سر الله[7].

وعنه عليه السلام[8] قال: تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرفه القذى[1] عنه

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٢٠٨، كتاب الإيمان والكفر، باب نصيحة المؤمن/ ح٢.

(٢) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ٢٠٢.

(٣) في الكافي: "ولا يهتم".

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ١٦٣، كتاب الإيمان والكفر، باب الإهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم/ ح١.

(٥) في الجعفريات: "أهل بيت".

(٦) الجعفريات، الأشعث الكوفي: ١٩٣ ـ ١٩٤، كتاب التفسير، باب في ذكر البنات.

(٧) مصادقة الإخوان، الشيخ الصدوق: ٦٢، باب إدخال السرور على المؤمن/ ح٩.

(٨) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

حسنة، وما عبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن[٢].

وقال الصادق عليه السلام: لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

الرابع والعشرون: أن يعود مرضاهم. قال الصادق عليه السلام: من عاد مريضاً من المسلمين وكّل الله[٤] به سبعين ألفاً من الملائكة يغشون رحله يسبحون فيه ويقدسون ويهللون ويكبرون إلى يوم القيامة نصف صلواتهم لعائد[٥] المريض[٦].

وعنه عليه السلام[٧] قال: أيما مؤمن عاد مؤمناً حتى[٨] يصبح شيعه سبعين[٩] ألف ملك، فإذا قعد غمرته الرحمة واستغفروا له حتى يمسي، وإن عاده مساءً كان له مثل ذلك حتى يصبح[١٠].

وعن الصادق عليه السلام قال: إذا دخل أحدكم على أخيه عائداً له فليدع له[١١]،

---

(١) القذى: جمع قذاة، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤/ ٣٠، مادة "قذا".

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٦/ ٣٤٩، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب ٢٤ استحباب إدخال السرور على المؤمن وتحريم إدخال الكرب عليه/ ح٢.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/١٨٩، كتاب الإيمان والكفر، باب إدخال السرور على المؤمنين/ ح٦.

(٤) في الذكرى: "الله عزّوجل".

(٥) في الذكرى: "لعايد" بدل "لعائد".

(٦) الذكرى، الشهيد الأول: ٣٦، الاحتضار وأحكام المحتضر.

(٧) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٨) في الكافي: "حين".

(٩) في الكافي: "سبعون".

(١٠) الكافي، الكليني: ٣/ ١٢١، كتاب الجنائز، باب ثواب عيادة المريض/ ح٨.

(١١) في المكارم: "فليدع له وليطلب منه الدعاء".

فإن دعاءه مثل دعاء الملائكة[(١)].

وقال عليه السلام[(٢)]: من عاد مريضاً في الله لم يسأل المريض للعائد شيئاً إلا استجاب الله له[(٣)].

وعنه عليه السلام[(٤)] قال: تمام العيادة للمريض أن تدع[(٥)] يدك على ذراعه وتعجل القيام من عنده، فإن عيادة النوكي[(٦)] أشد على المريض من وجعه[(٧)].

وعنه عليه السلام[(٨)]: العيادة قدر فواق الناقة[(٩)] أو حلب ناقة[(١٠)].

وعنه عليه السلام[(١١)]: إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن من أعظم العواد أجراً عند الله لمن

---

(١) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٣٦١، الفصل الأول في آداب المريض والعائد وعلاجه، في عيادة المريض.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) الدعوات، قطب الدين الراوندي: ٢٢٢، الباب الثالث في ذكر المرض ومنافعه العاجلة والآجلة، فصل في عيادة المريض ووصيته وأحواله/ ح٢.

(٤) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٥) في الكافي: "تضع" بدل "تدع".

(٦) نوك كفرح نواكة ونواكا ونوكا محركة، أي: حمق، حماقة.

تاج العروس، الزبيدي: ٧/ ١٨٨، مادة "نوك".

(٧) الكافي، الكليني: ٣/ ١١٨، كتاب الجنائز، باب في كم يعاد المريض وقدر ما يجلس عنده وتمام العيادة/ ح٤.

(٨) الإمام الصادق عليه السلام.

(٩) في الكافي: "ناقة".

(١٠) الكافي، الكليني: ٣/ ١١٨، كتاب الجنائز، باب في كم يعاد المريض وقدر ما يجلس عنده وتمام العيادة/ ح٢.

(١١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

إذا عاد أخاه خفف الجلوس، إلا أن يكون المريض يحب ذلك ويريده ويسأله ذلك[1].

وعنه عليه السلام[2]: لا عيادة في وجع العين، ولا تكون عيادة في أقل من ثلاثة أيام، فإذا وجبت فيوم ويوم لا، فإذا طالت العلة ترك المريض وعياله[3].

الخامس والعشرون: تشييع جنائزهم وحمل السرير والتعزية. قال الباقر عليه السلام: من مشى مع جنازة حتى يصلي عليها ثم رجع كان له قيراط، وإذا مشى معه حتى يدفن كان قيراطان. والقيراط مثل أحد[4].

وقال عليه السلام[5]: من تبع جنازة امرئ مسلم أعطي يوم القيامة أربع شفاعات ولم يقل شيئاً إلا قال الملك: ولك مثل ذلك[6].

وقال الصادق عليه السلام: من أخذ بقائمة السرير غفر الله له خمساً وعشرين كبيرة، وإذا ربّع خرج من الذنوب[7].

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢/ ٤٢٦، كتاب الطهارة، أبواب الاحتضار، باب ١٥ استحباب الجلوس عند المريض من غير إطالة إلا أن يحب المريض ذلك أو يسأله/ ح٢.

(٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٣) الكافي، الكليني: ٣ / ١١٧، كتاب الجنائز، باب في كم يعاد المريض وقدر ما يجلس عنده وتمام العيادة/ح١.

(٤) أنظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦، كتاب الطهارة، أبواب الزيادات، باب ٢٣ تلقين المحتضرين/ ح١٣٠.

(٥) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

(٦) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس: ٢/ ٨٦.

(٧) الكافي، الكليني: ٣/ ١٧٤، كتاب الجنائز، باب ثواب من حمل جنازة/ ح٢.

وقال عليه السلام[1] لإسحاق بن عمار[2]: إذا حملت جوانب السرير سرير الميت خرجت من الذنوب كما ولدتك أمك[3].

وقال الباقر عليه السلام: إن المشي خلف الجنازة أفضل من بين يديها[4]، ولا بأس إن مشيت بين يديها[5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عزى حزيناً كسي في الموقف حلة يُحَبَّرْ بها[6].

وقال الكاظم عليه السلام[7]: يعزي قبل الدفن وبعده[8].

وقال الصادق عليه السلام: التعزية الواجبة بعد الدفن[1].

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) إسحاق بن عمار: إسحاق بن عمار بن حيان مولى بني تغلب أبو يعقوب الصيرفي. شيخ من أصحابنا، ثقة، وإخوته يونس ويوسف وقيس وإسماعيل، وهو في بيت كبير من الشيعة، وابنا أخيه علي بن إسماعيل وبشر بن إسماعيل كانا من وجوه من روى الحديث. روى إسحاق عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، ذكر ذلك أحمد بن محمد بن سعيد في رجاله. له كتاب نوادر، يرويه عنه عدة من أصحابنا. أخبرنا محمد بن علي قال حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى قال حدثنا سعد عن محمد بن الحسين، قال حدثنا غياث بن كلوب بن قيس البجلي عن إسحاق به.

رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي: ٧١، باب إسحاق/ الرقم ١٦٩.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٦٢، كتاب الطهارة، باب الصلاة على الميت/ح١٠.

(٤) في الفقيه: "أفضل من المشي من بين يديها".

(٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١٦٢/١، كتاب الطهارة، باب الصلاة على الميت/ح١١.

(٦) الكافي، الكليني: ٣/ ٢٠٥، كتاب الجنائز، باب ثواب من عزى حزينا/ ح١.

(٧) في الاستبصار: "عن هشام بن الحكم، قال: رأيت موسى بن جعفر عليه السلام يعزي ... الحديث".

(٨) الاستبصار، الشيخ الطوسي: ١/ ٢١٧، أبواب الجنائز، باب كيفية التعزية/ ح١.

وقال[2]: كفاك من التعزية بأن يراك صاحب المصيبة[3].

وعزى عليه السلام قوماً فقال[4]: «جبر الله وهنكم[5] وأحسن عزاكم ورحم متوفاكم، ثم انصرف»[6].

السادس والعشرون: زيارة قبورهم وعمل البر لأمواتهم[7].

روى الصدوق[8] عن الصادق عليه السلام: إنه سئل عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها؟ فقال: أما زيارة القبور فلا بأس[9]، ولا يبنى عندها مساجد[10].

وكانت فاطمة عليها السلام: تأتي قبور الشهداء كل غداة سبت، فتأتي قبر حمزة

---

(1) الكافي، الكليني: ٣/٢٠٤، كتاب الجنائز، باب التعزية وما يجب على صاحب المصيبة/ح٤.

(2) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(3) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٧٤، كتاب الطهارة، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح٤.

(4) في الفقيه: "أتى أبو عبد الله عليه السلام قوما قد أصيبوا بمصيبة، فقال: ... الحديث".

(5) الوهن: الضعف في العمل وفي الأشياء، وكذلك في العظم ونحوه.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٩٢، مادة "وهن".

(6) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٧٤، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح٥.

(7) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢/١٧٣ ـ ١٩٠، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة.

(8) مرت ترجمته.

(9) في الفقيه: "فلا بأس بها".

(10) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٧٨، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح٥٣١.

فتترحم عليه وتستغفر له[1].

وقال الكاظم عليه السلام: إذا دخلت المقابر فطأ القبور، فمن كان مؤمناً استراح إلى ذلك، ومن كان منافقاً وجد ألمه[2].

وعن محمد بن مسلم[3] قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لموتى[4] نزورهم؟ فقال: نعم. قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ فقال: أي[5] والله إنهم ليعلمون بكم ويفرحون بكم ويستأنسون إليكم. قلت[6]: فأي شيء نقول إذا أتيناهم؟ قال: قال: قل: «اللهم جاف الأرض عن جنوبهم وصاعد إليك أرواحهم ولقّهم منك رضواناً وأسكن إليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم وتؤنس به وحشتهم إنك على كل شيء قدير»[7].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٨٠، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح٥٣٧.

(٢) مجمع الفائدة، الأردبيلي: ٢/ ٥٠٣، الاستناد إلى القبر والمشي عليه.

(٣) محمد بن مسلم: محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر الأوقص الطحان، مولى ثقيف الأعور، وجه أصحابنا بالكوفة، فقيه، ورع، صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام، وروى عنهما و كان من أوثق الناس. له كتاب يسمى الأربعمائة مسألة في أبواب الحلال والحرام. أخبرنا أحمد بن علي قال حدثنا ابن سفيان، عن حميد قال حدثنا حمدان القلانسي قال حدثنا السندي بن محمد، عن العلاء بن رزين، عنه به. ومات محمد بن مسلم سنة خمسين ومائة.

رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، باب الميم/ الرقم ٨٨٢.

(٤) في الفقيه: "الموتى".

(٥) في الفقيه: "إي" بدل "أي".

(٦) في الفقيه: "قال: قلت".

(٧) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/١٨٠ ــ ١٨١، باب التعزية والجزع عند المصيبة ←

وقال الرضا عليه السلام: ما من عبد زار قبر مؤمن فقرأ عليه ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ**﴾[1] سبع مرات إلا غفر الله له[2] ولصاحب القبر[3].

وقال الصادق عليه السلام: ست تلحق[4] المؤمن بعد وفاته: ولد يستغفر له، ومصحف يخلفه، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وقليب يحفره، وسنة يؤخذ بها من بعده[5].

وقال عليه السلام[6]: من عمل من المسلمين عن ميت عملاً صالحاً أضعف له[7] ونفع الله به الميت[8].

وقال عليه السلام[9]: يدخل على الميت في قبره الصلاة والحج[10] والصدقة والبر والدعاء، ويكتب أجره للذي يفعله وللميت[11].

وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح٣٩.

(١) في الحدائق: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ سورة القدر/ ١.

(٢) في الحدائق: "إلا غفر الله تعالى له".

(٣) الحدائق الناضرة، البحراني: ٤/ ١٧١، المقام الرابع، في زيارة القبور.

(٤) في الفقيه: "يلحقن".

(٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٨٥، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة القبور والنوح والمأتم/ ح٥٤.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) في المعتبر: "أضعف له أجره".

(٨) المعتبر، العلامة الحلي: ١/ ٣٤٠، في اعتبار المماثلة.

(٩) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١٠) في الفقيه: "الصلاة والصوم والحج".

(١١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٨٥، باب التعزية والجزع عند المصيبة وزيارة

→

القبور والنوح والمأتم/ ح٥٦.



الباب السابع

بيان بعض الحقوق إجمالا



في بيان بعض الحقوق إجمالاً

إعلم أن الجملة الجامعة : أن لا تستصغر أحداً من إخوان الدين حياً كان أو ميتاً فتهلك ، لأنك لا تدري لعله خير منك ، فإنه ـ وإن كان فاسقاً ـ فلعله يختم له بالصلاح ويختم لك بمثل حاله. ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم ، فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ، ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا ، فتسقط من عين الله.

ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في أعينهم وتحرم دنياهم ، فإن لم تحرم كنت قد استبدلت «الذي هو أدنى بالذي هو خير»[١].

ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في المعاداة ويذهب به دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك ، إلا إذا رأيت منكراً في الدين فتعادي أفعالهم القبيحة.

(١) سورة البقرة/ ٦١.

وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانه، فحسبهم جهنم يصلونها[1]، ولا تحقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثنائهم في وجهك وحسن بشرهم لك، فإنك إذا طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحداً وربما لا تجده.

ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم، ولا تطمع أن يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية، فذلك طمع كاذب. ولا تطمع بما في أيديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض. ولا تظهر عليهم تكبراً لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة التكبر بإظهار الاستغناء.

وإذا سألت أخاً منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد، وإن لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدواً تطول عليك مقاساته.

ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل[2] القبول، فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عاماً من غير تنصيص على شخص.

ومهما رأيت منهم كرامة وخيراً فاشكر الله الذي سخرهم لك، واستعذ بالله أن يكلك إليهم.

وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شراً أو أصابك منهم ما يسوؤك فكل أمرهم إلى الله، واستعذ بالله من شرهم، ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر

---

(١) إشارة إلى قوله تبارك وتعالى في سورة المجادلة/ الآية ٨، ونصها ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾.

(٢) في حديث الاستسقاء: "وأخلفتنا مخايل الجود"، جمع مخيلة، وهي: السحاب التي يظن أنها تمطر وليست بماطرة.

مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٧٢٢، مادة "خيل".

وفي التهذيب: المخيلة بفتح الميم: السحابة. و الجمع: مخايل.

تاج العروس، الزبيدي: ٧/ ٣١٣، مادة "خيل".

ويضيع العمر بذلك، ولا تقل لهم «لم تعرفوا موضعي»، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعاً في قلوبهم، فالله المحبب والمبغض الى القلوب.

وكن فيهم سميعاً لحقهم أصم عن باطلهم: نطوقاً بحقهم صموتاً عن باطلهم. واحذر صحبة أكثر الناس، فإنهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة، ويحاسبون على النقير[1] والقطمير[2] ويحسدون على القليل والكثير، يستنصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان، ويغيرون الإخوان بالنميمة[3] والبهتان[4]، فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان، إن رضوا فظاهرهم الملق[5] وإن سخطوا فباطنهم الحنق[6]، لا يؤمنون في حنقهم ولا

---

(١) فلان كريم النقير، أي: الأصل.

الصحاح، الجوهري: ٢/ ٨٣٦، مادة "نقير".

(٢) ما أصبت منه قطميرا، أي: شيئا.

لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ١٠٨، مادة "قطمر".

(٣) النميمة: القالة بين الناس، أي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكي البعض عن البعض.

لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ٥٧٤، مادة "قول".

(٤) بهته فلان، أي: استقبله بأمر قذفه به وهو بريء منه، لا يعلمه، والاسم: البهتان.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٣٥، مادة "بهت".

(٥) الملق من التملق، وأصله من التليين، ويقال: التلين.

ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت الأهوازي: ٣٦٤، مادة "الملق".

ورجل ملق: يعطي بلسانه ما ليس في قلبه.

الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٥٥٦، مادة "ملق".

(٦) الحنق: شدة الاغتياظ، حنق حنقا فهو حنق.

كتاب العين، الفراهيدي: ٣/ ٥١، مادة "حنق".

يرجون في ملقهم، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب، ينطلقون بالظنون ويتغامزون ورائك بالعيون، ويتربصون بصديقهم من الحسد ﴿**رَيْبَ الْمَنُـــونِ**﴾[1]، يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك[2] بها في غضبهم ووحشتهم.

ولا تعول على مودة من لم تختبره حق الخبرة، بأن تصحبه مدة في دار وموضع واحد، فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره، أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم، أو تقع في شدة فتحتاج إليه، فإن رضيته في هذه الأحوال فاتخذه أباً لك إن كان كبيراً وابناً إن كان صغيراً وأخاً إن كان مثلك[3].

---

(١) سورة الطور/ ٣٠.

(٢) التجبيه: أن ينكس رأسه.

لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٤٨٣، مادة "جبه".

(٣) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢/ ١٩٠، كتاب آداب الألفة و الأخوة، الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة.



الباب الثامن

حقوق الجوار



في حقوق الجوار

إعلم أن الجوار يقتضي حقاً وراء ما يقتضيه أخوة الإسلام، فيستحق الجار من الحقوق ما يستحق كل مسلم وزيادة لما روي عنه عليه السلام[1] قال: الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق. فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك[2].

وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح على عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في صب الماء

(١) في الإحياء: "قال النبي ﷺ".

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي: ٢/ ١٩١، كتاب آداب الألفة والأخوة، حقوق الجوار.

من ميزابه، ولا في مطرح التراب من فنائه، ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر في ما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة[1]، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يتسمع عليه كلامه، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف لولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه[2].

هذا كله مضافاً إلى حقوق الإسلام المتقدمة[3]، ففي الحديث النبوي: أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقد عدت إليه[4]، وإن مرض عدته، وإن مات اتبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فاهد منها[5] له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار[6] قدرك إلا أن تغرف له منها[7].

---

(١) النوائب جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان، أي: ما ينزل به من المهمات والحوادث ونابتهم نوائب الدهر.

تاج العروس، الزبيدي: ١/ ٤٩٦.

(٢) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ١٩١ ـ ١٩٢، كتاب آداب الألفة والأخوة، الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك، حقوق الجوار.

(٣) أنظر: الأبواب المتقدمة في الحقوق.

(٤) في الكنز: "وإن افتقر عدت عليه".

(٥) ليس في الكنز: "منها".

(٦) "لاتؤذ جارك بقتار قدرك"، هو: ريح القدر والشواء ونحوهما.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ١٢/٤، مادة "قتر".

(٧) كنز العمال، المتقي الهندي: ٩/ ٥٨ ـ ٥٩، الإكمال من حق الجار/ ح٢٥٩٣٥.

وفي الصادقي[1]: حسن الجوار يزيد في الرزق[2].

وعنه عليه السلام[3]: إن يعقوب لما ذهب منه بنيامين نادى: يا رب أما ترحمني أذهبت عيني وأذهبت ابني؟! فأوحى الله تعالى[4]: لو أمتُّهما لأحييتهما لك حتى أجمع بينك وبينهما، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت وفلان إلى جانبك[5] صائم لم تنله منها شيئاً[6].

وفي رواية أخرى: وكان بعد ذلك يعقوب[7] ينادي مناديه كل غداة من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداة[8] فليأت إلى يعقوب، وإذا أمسى نادى: ألا من أراد العشاء فليأت إلى يعقوب[9].

وعنه عليه السلام[10]: حسن الجوار زيادة في الأعمار وعمارة في الديار[11].

وعنه عليه السلام[12]: ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره[13].

---

(١) أي: في الخبر الصادقي، ونعني: الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٦٦، كتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح٣.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) في الكافي: "الله تبارك وتعالى".

(٥) في الكافي: "وفلان و فلان إلى جانبك".

(٦) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٦٧، كتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح٤.

(٧) في الكافي: "فكان بعد ذلك يعقوب عليه السلام".

(٨) في الكافي: "الغداء".

(٩) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٦٧، كتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح٥.

(١٠) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١١) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ٢١٣، الباب الرابع في آداب المعاشرة، الفصل العاشر في حق الجار.

(١٢) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(١٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٦٨، كتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح١١.

وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع قال: وما من أهل قرية يبيت فيهم[1] جائع ينظر الله إليهم يوم القيامة[2].

وقال عليه السلام[3]: من القواصم الفواقر التي تقصم الظهر جار السوء، إن أي[4] حسنة أخفاها، وإن رأي سيئة أفشاها[5].

وفي الحسن عن الباقر عليه السلام[6]: كل أربعين داراً جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله[7].

---

(١) في الكافي: "وفيهم".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٦٨، كتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح١٤.

(٣) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

(٤) في الكافي: "رأى".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٦٨، كتاب العشرة، باب حق الجوار/ ح١٥.

(٦) في نور الثقلين: "عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله... الحديث".

(٧) تفسير نور الثقلين، الحويزي: ١/ ٤٨٠، تفسير سورة النساء/ ح٢٤٤.



الباب التاسع

حقوق الأقارب والرحم



في حقوق الأقارب والرحم

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[١]. ففي الحسن عن الصادق قال: هي أرحام الناس، إن الله تعالى[٢] أمر بصلتها وعظمها، ألا ترى أنه جعلها منه[٣].[٤]

وفي الموثق عنه عليه السلام[٥] أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أهل بيتي أبوا إلا توثباً علي وقطيعة لي وشتيمة، فأرفضهم. فقال: إذاً يرفضكم الله جميعاً. قال: كيف أصنع؟ قال: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك، فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير[٦].

وعنه عليه السلام[٧] قال: ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم، حتى إن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة

(١) سورة النساء/ ١.
(٢) ليس في العياشي: "تعالى".
(٣) في العياشي: "معه" بدل "منه".
(٤) تفسير العياشي، العياشي: ١/ ٢١٧، تفسير سورة النساء/ ح٩.
(٥) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".
(٦) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ١٥٠، كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم/ ح٢.
(٧) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً لرحمه[1] فينقصه الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين[2].

وعن الباقر عليه السلام قال: صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسئ في الأجل[3].

وعنه عليه السلام[4] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم، وإن كان منه على مسيرة سنة، فإن ذلك من الدين[5].

وعنه عليه السلام[6] قال: إن الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش تقول: صل[7] من وصلني واقطع من قطعني[8].

قال الشهيد الثاني رحمه الله: الرحم هو القريب المعروف بالنسب وإن بعدت لحمته وجاز نكاحه بالنص والإجماع[9].

---

(١) في الكافي: "قاطعا للرحم".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣، كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم/ ح١٧.

(٣) تحف العقول، الحراني: ٢٩٩، ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام في قصار المعاني.

(٤) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

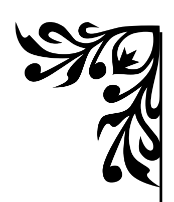
(٥) عدة الداعي، ابن فهد الحلي: ٩٠، القسم السادس ما يرجع إلى الفعل كأعقاب الصلاة. وأورده الكليني والطبرسي عن الإمام الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله باختلاف كلمة وهي: "وإن كانت منه" بدل "وإن كان منه". الكافي، الكليني: ١٥١/٢، كتاب الإيمان والكفر، باب صلة الرحم / ح ٥ . مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٦٥، الفصل الخامس عشر في صلة الرحم.

(٦) أي: «الإمام الباقر عليه السلام».

(٧) في الوسائل: "اللهم صل".

(٨) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢١/ ٥٣٥، كتاب النكاح، أبواب النفقات، باب ١٧ استحباب صلة الأرحام/ ح٧.

(٩) مسالك الأفهام، الشهيد الثاني: ٦/ ٣١، لا رجوع مع تلف العين. وقال الشهيد الثاني في ذيل وصفه الرحم: "وهو موضع نص و وفاق".



الباب العاشر

حقوق الوالدين والولد



في حقوق الوالدين والولد

قال الله تعالى: ﴿**وَبالْوالِدَيْنِ إحْسٰاناً**﴾[1] وقال: ﴿**أمّا**[2] **يَبْلُغَنَّ عندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمٰا أَوْ كِلاَهُمٰا فَلا تَقُل لَهُمآ أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمٰا وَقُل لَهُمٰا قَوْلاً كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمٰا جَنٰاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾[3].

وفي الصحيح عن أبي ولاد الحناط[4] قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿**وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسٰاناً**﴾[5] ما هذا الإحسان؟ فقال الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألاك مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين، أليس

---

(١) سورة البقرة/ ٨٣.

(٢) في النص القرآني: "إما".

(٣) سورة الإسراء/ ٢٣ ـ ٢٤.

(٤) أبي ولاد الحناط: حفص بن سالم أبو ولاد الحناط: قال ابن فضال حفص بن يونس مخزومي، روى عن أبي عبد الله (عليه السلام)، ثقة، لا بأس به. و قيل إنه من موالي جعفي، ذكره أبو العباس. له كتاب يرويه الحسن بن محبوب أخبرنا ابن نوح قال حدثنا الحسن بن حمزة قال حدثنا ابن بطة، قال حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا أحمد بن محمد قال حدثنا الحسن بن محبوب عن حفص بكتابه.

رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي: ١٣٥، باب الحاء/ الرقم ٣٤٧.

(٥) سورة البقرة/ ٨٣.

يقول الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]. قال: ثم قال عليه السلام: وأما قول الله تعالى: ﴿أمّا[2] يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾[3]ـ الآية. قال: إن أضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إن ضرباك. قال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[4] إن ضرباك فقل لهما «غفر الله لكما» فذلك منك قول كريم. قال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[5] قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدامهما[6].

وعنه عليه السلام[7]: إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أوصني. فقال: لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت وعذبت[8] إلا وقلبك مطمئن بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرهما حيين كانا أو ميتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل فإن ذلك من الإيمان[9].

وعنه عليه السلام أنه سئل أي الأعمال أفضل؟ فقال[10]: الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله[11].

(١) سورة آل عمران/ ٩٢.

(٢) في النص القرآني: "إما".

(٣) سورة الإسراء/ ٢٣.

(٤) سورة الإسراء/ ٢٣.

(٥) سورة الإسراء / ٢٤.

(٦) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/١٥٧ـ ١٥٨، كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين/ح١.

(٧) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٨) في الكافي: "وإن حرقت بالنار وعذبت".

(٩) الكافي، الكليني: ٢/ ١٥٨، كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين/ ح٢.

(١٠) في المحاسن: "عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام، أي الأعمال أفضل؟ قال: ... الحديث".

(١١) المحاسن، البرقي: ١/ ٢٩٢، كتاب مصابيح الظلم، باب ٤٧ المحبوبات/ ح٧.

وعنه عليه السلام[1] قال: أتى رجل رسول الله[2] فقال: يا رسول الله إني راغب في الجهاد نشيط . قال: فقال له النبي[3]: فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل تكن حياً عند الله ترزق، وإن مت[4] فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت رجعت من الذنوب كما ولدت. قال: يا رسول الله إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فقر مع والديك، فوالذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة[5].

وعنه عليه السلام[6] قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله قال[7]: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال[8]: أمك. قال: ثم من؟ قال: أباك[9].

وعن جابر[10] قال: سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي أبوين

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) في الكافي: "رسول الله صلى الله عليه وآله".

(٣) في الكافي: "رسول الله صلى الله عليه وآله".

(٤) في الكافي: "تمت".

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ١٦٠، كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين/ ح١٠.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٧) في كتاب الزهد: "فقال".

(٨) في كتاب الزهد: "قال عليه السلام".

(٩) كتاب الزهد، الأهوازي: ٤٠، باب ٥ بر الوالدين والقرابة والعشيرة والقطيعة/ ح٢٢.

(١٠) ورد الإسناد في أصول الكافي: "عنه، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح، عن جابر، قال: ... الحديث".

(وعنه عائدة لما قبله) وقد ورد فيما قبله بالإسناد: "عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم ...". وجابر هذا قد اختلف فيه مع من سبقه، وهو أبو الصباح، ←

مخالفين. فقال: برهما كما تبر المسلمين بمن[1] يتولانا[2].

وعن سدير[3] قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام[4]: هل يجزي الولد والده؟ فقال: ليس له جزاء إلا في خصلتين: أن يكون الوالد مملوكاً فيشتريه ابنه[5] فيعتقه، أو يكون عليه دين فيقضيه عنه[6].

ولم يقطع لأحد منهما ممن ترجم لهم بأنه جابر بن يزيد، أو غيره، أو أن أبو الصباح، هو: إبراهيم بن نعيم، أو مولى آل سام، وفي جابر، يقول الكاظمي: "المشترك بين جماعة لا حظ لهم بالتوثيق، ما عدا جابر بن يزيد الجعفي، ولا يخفى ما فيه، ويمكن استعلام: أنه هو: برواية عمرو بن شمر عنه، ورواية عبد الرحمن بن كثير عنه، و حريز عنه، ورواية أبي جميلة المفضل بن صالح السكوني عنه، ورواية عبد الله بن محمد عنه، ورواية المنخل بن جميل الأسدي عنه، وروى عنه يوسف بن يعقوب، وإبراهيم بن سليمان.

وحيث يعسر التمييز تقف الرواية على ما عرفت.

هداية المحدثين، محمد أمين الكاظمي: ٢٨ ـ ٢٩، باب جابر.

(١) في الكافي: "ممن".

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ١٦٢، كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين/ ح١٤.

(٣) سدير بن حكيم: يكنى أبا الفضل. روى الكشي عن علي بن محمد القتيبي قال حدثنا الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير عن بكر بن محمد الأزدي قال و زعم لي زيد الشحام قال إني لأطوف حول الكعبة وكفي في كف أبي عبد الله عليه السلام ودموعه تجري على خديه فقال يا شحام ما رأيت ما صنع ربي إلي، ثم بكى ودعا. ثم قال يا شحام إني طلبت إلى إلهي في سدير وعبد السلام بن عبد الرحمن، وكانا في السجن، فوهبهما لي وخلى سبيلهما.

وهذا حديث معتبر يدل على علو مرتبتهما.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ٨٥، الباب العاشر في الآحاد/ الرقم٣.

(٤) في الأمالي: "عن سدير عن أبيه، قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: ... الحديث".

(٥) ليس في الأمالي: "ابنه".

(٦) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٤٦٢، المجلس السبعون/ ح٩.

وعنه عليه السلام[1] قال: إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهم ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً، وإنه ليكون لهما عاقاً في حياتهما غير بار بهما فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله تعالى باراً[2].

وعن الكاظم عليه السلام قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حق الوالد على ولده؟ قال: أن[3] لا يسميه باسمه ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله ولا يستسب له[4].

وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف سنة ولا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء. إنما الكبر رداء الله تعالى.[5]

وعن زيد بن علي[6] عن أبيه[7] عن جده[8] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما[9].

---

(١) أي: "الإمام الباقر عليه السلام".

(٢) أنظر: كتاب الزهد، الأهوازي: ٣٣، باب ٥ بر الوالدين والقرابة والعشيرة والقطيعة/ح٢.

(٣) ليس في الكافي: "أن".

(٤) الكافي، الكليني: ٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩، كتاب الإيمان والكفر، باب البر بالوالدين/ ح٥.

(٥) أنظر: مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٦١، في حقوق الوالدين وبرهما.

(٦) زيد بن علي بن الحسين، قتل سنة إحدى وعشرين ومائة، وله اثنتان وأربعون سنة. شهد له الصادق عليه السلام بالوفاء وترحم عليه.

رجال ابن داود، ابن داود: ١٦٤، باب الزاي المعجمة/ الرقم ٦٥٣.

(٧) الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

(٨) الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

(٩) الكافي، الكليني: ٦/ ٤٨، كتاب العقيقة، باب حق الأولاد/ ح٥.

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما[1].

وفي رواية أخرى: قلت: كيف يعينه على بره؟ قال: يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه ولا يخرق به، وليس[2] بينه وبين أن يصير في حد من حدود الكفر إلا أن يدخل في عقوق أو قطيعة رحم[3].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حق الولد على والده إذا كان ذكراً أن يستفره[4] أمه ويستحسن اسمه ويعلمه كتاب الله ويطهره ويعلمه السباحة، وإن[5] كانت أنثى يستفره[6] أمها ويستحسن اسمها ويعلمها سورة النور ولا يعلمها سورة يوسف ولا ينزلها الغرف ويعجل سراحها إلى بيت زوجها[7].

---

(١) الكافي، الكليني: ٦/ ٤٨، كتاب العقيقة، باب حق الأولاد/ ح٣.

(٢) في التهذيب: "فليس" بدل "وليس".

(٣) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٨/ ١١٣، كتاب الطلاق، باب ٥ الحكم في أولاد المطلقات من الرضاع وحكمهم بعده وهم أطفال/ ح٣٩.

(٤) يستفره الأفراس: يستكرمها.
القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤/ ٢٨٩، فصل الفاء، مادة "فره".

(٥) في الكافي: "وإذا" بدل "وإن".

(٦) في الكافي: "أن يستفره".

(٧) الكافي، الكليني: ٦/ ٤٩، كتاب العقيقة، باب حق الأولاد/ ح٦.



الباب الحادي عشر

حقوق المملوك



في حقوق المملوك

روي أنه كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال: اتقوا الله في ما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله تعالى ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم[١].

وروي أنه جاء رجل[٢] إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله ﷺ ثم قال: أعف عنه كل يوم سبعين مرة[٣].

وقال الصادق عليه السلام: إذا اشتريت رأساً فلا ترينه ثمنه في كفة الميزان، فما من رأس رأى ثمنه في كفة الميزان فأفلح، فإذا اشتريت رأساً فغير اسمه وأطعمه شيئاً حلواً إذا ملكته وتصدق بأربعة دراهم[٤].

---

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني: ٣ / ٤٤٤، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، حقوق المملوك.

(٢) الرجل هو: عبد الله بن عمر.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي: ٢/١٩٨، كتاب آداب الألفة والمحبة، حقوق المملوك.

(٤) أنظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٧ / ٧١، كتاب التجارات، باب ٦ ابتياع الحيوان/ ح١٦.

وعنه عليه السلام[1] أنه سئل عن أخوين مملوكين هل يفرق بينهما وعن المرأة وولدها؟ قال: لا هو حرام إلا أن يريدوا ذلك[2].

وعنه عليه السلام[3] عن أبيه[4] قال: قال علي بن أبي طالب: من اتخذ من الإماء أكثر مما ينكح أو ينكح فالإثم عليه إن بغين[5].

وعنه عليه السلام[6] أنه بعث غلاماً له في حاجة فأبطأ، فخرج عليه السلام على أثره فوجده نائماً فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه، فلما انتبه قال له عليه السلام: يا فلان والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار[7].

وعن السجاد عليه السلام أنه سكبت عليه الماء الجارية ليتوضأ للصلاة فنعست فسقط الإبريق من يدها فشجه عليه السلام فرفع رأسه إليها فقالت الجارية: إن الله عزّوجل يقول: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾[8] قال: كظمت غيظي.

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٥ / ٢١٨ ــ ٢١٩، كتاب المعيشة، باب التفرقة بين ذوي الأرحام/ح٢.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) الإمام الباقر محمد بن علي عليهما السلام.

(٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٣/ ٤٥١، كتاب النكاح، باب أحكام المماليك والإماء/ ح٣.

(٦) أي: "الإمام الصادق عليه السلام". ولكن الحادثة يرويها في المناقب: جعفر بن أبي عائشة، وفي مصادر أخرى: حفص بن أبي عائشة.

(٧) أنظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٤/ ٢٧٤، باب إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فصل في معالي أموره عليه السلام.

(٨) سورة آل عمران/ ١٣٤.

قالت: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النّاسِ**﴾[1]. قال لها: عفا الله عنك. قالت: ﴿**وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2]. قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى[3].

وروي أنه عليه السلام[4] دعا مملوكه مرتين فلم يجبه وأجابه في المرة الثالثة[5]، فقال له: يا بني أما سمعت صوتي؟ قال: بلى. قال: فما لك لم تجبني. قال: أمنتك. قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني[6].

---

(١) سورة آل عمران/ ١٣٤.

(٢) سورة آل عمران/ ١٣٤.

(٣) أنظر: كشف الغمة، الأربلي: ٢/ ٨٧، ذكر الإمام الرابع أبي الحسن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

(٤) أي: "الإمام السجاد عليه السلام".

(٥) في المشكاة: "ثم أجابه في الثالثة".

(٦) مشكاة الأنوار، الطبرسي: ١٧٨، الفصل الثاني والعشرون في ذكر المداراة وحسن الملكة.



الباب الثاني عشر

حقوق الزوجين



في حقوق الزوجين

لكل من الزوجين حق يجب على صاحبه القيام به، بالكتاب والسنة والإجماع، ولا بد من الإتيان به من دون طلب ولا استعانة بالغير ولا إظهار كراهة في تأديته بل باستبشار وانطلاق وجه.

أما حقه عليها: «فأن[1] تطيعه ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيته إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب[2]، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض[3] وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها»[4]، كما في الأخبار.

---

(١) في المهذب: "أن" بدل "فأن".

(٢) قتب: القتب، بالتحريك: رحل صغير على قدر السنام.

الصحاح، الجوهري: ١/ ١٩٨، مادة "قتب".

(٣) في المهذب: "ملائكة السماء والأرض".

(٤) المهذب البارع، ابن فهد الحلي: ٣/ ١٩٢، حق الرجل على المرأة.

وأما حقها عليه: فأن «يسدّ جوعتها، ويستر عورتها، ولا يقبح لها وجهاً»[1]. وقال رسول الله ﷺ: خياركم خياركم لنسائكم[2]. وفي رواية: خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي[3].

وقال ﷺ: عيال الرجل أُسراؤه، وأحب العباد إلى الله تعالى[4] أحسنهم صنيعاً إلى أُسرائه[5].

وقال ﷺ: إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج، إن تركته انتفعت به وإن أقمته كسرته[6].

وقال ﷺ: من صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه الله تعالى[7] ثواب الشاكرين[8].

---

(١) الكافي، الكليني: ٥/ ٥١١، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج/ ح٥.

(٢) ذخيرة الحفاظ، محمد بن طاهر المقدسي: ٣/ ١٢٩٨/ ح٢٨٠٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٣/ ٤٤٣، باب حق المرأة على الزوج/ ح١٤.

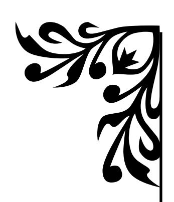
(٤) في المكارم: "عزّوجل" بدل "تعالى".

(٥) مكارم الأخلاق، الطبرسي: ٢١٧، في حق المرأة على الزوج.

(٦) الكافي، الكليني: ٥/ ٥١٣، كتاب النكاح، باب مداراة الزوجة/ ح١.

(٧) ليس في الأمالي: "تعالى".

(٨) الأمالي، الصدوق: ٤٣٠، المجلس السادس والستون/ ح١.



الباب الثالث عشر

العزلة والمخالطة



في العزلة والمخالطة

قد اختلف الناس في الترجيح بينهما فذهب إلى كل فريق، فذهب قوم إلى ترجيح المخالطة لقوله تعالى: ﴿أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾[2] وقوله ﷺ: المؤمن إلف مألوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف[3]، وقوله ﷺ: من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية[4]، وللأخبار الدالة على استحباب التزاور والتصافح والمعانقة وعيادة المرضى وتشييع الجنائز وقضاء الحوائج والاهتمام بأمور المسلمين وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى وحضور الجمعة والجماعة، وما دل على الأمر بالتعليم والتعلم، وما دل على الأمر بالنفع والانتفاع بالكسب والمعاملة، وما دل

---

(١) سورة الأنفال/ ٦٣.

(٢) سورة آل عمران/ ١٠٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ٣٩، فصل في العزلة والاجتماع.

(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي: ١/ ٣٢٤، باب لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب.

علـى التأديـب والتـأدب ومـداراة النـاس وتحمـل أذاهـم والاسـتئناس والإينـاس وحضور الولائم وإجابة الدعوة ومدح التواضع والأمر به والتجربة والتجارب، ونحو ذلك مما لا يتم إلا بالمعاشرة[1].

وذهب قوم إلى ترجيح العزلة، وقد ألف المحقق العارف ابن فهد[2] رسالة في ذلك، واستشهد بأخبار وآثار كثيرة، منها:

---

(١) مر ذكر الأخبار الواردة بالآداب في الأبواب السابقة مع بيان مصادرها.

(٢) ابن فهد: الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد الحلي: فاضل، عالم، ثقة، صالح، زاهد، عابد، ورع، جليل القدر، له كتب منها: المهذب شرح المختصر النافع، وعدة الداعي، والمقتصر، والموجز، وشرح الألفية للشهيد، والمحرر، والتحصين، والدر الفريد في التوحيد. يروي عن تلامذة الشهيد.

أمل الآمل، الحر العاملي: ٢١/٢، باب الألف/الرقم٥٠.

قال القمي: جمال السالكين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي، الأسدي، الشيخ، الأجل، الثقة، الفقيه، الزاهد، العالم، العابد، الصالح، الورع، التقي، صاحب المقامات العالية، والمصنفات الفائقة، كالمهذب البارع شرح المختصر النافع، والموجز، والتحرير، وعدة الداعي، والتحصين، واللمعة الجلية، وغير ذلك.

حكي انه رأى في الطيف أمير المؤمنين عليه السلام آخذا بيد السيد المرتضى رضي الله عنه يتماشيان في الروضة المطهرة الغروية، وثيابهما من الحرير الأخضر، فتقدم الشيخ أحمد بن فهد وسلم عليهما، فأجاباه. فقال السيد له: أهلا بناصرنا أهل البيت. ثم سأله السيد عن أسماء تصانيفه؟ فلما ذكرها له، قال السيد: صنف كتابا مشتملا على تحرير المسائل، وتسهيل الطرق، والدلائل، واجعل مفتتح ذلك: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المقدس بكماله عن مشابهة المخلوقات" فلما انتبه الشيخ شرع في تصنيف كتاب التحرير، وافتتحه بما ذكره السيد رحمه الله، ولد سنة ٧٥٧ هـ، وتوفي سنة ٨٤١ هـ، ودفن في جوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام قرب خيمكاه، و قبره مشهور يزار، وينقل عن السيد الأجل صاحب الرياض أنه ينتابه ويتبرك به.

الكنى والألقاب، الشيخ القمي: ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١، ابن فهد.

عن الصادق عليه السلام قال: لولا الموضع الذي وضعني الله فيه لسرني أن أكون على رأس جبل لا أعرف الناس ولا يعرفوني حتى يأتيني الموت[1].

وعن الباقر عليه السلام أنه قال لعبد الواحد الأنصاري[2]: ما يضرك ـ أو ما يضر رجلاً ـ إذا كان على الحق ما قاله[3] له الناس ولو قالوا له[4] مجنون، وما يضره ولو كان على رأس جبل يعبد الله تعالى[5] حتى يجيئه الموت[6].

وعن الصادق عليه السلام قال: ما يضر المؤمن أن يكون منفرداً عن الناس ولو على قلة جبل ـ فأعادها ثلاث مرات[7].

وعن الباقر عليه السلام قال: ما يضر من عرّفه الله الحق أن يكون على قلة جبل يأكل من نبات الأرض حتى يجيئه الموت[8].

وعن الصادق عليه السلام قال: ما يضر من كان على هذا الأمر أن لا يكون[9] ما يستظل به إلا الشجر فلا يأكل[10] إلا من ورقه[11].

---

(١) التحصين، ابن فهد: ٧، القطب الثاني في الإذن في العزلة.

(٢) عبد الواحد بن المختار الأنصاري: من أصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام.

نقد الرجال، التفرشي: ١٦٧/٣، باب العين/ الرقم ٨.

(٣) في التحصين: "ما قال".

(٤) ليس في التحصين: "له".

(٥) ليس في التحصين: "تعالى".

(٦) التحصين، ابن فهد: ٧، القطب الثاني في الإذن في العزلة.

(٧) نفس المصدر السابق.

(٨) نفس المصدر السابق.

(٩) ليس في التحصين: "أن لا يكون له".

(١٠) في التحصين: "ولا يأكل".

(١١) التحصين، ابن فهد: ٨، القطب الثاني في الإذن في العزلة.

وعنه عليه السلام[1] قال: لا عليك أن لا يعرفك الناس ـ ثلاثاً[2].

وعنه عليه السلام[3] قال: قال الله تبارك وتعالى: إنّ أعبد أوليائي عبد مؤمن ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه، وعبد الله في السريرة، وكان غائصاً في الناس، فلم يشر إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر عليه فعجلت به المنية فقلّ تراثه وقلّت بواكيه[4].

وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: إن أعبد[5] أوليائي عندي رجل خفيف ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه في الغيب وكان غامضاً في الناس جعل رزقه كفافا فصبر عليه حتى مات فقل تراثه وقلّت بواكيه[6].

وقال الصادق عليه السلام: إن ما يحتج الله تبارك وتعالى به على عبده أن يقول: لم أخمل ذكرك[7].

وقال عليه السلام[8] لحفص بن غياث[9]: يا حفص كن ذنباً ولا تكن رأساً[10].

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) التحصين، ابن فهد: ٩، القطب الثاني في الإذن في العزلة.

(٣) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٤) أنظر: مستدرك الوسائل، النوري: ١١/ ٣٨٦، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٥١ استحباب لزوم المنزل غالبا مع الإتيان بحقوق الإخوان لمن يشق عليه اجتناب مفاسد العشرة/ ح١٢.

(٥) في التحصين: "إن أغبط".

(٦) التحصين، ابن فهد: ١٠، القطب الثاني في الإذن في العزلة.

(٧) التحصين، ابن فهد: ١١، القطب الثاني في الإذن في العزلة. ونص الحديث: "إن مما يحتج الله تبارك و تعالى به على عبده يوم القيامة أن يقول أ لم أخمل ذكرك".

(٨) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٩) حفص بن غياث القاضي: ولي القضاء لهارون، وروى عن الصادق عليه السلام، وكان عاميا، وله كتاب معتمد.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ٢١٨، الباب الرابع حفص/ الرقم ١.

(١٠) الكافي، الكليني: ٨/ ١٢٨، كتاب الروضة، حديث نادر/ ح٣.

وعنه عليه السلام[1] أنه قال له معروف الكرخي[2]: أوصني يا بن رسول الله. قال[3]: أقلل معارفك. قال زدني. قال: أنكر من عرفت منهم. قال: زدني. قال: حسبك[4].

ولأن فيها فوائد كثيرة: منها التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق.

ولأن فيها التخلص من المهلكات والأخلاق الرذيلة كالغيبة وسماعها والرياء والتكبر والحقد والحسد والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتخلص من الفتن والخصومات، وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها، والخلاص من شر الناس، ومن انقطاع طمع الناس عنه وانقطاع طمعه عنهم، والخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقاء وأخلاقهم الرديئة وغير ذلك.

وتحقيق المقام على وجه أنيق وطرز رشيق تلتئم عليه الأخبار الواردة في هذا المضمار بوجوه:

---

(١) أي: "الإمام الصادق عليه السلام".

(٢) معروف الكرخي: معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين. كان من موالي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم (عليهما السلام)، ولد في كرخ بغداد، ونشأ وتوفي ببغداد. اشتهر بالصلاح، وقصده الناس للتبرك به. ولابن الجوزي كتاب في أخباره وآدابه، توفي سنة ٢٠٠.
الأعلام، الزركلي: ٧/ ٢٦٩.

(٣) في التحصين: " قال عليه السلام".

(٤) التحصين، ابن فهد: ١١، القطب الثاني في الإذن في العزلة.

الأول: أن يقال: إن العزلة الممدوحة إنما هي العزلة بالقلب دون البدن كما يرشد إلى ذلك ما رواه عبد الله بن سنان[1] عن الصادق عليه السلام قال: طوبى لعبد عرف الناس[2]، فصاحبهم ببدنه ولم يصاحبهم بقلبه فعرفوه في الظاهر وعرفهم في الباطن[3].

الثاني: أن يراد بالعزلة العزلة عن أهل الدنيا الذين يشغلون الإنسان عن ذكر الله، لا أهل الآخرة من العلماء والعقلاء والعرفاء الذين يكتسب من أخلاقهم ويستفيد من علومهم وأحوالهم ويتوصل إلى الأجر والثواب بمخالطتهم ويشهد لذلك قول الكاظم عليه السلام: يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل الدنيا والراغبين فيها ورغب في ما عند الله، ومن رغب في ما عند الله كان أنيسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة ومعزه من غير عشيرة[4].

---

(١) عبد الله بن سنان بن طريف: مولى بني هاشم، يقال مولى بني أبي طالب، ويقال مولى بني العباس. كان خازنا للمنصور والمهدي والهادي والرشيد، كوفي، ثقة، من أصحابنا، جليل، لا يطعن عليه في شيء، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وقيل روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام وليس بثبت. له كتاب الصلاة الذي يعرف بعمل يوم وليلة، وكتاب الصلاة الكبير، وكتاب في سائر الأبواب من الحلال والحرام. روى هذه الكتب عنه جماعات من أصحابنا لعظمه في الطائفة وثقته وجلالته. أخبرني الحسين بن عبيد الله قال حدثنا أحمد بن جعفر قال حدثنا حميد عن الحسن بن سماعه، عن عبد الله بن جبلة عنه.

رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي: ٢١٤، باب العين/ الرقم ٥٥٨.

(٢) في المستدرك: "طوبى لعبد نومة عرف الناس".

(٣) مستدرك الوسائل، النوري: ١١/ ٣٨٦، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٥١ استحباب لزوم المنزل غالبا مع الإتيان بحقوق الإخوان لمن يشق عليه اجتناب مفاسد العشرة/ ح١٠.

(٤) أنظر: الكافي، الكليني: ١/ ١٧، كتاب العقل والجهل/ ح ١٢.

الثالث: أن يقال: إن العزلة لا بد فيها من العلم والزهد، كما تنبئ عنه عينها وزاؤها، فالعزلة بدون عين العلم ذلة، وبدون زاء الزهد علة، وبدون لام الجهل عزة، فالجاهل لا يليق له العزلة، ففي الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قيل له: رجل عرف هذا الأمر ـ أي الإمامة ـ لزم بيته ولم يتعرف إلى أحد من إخوانه. قال: فقال: كيف يتفقه هذا في دينه؟[١].

ثم هذا العالم إن كان ذا نفس قدسية وقوة ملكوتية خشن في ذات الله قادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الضال ومعاونة الضعيف وإدراك اللهيف ونصرة المظلوم ونحو ذلك، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فالأولى بحاله المخالطة وإلا فالعزلة.

الرابع: أن يقال: إن الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء[٢] السوء، فليكن الإنسان بين المنقبض والمنبسط، وكذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة، ويختلف ذلك بحسب الأحوال وبملاحظة الفوائد والآفات، فليلاحظ كل ما يصلحه وما يليق بحاله[٣].

---

(١) منية المريد، الشهيد الثاني: ٣٧٥، الفصل الأول في أقسام الآداب الشرعية الأصلية.

(٢) قرناء، ككرماء، والقرين: المصاحب، والجمع كالجمع، والقرين: الشيطان المقرون بالإنسان لا يفارقه. وفي الحديث: ما من أحد إلا وكل به قرينه، أي: مصاحبه من الملائكة والشياطين.
تاج العروس، الزبيدي: ٩/ ٣٠٨، مادة "القرين".

(٣) أنظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: ٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٤، كتاب آداب العزلة، الباب الأول في نقل المذاهب والأقاويل.

المحتويات

الركن الأول

في أسرار العبادات وفيه أبواب

الركن الثاني

في العبادات وفيه أبواب